بحوث سماحة الأستاذ آية الله الشيخ محمد السند



تأليف

السيد محمد علي بحر العلوم

جلد سوم


بسم الله الرحمن الرحیم

الامامة الالهية

كاتب:

محمد السند

نشرت في الطباعة:

فرصاد

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الامامة الالهیة(۵) المجلد ۳

اشارة

سرشناسه : سند، محمد، - ۱۳۴۰

عنوان و نام پدیدآور : الامامه الالهیه/ محاضرات محمد سند؛ جمع و اعداد محمدعلی بحرالعلوم

مشخصات نشر : تهران : فرصاد ، - ۱۳۸۵.

مشخصات ظاهری : ج ۳

یادداشت : عربی

یادداشت : فهرست نویسی براساس اطلاعات فیپا

یادداشت : کتابنامه

موضوع : امامت

موضوع : ولایت

موضوع : اصول فقه شیعه

شناسه افزوده : بحرالعلوم، محمدعلی، ۱۳۴۵ - مقرر

رده بندی کنگره : BP۲۲۳/س۹الف۸ ۱۳۸۵

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۵

شماره کتابشناسی ملی : م۸۱-۲۸۲۳۶

الامامة الالهیة (۳)

الفصل السابع: لیلة القدر حقیقة الإمامة (أُس المعرفة ...) ص: ۲۷۳

اشارة

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۲۷۵

لیلة القدر فی أقوال أهل سنة الجماعة ... ص: ۲۷۵

اشارة

بسم الله الرحمن الرحیم

قـال الفخر الرازی فی تفسیر قوله تعالی: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِی لَیْلَةِ الْقَـدْرِ»: (أجمع المفسّـرون علی أنّ المراد إنّا أنزلنا القرآن فی لیلـة القـدر، ولکنّه تعالی ترک التصریح بالذکر؛ لأنّ هذا الترکیب یدلّ علی عظم القرآن.

للقرآن نزولان ...: ص: ۲۷۵

إن قيل: ما معنى إنّه أَنزل فى ليلة القدر مع العلم بأنّه أَنزل نجوماً؟ قلنا فيه وجوهاً:

أحدهما: قال الشعبى: إبتدأ بإنزاله ليلة القدر؛ لأنّ البعث كان فى رمضان.

والثانى: قال ابن عبّاس: أُنزل إلى سماء الدنيا جملةً ليلة القدر، ثمّ إلى الأرض نجوماً.

معنى القدر ...: ص: ۲۷۵

اختلفوا فى أنّه لِم سُمِّيت هذه الليلة ليلة القدر على وجوه:

أحدها: إنّها ليلة تقدير الأُمور والأحكام. قال عطاء عن ابن عبّاس: إنّ اللَّه قدّر ما يكون فى تلك السنة من مطر ورزق وإحياء وإماتة إلى مثل هذه الليلة من السنة الآتية، ونظيره قوله تعالى: «فيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حكيمٍ»، واعلم أنّ تقدير اللَّه لا

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۷۶

يحدث فى تلك الليلة؛ فإنّه تعالى قدّر المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض فى الأزل «۱»، بل المراد إظهار تلك المقادير للملائكة فى تلك الليلة، بأن يكتبها فى اللوح المحفوظ «۲».

بقاء ليلة القدر فى كلّ عام ...: ص: ۲۷۶

وهذا القول اختيار عامّة العلماء.. هذه الليلة هل هى باقية؟

قال الخليل: من قال إنّ فضلها لنزول القرآن فيها يقول انقطعت وكانت مرّة، والجمهور على أنّها باقية.

وعلى هذا، هل هى مختصّة برمضان أم لا؟ روى عن ابن مسعود أنّه قال: من يقم الحول يصيبها، وفسّرها عِكرمة بليلة البراءة فى قوله: «إنّا أَنْزَلْناهُ فى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ» «۳»

، والجمهور على أنّها مختصّة برمضان، واحتجّوا عليه بقوله تعالى:

«شَهْرُ رَمَضانُ الَّذى انْزِلَ فيهِ الْقُرْآنُ»، وقال: «إنّا أَنْزَلْناهُ فى لَيْلَةِ الْقَدْرِ»، فوجب أن تكون ليلة القدر فى رمضان، لئلّا يلزم التناقض.

ليلة القدر عوض للنبىّ من غصب بنى أُميّة الخلافة ...: ص: ۲۷۶

وقال فى تفسير الآية «۴» بوجوه:

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۷۷

منها: روى القاسم بن فضل عن عيسى بن مازن، قال:

«قلت للحسن بن علىّ عليه السلام: يا مسوّد وجوه المؤمنين، عمدت إلى هذا الرجل فبايعت له، يعنى معاوية، فقال: إنّ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلّم رأى فى منامه بنى أُمية يطؤون منبره واحداً بعد واحد، وفى رواية ينزون على منبره نزو القردة، فشقّ ذلك عليه، فأنزل اللَّه تعالى: «إنّا أَنْزَلْناهُ فى لَيْلَةِ الْقَدْرِ» إلى قوله: «خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ»، يعنى ملك بنى أُمية. قال القاسم فحسبنا ملك بنى أمية فإذا هو ألف شهر».

طعن القاضى فى هذه الوجوه، فقال: ما ذُكر من «أَلْفِ شَهْرٍ» فى أيّام بنى أُمية بعيد؛ لأنّه تعالى لا يذكر فضلها بذكر ألف شهر مذمومة، وأيّام بنى أُمية كانت مذمومة.

واعلم أنّ هذا الطعن ضعيف؛ وذلك لأنّ أيّام بنى أُمية كانت أيّاماً عظيمة بحسب السعادات الدنيوية، فلا يمتنع أن يقول اللَّه: إنّى أعطيتك ليلة هى فى السعادات الدينية أفضل من تلك السعادات الدنيوية.

تنزّل الملائكة على أرواح البشر ...: ص: ۲۷۷

قال فی تفسیر قوله تعالی: «تَنَزَّلُ الْمَلائِکَةُ وَالرُّوحُ فیها»: إعلم أنّ نظر الملائکة علی الأرواح، ونظر البشر علی الأشباح.. فکذا الملائکة لمّا رأوا فی روحک الصورة الحسنة وهی معرفة اللّه وطاعته أحبّوک، فنزلوا إلیک معتذرین عمّا قالوه أوّلًا، فهذا هو المراد من قوله «تَنَزَّلُ الْمَلائِکَةُ»، فإذا نزلوا إلیک رأوا روحک فی ظلمة لیل البدن وظلمة القوی الجسمانیة..
إنّ قوله تعالی: «تَنَزَّلُ الْمَلائِکَةُ» یقتضی ظاهره نزول کلّ الملائکة، ثمّ إنّ الملائکة لهم کثرة عظیمة.. والمروی أنّهم ینزلون فوجاً فوجاً، فمن نازل وصاعد کأهل الحجّ، فإنّهم علی کثرتهم یدخلون الکعبة بالکلّیة، لکنّ الناس بین داخل
الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۲۷۸
وخارج، ولهذا السبب مدّه إلی غایة طلوع الفجر، فلذلک ذکر بلفظ «تَنَزَّلُ» الذی یفید المرّة بعد المرّة.
والقول الثانی: وهو اختیار الأکثرین، أنّهم ینزلون إلی الأرض، وهو الأوجه؛ لأنّ الغرض هو الترغیب فی إحیاء هذه اللیلة؛ ولأنّه دلّت الأحادیث علی أنّ الملائکة ینزلون فی سائر الأیام إلی مجالس الذکر والدین، فلأن یحصل ذلک فی هذه اللیلة مع علوّ شأنها أولی؛ ولأنّه روی عن علیّ علیه السلام: «أنّهم ینزلون لیسلّموا علینا ولیشفعوا لنا، فمن أصابته التسلیمة غُفِرَ له ذنبه».

من الروح النازل لیلة القدر ...؟ ص: ۲۷۸

وقال: ذکروا فی الروح أقوالًا:
أحدها: أنّه ملک عظیم لو التقمَ السماوات والأرضین کان له ذلک لقمة واحدة.
وثانیها: طائفة من الملائکة لا تراهم الملائکة إلّافی لیلة القدر...
وثالثها: خَلْق من خلق اللّه یأکلون ویلبسون، لیسوا من الملائکة ولا من الإنس، ولعلّهم خدم أهل الجنّة.
ورابعها: یُحتمل أنّه عیسی علیه السلام؛ لأنّه اسمه، ثم إنّه ینزل فی مواققه الملائکة لیطّلع علی أُمّة محمّد صلی الله علیه و آله.
وخامسها: إنّه القرآن «وَکَذلِکَ أَوْحَیْنا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا» «۱».
وسادسها: الرحمة، قُرئ: «لا تَیْأَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ» بالرفع، کأنّه تعالی یقول: الملائکة ینزلون رحمتی تنزل فی أثرهم، فیجدون سعادة الدنیا وسعادة الآخرة.
الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۲۷۹
وسابعها: الروح أشرف الملائکة.
وثامنها: عن أبی نجیح: الروح هم الحفظة والکرام الکاتبون، فصاحب الیمین یکتب إتیانه بالواجب، وصاحب الشمال یکتب ترکه للقبیح.
والأصحّ أنّ الروح هاهنا جبرئیل، وتخصیصه بالذکر لزیادة شرفه، کأنّه تعالی یقول: الملائکة فی کفّة والروح فی کفّة.
أقول: إذا کان النازل هو جبرئیل علیه السلام کلّ عام، فعلی من یتنزّل جبرئیل علیه السلام بعد النبیّ صلی الله علیه و آله إلی یومنا هذا وإلی یوم القیامة؟!!

ما هی الأُمور التی تتنزّل بها الروح والملائکة ...؟ ص: ۲۷۹

وقال: وأمّا قوله تعالی: «مِنْ کُلِّ أَمْرٍ» فمعناه تنزّل الملائکة والروح فیها من أجل کلّ أمر، والمعنی: إنّ کلّ واحد منهم إنّما نزل لمهمّ

آخر ما. ثمّ ذكروا فيه وجوهاً:

أحدها: إنّهم كانوا فى أشغال كثيرة، فبعضهم للركوع وبعضهم للسجود وبعضهم بالدعاء، وكذا القول فى التفكير والتعليم وإبلاغ الوحى، وبعضهم لإدراك فضيلة الليلة، أو ليسلّموا على المؤمنين.

وثانيها: وهو قول الأكثرين- من أجل كلّ أمرٍ قُدّر فى تلك السنة من خير أو شرّ، وفيه إشارة إلى أنّ نزولهم إنّما كان عبادة، فكأنّهم قالوا: ما نزلنا إلى الأرض لهوى أنفسنا، لكن لأجل أمر فيه مصلحة المكلّفين، وعمّ لفظ الأمر ليعمّ خير الدنيا والآخرة؛ بياناً منه أنّهم ينزلون بما هو صلاح المكلّف فى دينه ودنياه، كأنّ السائل يقول: من أين جئت؟ فيقول: ما لك وهذا الفضول؟ ولكن قُل: لأىأمرٍ جئت؛ لأنّه حظّك.

وثالثها: قرأ بعضهم «مِنْ كُلِّ أَمْرٍ»، أى من أجل كلّ إنسان، وروى أنّهم لا

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۸۰

يلقون مؤمناً ولا مؤمنة إلّاسلّموا عليه، قيل أليس أنّه قد رُوى أنّه تقسّم الآجال والأرزاق ليلة النصف من شعبان، والآن تقولون أنّ ذلك يكون ليلة القدر؟ قلنا:

عن النبىّ صلى الله عليه و آله أنّه قال: «إنّ اللّه يقدّر المقادير فى ليلة البراءة، فإذا كان ليلة القدر يسلّمها إلى أربابها»، وقيل: يقدّر ليلة البراءة الآجال والأرزاق، وليلة القدر يقدّر الأُمور التى فيها الخير والبركة والسلامة، وقيل: يقدّر فى ليلة القدر ما يتعلّق به إعزاز الدين وما فيه النفع العظيم للمسلمين، وأمّا ليلة البراءة فيكتب فيها أسماء من يموت ويسلّم إلى ملك الموت).

وقال فى سورة الشورى فى ذيل قوله تعالى «وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا» «۱»

: والمراد به القرآن، وسمّاه روحاً لأنّه يفيد الحياة من موت الجهل أو الكفر.

وقال فى سورة الدخان فى ذيل قوله تعالى «إِنّا أَنْزَلْناهُ فى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ» «۲»

، اختلفوا فى هذه الليلة المباركة، فقال الأكثرون: إنّها ليلة القدر، وقال عكرمة وطائفة آخرون: إنّها ليلة البراءة.

وإنّه تعالى قال فى صفة ليلة القدر: «تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلامٌ هِىَ»، وقال أيضاً هاهنا: «فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكيمٍ»، وهذا مناسب لقوله: «تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيها»، وهاهنا: «أَمْراً مِنْ عِنْدِنا»، وقال فى تلك الآية «بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ»، وقال هاهنا: «رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ»، وقال فى تلك الآية: «سَلامٌ هِىَ».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۸۱

اشتمال مراتب القرآن على المقدّرات الحادثة فى كلّ عام ...: ص: ۲۸۱

وقال (المسألة الثامنة) فى تفسير مفردات هذه الألفاظ: أمّا قوله تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ» «۱»

فقد قيل فيه: إنّه تعالى أنزل كلّية القرآن، يبدأ فى استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ فى ليلة البراءة، ويقع الفراغ فى ليلة القدر، فتُدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل ونسخة الحروب إلى جبرائيل، وكذلك الزلازل والصواعق والخسف، ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا، وهو ملك عظيم، ونسخة المصائب إلى ملك الموت، انتهى كلامه.

وقال القرطبى فى تفسيره الجامع لأحكام القرآن: (فى تفسير قوله تعالى: «إِنّا أَنْزَلْناهُ» يعنى القرآن، وإن لم يجرِ له ذكر فى هذه السورة؛ لأنّ المعنى معلوم، والقرآن كلّه كالسورة الواحدة، وقد قال: «شَهْرُ رَمَضانُ الَّذى انْزِلَ فيهِ الْقُرْآنُ»، وقال: «حم وَالْكِتابِ الْمُبينِ إِنّا أَنْزَلْناهُ فى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ» «۲»

يريد: فى ليلة القدر.

وقال الشعبى: المعنى إنّا ابتدأنا إنزاله فى ليلة القدر. وقيل: بل نزل به جبريل عليه السلام جملة واحدة فى ليلة القدر، من اللوح

المحفوظ، إلى سماء الدنيا، إلى بيت العزّة، وأملاه جبريل على السفرة، ثمّ كان جبريل ينزّله على النبيّ صلى الله عليه و آله نجوماً نجوماً، وكان بين أوّله وآخره ثلاث وعشرون سنة، قاله ابن عبّاس، وقد تقدّم فى سورة البقرة. وحكى الماوردى عن ابن عبّاس قال: نزل القرآن فى شهر رمضان وفى ليلة القدر، فى ليلة مباركة جملة واحدة من عند اللَّه، من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين فى السماء الدنيا، فنجّمته السفرة الكرام الكاتبون على جبريل عشرين سنة، ونجّمه جبريل على النبيّ صلى الله عليه و آله عشرين سنة.

قال ابن العربى: وهذا باطل؛ ليس بين جبريل وبين اللَّه واسطة، ولا بين جبريل

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۸۲

ومحمّد عليهما السلام واسطة.

قوله تعالى: «فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ»، قال مجاهد: فى ليلة الحكم. «وَما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ»، قال ليلة الحكم، والمعنى ليلة التقدير، سمّيت بذلك لأنّ اللَّه تعالى يقدّر فيها ما يشاء من أمره، إلى مثلها من السنة القابلة، من أمر الموت والأجل والرزق وغيره، ويسلّمه إلى مدبّرات الأُمور، وهم أربعة من الملائكة: إسرافيل، وميكائيل، وعزرائيل، وجبريل عليهم السلام.

أمّ الكتاب فى القرآن متضمّنة لتقدير كلّ شىء ...: ص: ۲۸۲

وقال: وعن ابن عبّاس قال: يكتب من أمّ الكتاب ما يكون فى السنة من رزق ومطر وحياة وموت، حتّى الحاجّ. قال عكرمة: يكتب حجّاج بيت اللَّه تعالى فى ليلة القدر بأسمائهم وأسماء آبائهم، ما يغادر منهم أحد ولا يزاد فيهم.

وقاله سعيد بن جُبير، وقد مضى فى أوّل سورة الدخان هذا المعنى. وعن ابن عبّاس أيضاً: إنّ اللَّه تعالى يقضى الأقضية فى ليلة نصف شعبان، ويسلّمها إلى أربابها فى ليلة القدر. وقيل: إنّما سمّيت بذلك لعظمها وقدرها وشرفها، من قولهم:

لفلان قدر، أى شرف ومنزلة) «۱».

ليلة القدر عوض للنبى صلى الله عليه و آله وآله عليهم السلام عن غصب الخلافة ...: ص: ۲۸۲

ليلة القدر عوض للنبى صلى الله عليه و آله وآله عليهم السلام عن غصب الخلافة:

وقال: (وفى الترمذى عن الحسن بن على رضى اللَّه عنهما: أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أرى بنى أُمية على منبره فساءه ذلك، فنزلت «إِنّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ»، يعنى نهراً فى الجنّة، ونزلت «إِنّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۸۳

أَلْفِ شَهْرٍ»، يملكها بعدك بنو أُمية. قال القاسم بن الفضل الحدّانى: فعددناها فإذا هى ألف شهر لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً. قال: حديث غريب.

قوله تعالى: «تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ» أى تهبط من كلّ سماء، ومن سدرة المنتهى، ومسكن جبريل على وسطها، فينزلون إلى الأرض ويؤمّنون على دعاء الناس إلى وقت طلوع الفجر، فذاك قوله تعالى «تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ».

حقيقة الروح النازل ليلة القدر ...: ص: ۲۸۳

وقال: «وَالرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ» «۱»

أى جبرئيل عليه السلام، وحكى القُشيرى: أنّ الروح صنف من الملائكة جُعلوا حفظة على سائرهم، وأنّ الملائكة لا يرونهم كما لا نرى نحن الملائكة. وقال مقاتل: هم أشرف الملائكة وأقربهم من اللَّه تعالى.

وقيل: إنّهم جند من جند اللَّه عزّوجلّ من غير الملائكة، رواه مجاهد عن ابن عبّاس مرفوعاً، ذكره الماوردى، وحكى القُشيرى: قيل هم صنف من خلق اللَّه يأكلون الطعام ولهم أيدٍ وأرجل وليسوا ملائكة.

وقيل: (الروح) خلق عظيم يقوم صفّاً، والملائكة كلّهم صفّاً. وقيل: (الروح) الرحمة ينزل بها جبريل عليه السلام مع الملائكة فى هذه الليلة على أهلها، دليله «يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» «۲»

، أى بالرحمة، «فِيها» أى فى ليلة القدر، «بِإِذْنِ رَبِّهِمْ» أى بأمره، «مِن كُلِّ أَمْرٍ» «۳»

أمر بكلّ أمر قدّره اللَّه وقضاه فى تلك السنة إلى قابل.

وقيل عنه: إنّها رُفعت يعنى ليلة القدر- وإنّها إنّما كانت مرّة واحدة.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۸۴

بقاء ليلة القدر فى كلّ عام ...: ص: ۲۸۴

وقال: (والصحيح أنّها باقية.. والجمهور على أنّها من كلّ عام من رمضان.. وقال الفرّاء: لا يقدّر اللَّه فى ليلة القدر إلّاالسعادة والنعم ويقدّر فى غيرها البلايا والنقم) «۱».

وقال الطبرى فى تفسيره فى ذيل سورة البروج: «فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ» بسنده إلى مجاهد فى لوح قال: (فى أُمّ الكتاب) «۲».

وقال ابن كثير فى تفسيره، بعد ما نقل جملة ممّا ذكره عنه الرازى والقرطبى، والذى مرّ نقله، قال: (اختلف العلماء هل كانت ليلة القدر فى الأُمم السالفة، أم هى من خصائص هذه الأُمّة؟ فقال الزهرى.. وهذا الذى قاله مالك يقتضى تخصيص هذه الأُمّة بليلة القدر. وقيل: إنّها كانت فى الأُمم الماضين كما هى فى أُمّتنا، ثمّ هى باقية إلى يوم القيامة وفى رمضان خاصّة) «۳».

وقال الزمخشرى فى الكشّاف بعد ما ذكره جملة ممّا ذكره عنه الرازى والقرطبى، فى ذيل قوله تعالى «وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ» «۴» قال: (وسبب ارتقاء فضلها إلى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التى ذكرها من تنزّل الملائكة والروح، وفصل كلّ أمر حكيم.

وقال فى ذيل قوله تعالى «مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» «۵»

، أى تتنزّل من أجل كلّ أمر قضاه اللَّه لتلك السنة إلى قابل.. وروى عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «من قرأ سورة القدر أُعطى من الأجر كمن صام رمضان وأحيى ليلة القدر»، وذكر فى هامش المطبوع أنّ الحديث أخرجه الثعلبى والواحدى وابن مردويه بسندهم إلى أُبَىّ ابن كعب.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۸۵

ليلة القدر عوض له صلى الله عليه و آله عن غصب بنى أُمية خلافته وتعدد مصادر الحديث لديهم ... ص: ۲۸۵

وقال الآلوسى فى روح المعانى: (ويستدلّ لكونها مدنية بما أخرجه الترمذى والحاكم عن الحسن ابن علىّ (رضى اللَّه تعالى عنهما): «أنّ النبى صلى الله عليه و آله ارى بنى أُمية على منبره فساءه ذلك، فنزلت «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ» «۱»

، ونزلت: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ» «۲»

.. الحديث». وهو كما قال المزنى: حديث منكر، انتهى.

وقد أخرج الجلال هذا الحديث فى الدرّ المنثور عن جرير والطبرانى وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل أيضاً، من رواية يوسف ابن سعد، وذكر فيه: أنّ الترمذى «۳» أخرجه وضعّفه، وأنّ الخطيب أخرج عن ابن عبّاس نحوه، وكذا عن ابن نسيب بلفظٍ: قال نبى اللَّه:

«أريتُ بنى أمية يصعدون منبرى، فشقّ ذلك علىّ فأنزلت «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ»»، ففى قول المزنى هو منكر تردّد عندى.

وقد ورد فى روايات أهل البيت عليهم السلام ما رواه الكافى بسنده إلى أبى عبد اللَّه عليه السلام، قال: «أُرى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى منامه بنى أُمية يصعدون على منبره من بعده ويضلّون الناس عن الصراط القهقرى، فأصبح كئيباً حزيناً، قال: فهبط عليه جبرئيل فقال:

يا رسول اللَّه مالى أراك كئيباً حزيناً؟ قال: يا جبرئيل إنّى رأيت بنى أُمية فى ليلتى هذه يصعدون منبرى من بعدى يضلّون الناس عن الصراط القهقرى. فقال: والذى بعثك بالحقّ نبيّاً إنّى ما اطّلعت عليه. فعرّج إلى السماء فلم يلبث أن نزل بآى من القرآن يُؤنسه بها، قال: «أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ* ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ* مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ» «۴»

، وأُنزل عليه: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ»، جعل اللَّه ليلة القدر لنبيه صلى الله عليه و آله

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۸۶

خيراً من ألف شهر ملك بنى أُمية) «۱».

وروى الكلينى عن على بن عيسى القمّاط عن عمّه، قال: «سمعت أبا عبد اللَّه يقول: هبط جبرئيل عليه السلام على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ورسول اللَّه كئيب حزين، فقال: رأيت بنى أُمية يصعدون المنابر وينزلون منها. قال: والذى بعثك بالحقّ نبيّاً، ما علمت بشىء من هذا. وصعد جبرئيل إلى السماء، ثمّ أهبطه اللَّه جلّ ذكره بآى من القرآن يعزّيه بها قوله: «أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ* ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ* مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ» «۲».

وأنزل اللَّه جلّ ذكره: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» للقوم، فجعل اللَّه ليلة القدر (لرسوله) خير، من ألف شهر) «۳».

وفى سند الصحيفة السجادية، عن أبى عبداللَّه عليه السلام، قال: «إنّ أبى حدّثنى عن أبيه عن جدّه عن علىّ عليه السلام: إنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أخذته نعسة وهو على منبره، فرأى فى منامه رجالًا ينزون على منبره نزو القردة، يردّون الناس على أعقابهم القهقرى، فاستوى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله جالساً والحزن يعرف فى وجهه، فأتاه جبرئيل عليه السلام بهذه الآية «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِى الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا»، يعنى بنى أُمية. قال: يا جبرئيل على عهدى يكونون وفى زمنى؟

قال: لا، ولكن تدور رحى الإسلام من مُهاجرك فتلبث بذلك عشراً، ثمّ تدور رحى الإسلام على رأس خمسة وثلاثين من مهاجِرك فتلبث بذلك خمساً، ثمّ لابدّ من رحى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۸۷

ضلاله هى قائمة على قطبها ثمّ ملك الفراعنة. قال: وأنزل اللَّه تعالى فى ذلك: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» يملكها بنو أُمية. فيها ليلة القدر.

قال: فأطلع اللَّه عزّ وجلّ نبيّه صلى الله عليه و آله أنّ بنى أُمية تملك سلطان هذه الأُمّة وملكها طول هذه المدّة، فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتّى يأذن اللَّه تعالى بزوال ملكهم، وهم فى ذلك يستشعرون عداوتنا أهل البيت وبغضنا. أخبر اللَّه نبيّه بما يلقى أهل بيت محمّد وأهل مودّتهم وشيعتهم منهم فى أيامهم وملكهم» «۱».

وفى تأويل الآيات: «روى عن أبى بصير عن أبى عبد اللَّه عليه السلام، قال: قوله عزّ وجلّ: «خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» هو سلطان بنى أُمية.

وقال: ليلة من إمام عادل خير من ألف شهر ملك بنى أُمية.

وقال: «تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» أىّ من عند ربّهم على محمّد وآل محمّد بكلّ أمر سلام» «۲».

وفى تفسير القمّى: بسنده فى معنى سورة «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» فهو القرآن.. قوله: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ».

أقول: تكثير الروايات فى غصب الخلافة من بنى أُمية، وتأذّى النبىّ صلى الله عليه و آله وتعويضه بليلة القدر، وسيأتى معنى تعويضه بليلة القدر، وتسالم كثير من علماء الجمهور بهذه الروايات، هذا الأمر أحد الأدلّة على أنّ الخلافة فى الشريعة الإلهية هى منصب أهل بيت النبىّ صلى الله عليه و آله فتدبّر تبصر.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۸۸

حقيقة النازل الذى نزل فى ليلة القدر ...: ص: ۲۸۸

وقال فى ذيل قوله تعالى «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»: الضمير عند الجمهور للقرآن، وادّعى الإمام فيه إجماع المفسّرين، وكأنّه لم يعتقد بقول من قال منهم برجوعه لجبرئيل عليه السلام أو غيره؛ لضعفه. قالوا: وفى التعبير عنه بضمير الغائب مع عدم تقدّم ذكره تعظيم له، أى تعظيم لما أنّه يشعر بأنّه لعلوّ شأنه كأنّه حاضر عند كلّ أحد.

جهل الخلق بحقيقة ليلة القدر ...: ص: ۲۸۸

وقال فى ذيل قوله تعالى «وَما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ» «۱»

: لما فيه من الدلالة على أنّ علوّها خارج عن دائرة دراية الخلق، لا يُعلم ذلك، ولا يعلم به إلّاعلّام الغيوب.

حقيقة نزول القرآن جملة واحدة ...: ص: ۲۸۸

ثمّ ذكر جملة فى تعدّد نزول القرآن جملةً واحدةً ونجوماً، وذكر فى ضمنها هذه الرواية عن ابن عبّاس: «أُنزل القرآن جملةً واحدة حتّى وضع فى بيت العزّة فى السماء الدنيا، ونزل به جبريل عليه السلام على محمّد صلى الله عليه و آله بجواب كلام العباد وأعمالهم»..

ثمّ نقل الاختلاف بين المفسّرين عندهم فى قوله تعالى: «أَنْزَلْنَاهُ» من جهة نزول القرآن جملةً واحدة، فهل تضمّن القرآن النازل جملةً واحدة هذه العبارة أم لا؟

فلابدّ من ارتكاب المجاز فى الإسناد؛ لأنّه إخبار عمّا وقع فيما مضى، فكيف يكون هذا اللفظ فى ضمنه؟

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۸۹

فذكر قولًا للرازى فى حلّ الإشكال، وللقرطبى وابن كثير، وضعّف قولهم، ونقل عن ابن حجر فى شرح البخارى أنّه أُنزل جملةً واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزّة فى السماء الدنيا، بل حكى بعضهم الإجماع عليه، ثمّ نقل جواباً لحلّ الإشكال عن السيد عيسى الصفوى، ثمّ الاختلاف بين الدوانى وغيره، وأنّه ألّف رسالة فى ذلك فى الجواب عن مسألة الحذر الأصمّ.

ثمّ نقل عن الاتقان قول أبى شامة: فإن قلت «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» إن لم يكن من جملة القرآن الذى نزل جملة فما نزل جملة، وإن كان من الجملة فما وجه هذه العبارة؟

قلت: لها وجهان:

أحدهما: أن يكون المعنى إنّا حكمنا بإنزاله فى ليلة القدر، وقضينا به وقدّرناه فى الأزل.

والثانى: أنّ لفظ «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» ماضٍ ومعناه على الاستقبال، أى تنزّله جملة فى ليلة القدر.

ثمّ ذكر عدم ارتضائه لهذا القول وعدم حسنه.

ثمّ نقل أقوالًا أُخر، ثمّ قال: والمراد بالإنزال إظهار القرآن من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، أو إثباته لدى السفرة هناك، أو نحو ذلك

ممّا لا يشكل نسبته إلى القرآن.

تقدير الأُمور في ليلة القدر على من تُنزّل ...؟ ص: ۲۸۹

وقال في معنى ليلة القدر: إنّها ليلة التقدير، وسبب تسميتها بذلك؛ لتقدير ما يكون في تلك السنة من أُمور. قال: المراد إظهار تقديره ذلك للملائكة عليهم السلام المأمورين بالحوادث الكونية. ثمّ نقل عن بعض تفسير ذلك: هاهنا ثلاثة أشياء:

الأوّل: نفس تقدير الأُمور، أي تعيين مقاديرها وأوقاتها، وذلك في الأزل.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۹۰

الثاني: إظهار تلك المقادير للملائكة عليهم السلام بأن تكتب في اللوح المحفوظ، وذاك في ليلة النصف من شعبان.

الثالث: إثبات تلك المقادير في نسخ وتسليمها إلى أربابها من المدبّرات، فتدفع نسخة الأرزاق والنباتات والأمطار إلى ميكائيل عليه السلام، ونسخة الحروب والرياح والجنود والزلازل والصواعق والخسف إلى جبرئيل عليه السلام، ونسخة الأعمال إلى إسرافيل عليه السلام، ونسخة المصائب إلى ملك الموت، وذلك في ليلة القدر.

وقيل: يقدّر في ليلة النصف الآجال والأرزاق، وفي ليلة القدر الأُمور التي فيها الخير والبركة والسلامة. وقيل: يقدّر في هذه ما يتعلّق به إعزاز الدين وما فيه النفع العظيم للمسلمين، وفي ليلة النصف يكتب أسماء من يموت ويسلّم إلى ملك الموت، واللَّه تعالى أعلم بحقيقة الحال.

أقول: إنّ المكتوب في ليلة القدر ويقدّر يُفترض أنّ كتابته وتقديره إنّما يُكتب ويقدّر لتسليمه إلى من يوكّل إليه تدبير الأُمور بإذن اللَّه، كالملائكة الموكّلين، فالتنزّل بكلّ هذه التقديرات والكتابة إلى الأرض إلى من يسلّم؟ ومن هو الذي يطّلع على ذلك من أهل الأرض؟ وما هو التناسب بين نزول ما فيه إعزاز الدين والأُمّة، والحديث النبويّ: «إنّ الإسلام لا يزال عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة... كلّهم من قريش» «۱».

أقوال علماء سنّة الجماعة في عوضية الليلة له عن غصب الخلافة ...: ص: ۲۹۰

قال في تفسير (ألف شهر): وقد سمعت إلى ما يدلّ أنّ الألف إشارة إلى مُلك بني أُميّة، وكان على ما قال القاسم بن الفضل: ألف شهر، لا يزيد يوماً ولا ينقص

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۹۱

يوماً، على ما قيل ثمانين سنة، وهي ألف شهر تقريباً؛ لأنّها ثلاثة وثمانون سنة وأربعة أشهر، ولا يعكّر على ذلك ملكهم في جزيرة الأندلس بعد؛ لأنّه ملك يسير في بعض أطراف الأرض وآخر عمارة العرب، ولذا لا يعدّ من مَلَكَ منهم هناك من خلفائهم، وقالوا بانقراضهم بهلاك مروان الحمار.

وطعن القاضي عبد الجبّار في كون الآية إشارة لما ذكر بأنّ أيام بني أُمية كانت مذمومة أي باعتبار الغالب، فيبعد أن يقال في شأن تلك الليلة إنّها خير من ألف شهر مذمومة:

ألم ترَ أنّ السيف ينقص قدره إذا قيل إنّ السيف خيرٌ من العصا

وأُجيب: إنّ تلك الأيام كانت عظيمة بحسب السعادات الدنيوية، فلا يبعد أن يقول اللَّه تعالى: أعطيتك ليلة في السعادات الدينية أفضل من تلك في السعادات الدنيوية، فلا تبقى فائدة.

ليلة القدر مع الأنبياء في ما مضى فهي مع من في ما بقي ...: ص: ۲۹۱

الروح النازل فی لیلة القدر قناة غیبیة کانت مع الأنبیاء، فهی مع من بعد النبیّ الخاتم؟

قال: وما أشیر إلیه من خصائص هذه الأُمّة هو الذی یقتضیه أکثر الأخبار الواردة فی سبب النزول، وصرّح به الهیثمی وغیره. وقال القسطلانی: إنّه معترض بحدیث أبی ذر عند النسائی، حیث قال فیه: «یا رسول اللّه، أتکون مع الأنبیاء فإذا ماتوا رُفعت. قال: بل هی باقیة». ثمّ ذکر أنّ عمدة القائلین بذلک الخبر الذی قدّمناه فی سبب النزول من رؤیته صلی الله علیه و آله تقاصر أعمار أُمّته عن أعمار الأُمم، وتعقّبه بقوله هذا محتمل للتأویل، فلا یدفع الصریح فی حدیث أبی ذر کما قاله الحافظان ابن کثیر فی تفسیره، وابن حجر فی فتح الباری.

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۲۹۲

وقد اختلف العلماء فی لیلة القدر اختلافاً کثیراً، وتحصّل لنا من مذاهبهم فی ذلک أکثر من أربعین قولًا، کما وقع لنا نظیر ذلک فی ساعة الجمعة، وقد اشترکنا فی إخفاء کلّ منهما لیقع الحدّ فی طلبهما:

القول الأوّل: إنّها رُفعت أصلًا ورأساً، حکاه المتولّی فی التتمّة عن الروافض، والفاکهانی فی شرح العمدة عن الحنفیة، وکأنّه خطأ منه، والذی حکاه السروجی أنّه قول الشیعة.

أقول: بل الشیعة الإمامیة هم المذهب الوحید علی وجه الأرض القائلون ببقاء الاتّصال بین الأرض والسماء، وأنّ هناک سبب متّصل هو الإمام من عترة النبیّ صلی الله علیه و آله، وإن لم یکن هذا الاتّصال وحیاً نبویّاً، وهو الذی یتنزّل علیه الروح الأعظم والملائکة کلّ عام بعد النبیّ صلی الله علیه و آله، بینما المذاهب الإسلامیة کلّها حتّی الزیدیة، وإن قالوا باستمرار الإمامة السیاسیة وعدم حصرها بالأئمّة المنصوص علیهم وأنّ الإمامة هی لکلّ من قام بالثورة علی الظلم ولا یشترط فیها العصمة، إلّا أنّهم قائلون بانقطاع الاتّصال أیضاً بین الغیب والشهادة، وانقطاع الاتّصال ذهبت إلیه الیهود بعد النبیّ موسی علیه السلام، کما ذهبت إلیه النصاری بعد النبیّ عیسی علیه السلام.

وقال: وقد روی عبد الرزّاق من طریق داود بن أبی عاصم، عن عبد اللّه بن یخنس: قلت لأبی هریرة: زعموا أنّ لیلة القدر رُفعت، قال: کذّب من قال ذلک.

ومن طریق عبد اللّه بن شُریک قال: ذکر الحجاج لیلة القدر فکأنّه أنکرها، فأراد زر بن حُبیش أن یحصبه فمنعه قوم.

الثانی: إنّها خاصّة بسنة واحدة وقعت فی زمن رسول اللّه صلی الله علیه و آله، حکاه الفاکهانی أیضاً.

الثالث: إنّها خاصّة بهذه الأُمّة، ولم تکن فی الأُمم قبلهم، جزم به ابن حبیب وغیره من المالکیة ونقله الجمهور، وحکاه صاحب العدّة من الشافعیة ورجّحه،

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۲۹۳

وهو معترض بحدیث أبی ذر عند النسائی، حیث قال فیه: قلت: یا رسول اللّه صلی الله علیه و آله تقاصر أعمار أمّته عن أعمار الأُمم الماضیة، فأعطاه اللّه لیلة القدر، وهذا یحتمل التأویل، فلا یدفع التصریح فی حدیث أبی ذر. «۱»

لیلة القدر یفصل فیها المقدّرات لأحداث کلّ السنة ...: ص: ۲۹۳

وقال الآلوسی فی روح المعانی فی تفسیر قوله تعالی «مِنْ کُلِّ أَمْرٍ» «۲»

: أی من أجل کلّ أمر تعلّق به التقدیر فی تلک السنة إلی قابل وأظهره سبحانه وتعالی لهم، قاله غیر واحد. ف (من) بمعنی اللام التعلیلیة متعلّقة بتنزّل، وقال أبوحاتم:

(من) بمعنی الباء، أی تنزّل بکلّ أمر، فقیل: أی من الخیر والبرکة، وقیل: من الخیر والشرّ وجعلت الباء علیه للسببیة.

والظاهر على ما قالوا إنّ المراد بالملائكة المدبّرات؛ إذ غيرهم لا ـ تعلّق له بالأمور التى تعلّق بها التقدير ليتنزّلوا لأجلها على المعنى السابق، وهو خلاف ما تدلّ عليه الآثار من عدم اختصاصهم بالمدبّرات. «۳»

ليلة القدر يتحقّقها وتنزّل على من شاء اللّه تعالى من عباده ...: ص: ۲۹۳

جاء فى شرح صحيح مسلم للنووى قوله: (إعلم أنّ ليلة القدر موجودة، وأنّها تُرى ويتحققّها من شاء اللّه تعالى من بنى آدم كلّ سنة فى رمضان، كما تظاهرت عليه الأحاديث وأخبار الصالحين بها، ورؤيتهم لها أكثر من أن تُحصى. وأمّا قول القاضى عياض عن المهلّب بن أبى صُفرة: لا يمكن رؤيتها حقيقةً، فغلط فاحش

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۹۴

نبهتُ عليه لئلّا يُغترّ به) «۱».

وقال فى ذيل سورة الدخان فى قوله تعالى «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ» «۲»

: أى الكتاب المبين الذى هو القرآن على القول المعوّل عليه فى «لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ» هى ليلة القدر، على ما روى عن ابن عبّاس وقتادة.

وفى تحفة المحتاج لابن حجر الهيثمى: «ليس لرائيها كتمها، ولا ينال فضلها أى كمالها إلّامن أطلعه اللّه عليها»، انتهى. والظاهر أنّه عنى برؤيتها رؤية ما يحصل به العلم له بها ممّا خُصّت به من الأنوار وتنزّل الملائكة عليهم السلام، أى نحوٍ من الكشف ممّا لا يعرف حقيقته إلّاأهله، وهو كالنصّ فى أنّها يراها من شاء اللّه تعالى من عباده. ثمّ حكى عن ابن شاهين: إنّه لا ـ يراها أحد من الأوّلين والآخرين إلّا نبيّنا صلى الله عليه و آله.

ثمّ قال: وفى بعض الأخبار ما يدلّ على أنّ رؤيتها مناماً وقعت لغيره صلى الله عليه و آله، ففى صحيح مسلم وغيره عن ابن عمر: «إنّ رجالًا من أصحاب النبىّ صلى الله عليه و آله اُروا ليلة القدر فى المنام فى السبع الأواخر، فقال صلى الله عليه و آله: أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر، فمن كان متحرّياً فليتحرَّها فى السبع الأواخر» «۳».

وحكى نحو قول ابن شاهين عن غيره أيضاً وغلط، ففى شرح صحيح مسلم وابن جُبير ومجاهد وابن زيد والحسن، وعليه أكثر المفسّرين والظواهر معهم..

والمراد بإنزاله فى تلك الليلة إنزاله فيها جملةً إلى السماء الدنيا من اللوح، فالإنزال المنجّم فى ثلاث وعشرين سنة أو أقل كان من السماء الدنيا، وروى هذا عن ابن جرير وغيره، وذكر أنّ المحلّ الذى اُنزل فيه من تلك السماء البيت المعمور، وهو

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۹۵

مسامت للكعبة، بحيث لو نزل لنزل عليها.

وأخرج سعيد بن منصور عن إبراهيم النخعى أنّه قال: اُنزل القرآن جملةً على جبرئيل عليه السلام وكان جبرئيل عليه السلام يجىء به بعدُ إلى النبىّ صلى الله عليه و آله.

ليلة القدر فى سورة الشورى والنزول الأول للقرآن ...: ص: ۲۹۵

وقال فى ذيل قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ..» «۱»

: وهو ما اُوحى إليه عليه الصلاة والسلام، أو القرآن الذى هو للقلوب بمنزلة الروح للأبدان حيث يحييها حياة أبدية. وقيل: أى ومثل الإيحاء المشهود لغيرك، أوحينا أبو القاسم إليك. وقيل: أى مثل ذلك الإيحاء المفصّل، أوحينا إليك، إذ كان عليه الصلاة والسلام اجتمعت له الطرق الثلاث، سواء فُسّر الوحى بالإلقاء، أم فُسّر بالكلام الشفاهى.

وقد ذُكر أنّه عليه الصلاة والسلام قد ألَقى إليه فى المنام كما ألَقى إلى إبراهيم عليه السلام، وألَقى إليه عليه الصلاة والسلام فى اليقظة على نحو إلقاء الزبور إلى داود عليه السلام. ففى «الكبريت الأحمر» للشعرانى نقلًا عن الباب الثانى من «الفتوحات المكّية»: أنّه صلى الله عليه و آله أُعطى القرآن مجملًا قبل جبرئيل عليه السلام، من غير تفصيل الآيات والسور. وعن ابن عبّاس تفسير الروح بالنبوّة. وقال الربيع: هو جبرئيل عليه السلام.

وعليه، فأوحينا مضمّن معنى أرسلنا، والمعنى: أرسلناه بالوحى إليك؛ لأنّه لا يقال: أوحى الملك بل أرسله.

ونقل الطبرسى عن أبى جعفر وأبى عبداللّه رضى اللّه تعالى عنهما: أنّ المراد بهذا الروح ملك أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله ولم يصعد

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۹۶

إلى السماء. وهذا القول فى غاية الغرابة، ولعلّه لا يصحّ عن هذين الإمامين.

وتنوين (روحاً) للتعظيم، أى روحاً عظيماً «۱».. وقال فى ذيل قوله تعالى «وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ» أى الروح الذى أوحيناه إليك. وقال ابن عطية: الضمير للكتاب، وقيل للإيمان ورجّح بالقرب، وقيل للكتاب والإيمان ووحّد؛ لأنّ مقصدهما واحد فهو نظير «وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ» «۲».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۹۷

ليلة القدر فى روايات أهل سنّة الخلافة ... ص: ۲۹۷

دوام ليلة القدر فى كلّ عام إلى يوم القيامة ...: ص: ۲۹۷

۱- فقد روى عبد الرزّاق الصنعانى فى (المصنّف)، بسنده عن مولى معاوية، قال: (قلت لأبى هريرة: زعموا أنّ ليلة القدر قد رُفعت، قال: كذّب من قال كذلك، قلت: فهى كلّ شهر رمضان استقبله؟ قال: نعم.. الحديث) «۱»، ورواه عنه بطريق آخر «۲»، ورواه كنز العمّال أيضاً «۳».

۲- وروى عبد الرزّاق الصنعانى فى المصنّف بسنده عن ابن عبّاس، قال: «ليلة فى كلّ رمضان يأتى، قال: وحدّثنى يزيد بن عبداللّه بن الهاد: إنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله سُئِل عن ليلة القدر، فقيل له: كانت مع النبيّين ثم رُفعت حين قُبضوا، أو هى فى كلّ سنة؟ قال: بل هى فى كلّ سنة، بل هى فى كلّ سنة» «۴».

۳- وروى عن ابن جرير، قال: «حُدّثت: أنّ شيخاً من أهل المدينة سأل أباذر بمنى، فقال: رُفعت ليلة القدر أم هى فى كلّ رمضان؟ فقال أبوذر: سألت رسول اللّه صلى الله عليه و آله فقلت: يا رسول اللّه رُفعت ليلة القدر؟ قال: بل هى كلّ رمضان» «۵».

۴- وروى ابن أبى شيبة الكوفى فى المصنّف فى باب ليلة القدر، بسنده إلى ابن

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۹۸

أبى مرثد عن أبيه، قال: «كنت مع أبى ذر عند الجمرة الوسطى، فسألته عن ليلة القدر، فقال: كان أسأل الناس عنها رسول اللّه صلى الله عليه و آله: ليلة القدر كانت تكون على عهد الأنبياء فإذا ذهبوا رُفعت؟ قال: لا ولكن تكون إلى يوم القيامة» «۱».

۵- أخرج السيوطى فى الدرّ المنثور: «عن محمّد بن نصر، عن سعيد بن المسيب أنّه سُئل عن ليلة القدر، أهى شىء كان فذهب، أم هى فى كلّ عام؟ فقال: بل هى لأُمّة محمّد ما بقى منهم اثنان» «۲».

أقول وفى هذه الرواية وإن كانت مقطوعة دلالة على أن لو بقى فى الأرض رجلٌ واحد لكان الثانى هو الحجّة وخليفة اللّه فى الأرض، الذى تنزّل عليه ليلة القدر بمقادير الأُمور، وأنّ ليلة القدر هى من حقائق وخصائص روح الحجّة فى الأرض.

۶- وروى الطبرى بسنده عن ربيعة بن كلثوم، قال: «قال رجل للحسن وأنا أسمع:
أرأيت ليلة القدر فى كلّ رمضان هى؟ قال: نعم، واللَّه الذى لا إله إلّاهو أنّها لفى كلّ رمضان، وأنّها ليلة القدر فيها يُفرق كلّ أمر حكيم، فيها يقضى اللَّه كلّ أجل وعمل ورزق إلى مثلها» «۳».

النزول فى ليلة القدر وحى للأنبياء، واستمراره بعد الأنبياء ...: ص: ۲۹۸

قال ابن خزيمة فى صحيحه «۴»: باب ذكر أبواب ليلة القدر والتأليف بين الأخبار المأثورة عن النبىّ صلى الله عليه و آله، فيها ما يحسب كثيراً من حملة العلم ممّن لا يفهم صناعة العلم أنّها متهاترة متنافية وليس كذلك، هى عندنا بحمد اللَّه ونعمته، بل هى
الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۲۹۹
مختلفة الألفاظ متّفقة المعنى على ما سأبيّنه إن شاء اللَّه.
قال أيضاً: باب ذكر دوام ليلة القدر فى كلّ رمضان إلى قيام الساعة، ونفى انقطاعها بنفى الأنبياء.
۷- وروى بسنده إلى أبى مرثد، قال: «قال: لقينا أباذر وهو عند الجمرة الوسطى فسألته عن ليلة القدر، فقال: ما كان أحد بأسأل لها منّى، قلت: يارسول اللَّه ليلة القدر أُنزلت على الأنبياء بوحى إليهم فيها ثمّ ترجع؟ فقال: بل هى إلى يوم القيامة..
الحديث» «۱»
، ورواه بطريق آخر أيضا فى باب أنّ ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان «۲».
۸- وروى النسائى، والقسطلانى، والهيثمى، وابن حجر فى فتح البارى، وابن كثير فى تفسيره حديث أبى ذر فى ليلة القدر قال: «يا رسول اللَّه أتكون مع الأنبياء فإذا ماتوا رُفعت؟ قال: بل هى باقية».
۹- وروى أحمد بن محمّد بن سلمة فى شرح معانى الآثار، فى باب الرجل يقول لامرأته أنت طالق ليلة القدر، متى يقع الطلاق؟ بسنده إلى مالك ابن مرثد عن أبيه، قال: «سألت أباذر فقلت: أسألت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عن ليلة القدر؟ قال: نعم، كنت أسأل الناس عنها، قال عكرمة: يعنى أشبع سؤلًا، قلت: يا رسول اللَّه، ليلة القدر أفى رمضان هى أم فى غيره؟ قال صلى الله عليه و آله: فى رمضان. قلت: وتكون مع الأنبياء ما كانوا فإذا رُفعوا رُفعت؟ قال: بل هى إلى يوم القيامة» «۳».
۱۰- وفى صحيح ابن حبان، قال فى باب ذكر البيان بأنّ ليلة القدر تكون فى العشر الأواخر كلّ سنة إلى أن تقوم الساعة، ثمّ روى بسند متّصل رواية أبى ذر
الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۰۰
المتقدّمة واللفظ فيها.. «تكون فى زمان الأنبياء ينزل عليهم الوحى، فإذا قُبضوا رُفعت؟
فقال صلى الله عليه و آله: بل هى إلى يوم القيامة» «۱».
وروى البيهقى فى فضائل الأوقات رواية أبى ذر المتقدّمة بإسناده «۲»، وقال قبل تلك الرواية: وليلة القدر التى ورد القرآن بفضيلتها إلى يوم القيامة وهى فى كلّ رمضان ... ثمّ نقل الخبر المزبور. وروى الهيثمى فى موارد الظمآن رواية أبى ذر بسنده «۳».
۱۱- وروى أحمد بن محمّد بن سلمة فى معانى الآثار، فى باب الرجل يقول لامرأته أنت طالق ليلة القدر، متى يقع الطلاق؟ بسنده إلى سعيد بن جبير عن ابن عمر، قال: «سُئل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأنا أسمع عن ليلة القدر؟ فقال: فى كلّ رمضان». ففى هذا الحديث أنّها فى كلّ رمضان، فقال قوم هذا دليل على أنّها تكون فى أوّله وفى وسطه، كما قد تكون فى آخره. وقد يحتمل قوله صلى الله عليه و آله فى كلّ رمضان هذا المعنى، ويحتمل أنّها فى كلّ رمضان إلى يوم القيامة «۴»، ورواه بطرق اخرى غير مرفوعة.
أقول: هذه الروايات عند العامّة مطابقة لما يأتى من الروايات عند أهل البيت عليهم السلام، من عدّة وجوه، أهمّها:
أوّلًا: ليلة القدر كانت من لَدُن آدم عليه السلام، واستمرّت إلى النبىّ الخاتم صلى الله عليه و آله، وهى مستمرّة إلى يوم القيامة نزولًا

على خلفاء النبىّ الاثنى عشر.

وثانياً: إنّ هذا الروح النازل فى ليلة القدر هو قناة ارتباط الأنبياء والأوصياء مع الغيب.

وثالثاً: ممّا يدلّل على عموم الخلافة الإلهية: «إِنِّی جَاعِلٌ فِی الْأَرْضِ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۰۱

خَلِیفَةً» «۱»

من لدن آدم وفى أوصياء كلّ نبىّ حتّى أوصياء النبىّ الخاتم، وأنّ هذه السفارة الإلهية لم تزل متّصلة ما استمرّ بنو آدم فى العيش على الأرض.

استمرار نزول باطن القرآن فى ليلة القدر إلى يوم القيامة ...: ص: ۳۰۱

۱۲- وروى الطبرانى فى المعجم الكبير بسنده: (حدّثنا أحمد بن رشدين، ثنا أبوصالح الحرانى سنة ثلاثة وعشرين ومئتين، حدّثنا حيان بن عبيداللّه بن زهير المصرى أبو زهير منذ ستّين سنة، قال: سألت الضحاك بن مزاحم عن قوله: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِیبَةٍ فِی الْأَرْضِ وَلَا فِی أَنْفُسِکُمْ إِلَّا فِی کِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِکَ عَلَی اللَّهِ یَسِیرٌ» «۲»

، وعن قوله: «إِنَّا کُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» «۳»

، وعن قوله:

«إِنَا کُلَّ شَیْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» «۴»

، فقال: قال ابن عبّاس: إنّ اللّه عزّوجلّ خلق العرش فاستوى عليه، ثم خلق القلم فأمره ليجرى بإذنه، وعُظمَ القلم ما بين السماء والأرض، فقال القلم: بم يا ربّ أجرى، قال: بما أنا خالق وكائن فى خلقى من مطر أو نبات أو نفس أو أثر، يعنى به العمل أو الرزق أو الأجل، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فأثبته اللّه فى الكتاب المكنون عنده تحت العرش. وأمّا قوله «إِنَّا کُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فإنّ اللّه وكّل ملائكته يستنسخون من ذلك الكتاب كلّ عام فى رمضان ليلة القدر ما يكون فى الأرض من حدث إلى مثلها من السنة المقبلة، فيعارضون به حفظة اللّه على العباد كلّ عشية خميس، فيجدون ما رفع الحفظة موافق لما فى كتابهم ذلك، ليس فيه زيادة ولا نقصان) «۵».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۰۲

أقول: فى تفسير ابن عبّاس لهذه الآيات عدّة أُمور:

الأوّل: كلّ ما كان وما يكون وما هو كائن فهو مستطرّ مكتوب فى الكتاب المكنون، الذى هو الوجود الغيبى للقرآن الكريم.

والثانى: إنّه يتنزّل منه ليلة القدر ما يتعلّق بكلّ سنة، وهذا يقتضى احتواء القرآن الكريم، وكذا ما ينزل منه ليلة القدر لكلّ تقدير فى الخلق، وقدر كلّ كائن وتكوين.

والثالث: إنّ ما يتنزّل ليلة فى كلّ عام هو ما وراء لفظ التنزيل، فلا تقتصر حقيقة القرآن وباطنه وتأويله على ظاهر لفظ المصحف.

والرابع: إنّ عشية كلّ خميس أى ليلة الجمعة هناك معارضة الكتبة الحفظة على العباد من أعمال، وبين ما نزل من الكتاب المكنون من القرآن فى ليلة القدر.

وهذه الأُمور الأربعة أُشير إليها بنحوٍ مستفيض فى روايات أهل البيت عليهم السلام كما سيأتى، ولا غرو فى ذلك؛ لأنّ ابن عبّاس قد نهل من أمير المؤمنين والحسنين عليهم السلام فعرف منهم هذا المقدار، وإن خفى عليه ما هو أعظم.

فيتحصّل من كلامه:

الخامس: اشتمال القرآن لكلّ علم وجميع العلوم.

السادس: إنّ ما ينزل فی ليلة القدر من كلّ عام إلی يوم القيامة هو من باطن القرآن.

السابع: فباطن القرآن لا زال يتنزّل فی كلّ عام إلی يوم القيامة، وقد ذُكر كلّ ذلك فی روايات أهل البيت عليهم السلام.

الثامن: إنّه يتمّ معارضة أی مطابقة ما ينزل منه ليلة القدر فی كلّ أُسبوع، كما قد حصل للنبیّ صلی الله عليه و آله معارضة ظاهرة التنزيل كلّ عام مع جبرئيل عليه السلام.

۱۳- وروی البيهقی فی فضائل الأوقات بسند متّصل إلی أبی نظير، قال: يفرّق

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۰۳

أمر السنة كلّها فی ليلة القدر، بلائها ورخائها ومعاشها إلی مثلها من السنة «۱».

تباين حقيقة النازل من القرآن فی المرتين تكرّر نزول جملة القرآن مرّتين بل أكثر إلی يوم القيامة ...: ص: ۳۰۳

۱۴- روی الطبرانی فی المعجم الكبير، بسند متّصل إلی ابن عبّاس فی قوله تعالی: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ»، قال: أُنزل القرآن جملة واحدة حتّی وضع فی بيت العزّة فی السماء الدنيا، ونزّله جبرئيل علی محمّد صلی الله عليه و آله بجواب كلام العباد وأعمالهم «۲».

۱۵- وروی ابن أبی شيبة الكوفی فی المصنّف فی باب القرآن متی نزل، بسند متّصل عن ابن عبّاس فی قوله «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ»، قال: رفع إلی جبرئيل فی ليلة القدر جملة، فرفع إلی بيت العزّة، جعل ينزل تنزيلًا «۳».

۱۶- وروی النسائی فی السنن الكبری بسند متّصل عن ابن عبّاس، قال: نزل القرآن فی رمضان فی ليلة القدر إلی السماء الدنيا، فكان إذا أراد اللَّه أن يحدث شيئاً نزل، فكان بين أوّله إلی آخره عشرين.

وروی مثله بخمسة طرق أُخری كلّها عن ابن عبّاس، وزاد فی بعضها، قال: «وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا» «۴»

، وقرأ:

«وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلَی مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا» «۵».

وفی طريق آخر منها زاد، وذلك «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ» «۶». «۷»

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۰۴

۱۷- وروی الطبرانی فی المعجم الأوسط، قال: روی نزول القرآن فی ليلة القدر فی شهر رمضان إلی السماء الدنيا جملة ثمّ أُنزل نجوماً، ورواه بطرق أُخری متعدّدة «۱».

ومقتضی هذه الروايات، أنّ الذی نزل به جبرئيل علی النبیّ من القرآن أنّما هو النزول الثانی، أی النزول نجوماً من السماء الدنيا من بيت العزّة إلی النبیّ صلی الله عليه و آله، دون النزول الأوّل الذی هو جملة واحدة، ودون النزول المستمرّ فی كلّ عام فی ليلة القدر، ويقتضيه ظاهر آية سورة الشوری وسورة القدر، كما سيأتی بيانه مفصّلًا، وأنّ النازل بجملة القرآن وفی ليلة القدر من كلّ عام إلی يوم القيامة هو روح القدس، والذی أُطلق عليه فی القرآن «رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا»، وجُعل فی سورة القدر مقابل للملائكة «يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ» «۲».

ومن ذلك يُعلم الاختلاف النوعی فی حقيقة التنزيلين، وأنّ النوعية الأُولی من النزول وهی نزول القرآن جملة- هو المستمرّ فی ليلة القدر إلی يوم القيامة، وهو يرتبط بتأويل الكتاب، وتقدير كلّ شیء يقع من المقادير فی الخلق.

نزول القرآن ليلة القدر علی آل محمّد عوض غصب الخلافة ...: ص: ۳۰۴

۱۸- وروی البيهقی فی كتاب فضائل الأوقات بسند متّصل إلی يوسف بن مازن، قال: «قام رجل إلی الحسن بن علیّ رضی الله عنه

فقـال: يـا مسوّد وجه المؤمنين. قال الحسن بن عليّ رضـى الله عنه: لا تؤنّبنى رحمك اللّه؛ فإنّ رسول اللّه صـلى الله عليه و آله قـد رأى بنى أُميّة يخطبون على

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۰۵

منبره رجلًا فرجلًا فساءه ذلك، فنزلت «إنّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ» «۱»

نهر فى الجنّة، ونزلت «إنّا أنْزَلْناهُ فى لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَما أدْراکَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيَلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» «۲»

تملكه بنو أُمية، فحسبنا ذلك ... فإذا هو لا يزيد ولا ينقص» «۳».

۱۹- وروى ابن أبى الحديد، قال: «وقد جاء فى الأخبار الشائعة المستفيضة فى كتب المحدّثين، أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله أُخبر أنّ بنى أُميـة تملـك الخلافـة بعـده مع ذمّ منه صـلى الله عليه و آله لهم. نحو مـا روى عنه فى تفسير قوله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِى الْقُرْآنِ» «۴»

، فإنّ المفسـِرين قالوا: إنّه رأى بنى أُميـة ينزون على منبره نزو القردة، هذا لفظ رسول اللّه صـلى الله عليه و آله الذى فسّـر لهم الآية به، فساءه ذلک، ثمّ قال: الشـجرة الملعونـة بنى أُمية وبنى المغيرة. ونحوه قوله صـلى الله عليه و آله: إذا بلغ بنو العاص ثلاثون رجلًا اتّخذوا مال اللّه دولًا وعباده خولًا. ونحوه قوله صلى الله عليه و آله فى تفسير قوله تعالى: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» «۵»

قال: ألف شهر يملك بها بنو أُمية».

وورد عنه صـلى الله عليه و آله فى ذمّهم الكـثير المشـهور نحـوه.. وروى المـدائنى عن دخول سـفيان بن أبى ليلى النهـدى، روايـة عن الحسن بن عليّ عليه السلام فى تفسير الآية، وهى التى قد تقدّم ذكرها «۶».

۲۰- وروى الطبرى فى سورة القدر بسنده المتّصل عن عيسى بن مازن، قال:

«قلت للحسن بن عليّ رضـى الله عنه: يا مسوّد وجوه المؤمنين، عمـدت إلى هذا الرجل فبايعت له يعنى معاوية بن أبى سـفيان فقال: إنّ رسول اللّه صـلى الله عليه و آله أُرى فى منامه بنى أُميـة يعلون منبره خليفـة خليفة فشقّ ذلک عليه، فأنزل اللّه: «إنّا أَعطَيْناکَ الْكَوْثَرَ»، و «إنّا أنْزَلْناهُ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۰۶

فى لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَما أَدْراکَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَـهْرٍ»، يعنى ملك بنى أُمية». قال القاسم: حسـبنا ملک بنى أُمية فإذا هو ألف شهر».

۲۱- وروى الترمذى فى سننه، والحاكم بسند متّصل إلى الحسن بن عليّ عليه السلام:

«إنّ النبىّ صـلى الله عليه و آله أُرى بنى أُميـة على منبره فساءه ذلک، فنزلت «إنّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ»، ونزلت «إنّا أنْزَلْناهُ فى لَيْلَـةِ الْقَدْرِ».. الحديث» «۱».

ورواه السيوطى فى الدرّ المنثور عن جرير والطبرانى وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل من رواية يوسف بن سعد، وأخرج الخطيب عن ابن عبّاس نحوه، وكـذا عن ابن نسيب، عنه صـلى الله عليه و آله: «أُريت بنى أُمية يصـعدون منبرى فشقّ ذلک علىّ، فانزلت «إنّا أنْزَلْناهُ فى لَيْلَةِ الْقَدْرِ»».

أقول: ومقتضى هذه الروايات أنّ اللّه تعالى قد عوّض النبىّ وأهل بيته عن غصب الخلافة الظاهرية بإعطائهم ليلة القدر، أن تكون معهم كما كانت مع الأنبياء السابقين؛ إذ مقتضـى جواب الإمام الحسن بن عليّ عليه السـلام عن غصب معاويـة الخلافة منه، هو أنّ اللّه تعالى قـد عوّض النبىّ وأهل بيته أصـحاب الكساء والأئمّة الاثنى عشـر سـلام اللّه عليهم بنزول الروح عليهم والملائكة فى ليلة القدر يتبّئونهم بكلّ أمر، وإلّا لما صحّ جواب الإمام الحسن بن على عليه السـلام فى قبال اعتراض السائل، بل ولما كان تعويض للنبىّ صـلى الله عليه و آله، فإنّ مساءة النبىّ من نزو بنى أُمية على خلافته وغصبهم لها ليس فى زمانه، وإنّما بعد رحيله صلى الله عليه و آله حيث وقعت الفتنة

بنصّ الآية الكريمة: «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِى الْقُرْآنِ» «۲»

، وبنصّ الروايات الواردة فى ذيل الآيـة عن النبىّ من طريقهم فضـلًا من طرقنا، فهـذه الروايات المسـتفيضة عندهم وعندنا فى ذيل الآية مع نفس

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۰۷

مضمون الآية هى أحد ملامح الأدلّة على إمامة أهل البيت عليهم السلام وغصب أهل السقيفة وبنو أُمية للخلافة.

كما أنّها دالّة على أنّ ليلة القدر وما يتنزّل فيها والروح النازل، كلّ ذلك يرتبط ارتباطاً وثيقاً بحقيقة إمامتهم التكوينية الإلهية.

وسيأتى لاحقاً فى هـذا الفصل والـذى يُعـدّ أيضاً ارتباط حقيقة ليلة القدر بحكومتهم السياسـية الخفية فى النظام الاجتماعى السياسـى، ولكن بنمو تكوينى منظومى.

وهذا النازل فى ليلة القدر ليس وحى شريعة، وإنّما هو علم فى الإدارة والتدبير والقيادة والإمامة الإلهية، ومحلّ تقدير وتدبير لكلّ شيء فى القضاء والقدر الإلهى إلى السنة المقبلة.

حقيقة القرآن هى الروح النازل ليلة القدر ...: ص: ۳۰۷

۲۲- وروى السيوطى فى ذيل سورة النحل قوله تعالى: «يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ» «۱»

، قال: أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عبّاس فى قوله تعالى:

«يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ»، قال: بالوحى.

۲۳- وكـذلك روى السـيوطى فى الموضع السـابق عن جملـة من المصـادر، عن قتـادة فى قوله: «يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَـةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ»، قال: بالوحى والرحمة. وأخرج عن جملة، عن الضحّاك فى قوله تعالى: «يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ»، قال: القرآن «۲».

وروى الطبرى بسنده عن قتادة مثله.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۰۸

۲۴- وروى السيوطى فى الدرّ المنثور فى سورة الشورى فى ذيل قوله تعالى:

«وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ» «۱»

، قـال: أخرج ابن المنـذر وابن أبى حـاتم عن ابن عبّـاس (رضـى اللّه عنهمـا) فى قوله: «وَكَـذَلِكَ أَوْحَيْنَـا إِلَيْـكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا»، قال: القرآن «۲».

حقيقة الوحى هو نزول الروح كما فى ليلة القدر ومستمرّ إلى يوم القيامة ...: ص: ۳۰۸

أقول: ويُسـتفاد من مجموع هذه الطائفة من الروايات: أنّ حقيقة القرآن هى الروح الذى يتنزّل فى كلّ ليلة قدر، وأنّ نزوله فى كلّ ليلة قدر نزول للوحى الإلهى، بل إنّ الوحى ليس إلّانزول الروح والملائكة على من يشاء من العباد المصطفون، من الأنبياء والأوصياء، ومن ثمّ عبّر فى سورة الشورى فى قوله تعـالى: «وَكَـذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَـدْرِى مَا الْكِتَابُ» عن إرسال الروح الأمرى بأنّه وحىٌ، فالوحى هو إنزال الروح وإنزال الروح هو وحى، فتصـريح القرآن الكريم فى سورة القدر بتنزيل الروح كلّ عام، هو تصريح باستمرار الوحى بعد سيد الأنبياء، غاية الأمر الذى يتنزّل هو من غيب القرآن الذى قد ورّثه النبىّ صلى الله عليه و آله لأوصيائه.

عقيدة البداء وحقيقة ليلة القدر ...: ص: ۳۰۸

٢٥- وروى الطبرى فى سورة الرعد فى ذيل قوله تعالى: «يَمْحُواْ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أَمُّ الْكِتَابِ» «٣»

بسنده المتّصل عن مجاهد قول اللّه: «يَمْحُواْ اللَّهُ مَا

يَشَاءُ وَيُثْبِتُ»، قالت قريش حين أُنزل: «وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِىَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ»: ما نراك يا محمّد تملك من شىء، ولقد فُرغ من الأمر، فأُنزلت هذه الآية تخويفاً ووعيداً لهم أنّا إن شئنا أحدثنا من أمرنا ما شئنا، ونُحدث فى كلّ رمضان فنمحو ونثبت ما نشاء من أرزاق الناس ومصائبهم، وما نعطيهم وما نقسّم لهم «١».

أقول: وفى هذه الرواية والروايات التى رويت فى ذيل الآية والتى رواها أهل سنّة جماعة الخلافة والسلطان، دالّة على عقيدة البداء التى هى نوع من النسخ التكوينى الواردة فى روايات أهل البيت، كما تدلّ هذه الروايات على أنّ ما فى أمّ الكتاب الذى هو أصل القرآن وحقيقته العلوية الغيبية، متضمّن لكلّ قضاء وقدر، وليس هو مجرّد ظاهر التنزيل، وهذه الحقيقة للقرآن لا ينالها إلّاالمعصوم الذى ينزّل عليه الروح فى ليلة القدر، ولا يطمع فى نيلها غير المعصوم؛ إذ ليس الأمر بالأمانى والتمنّى، هيهات. وما سيأتى ومضى من رواياتهم لا يخفى تضمّنه لمعنى النسخ والبداء.

٢٦- وروى الطبرى فى سورة الدخان، بسنده عن ابن زيد فى قوله عزّوجلّ:

«إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ» «٢»

، قال: تلك الليلة ليلة القدر، أنزل اللّه هذا القرآن من أُمّ الكتاب فى ليلة القدر، ثمّ أنزله على الأنبياء فى الليالى والأيام، وفى غير ليلة القدر «٣».

أقول: هذه الرواية دالّة على أنّ الذى يتنزّل من أُمّ الكتاب الذى هو أصل القرآن وحقيقته الغيبية العلوية، والذى يتنزّل منه، ليس ظاهر التنزيل، بل كلّ المقادير وقضاء الحوادث الكونية وأنّ ذلك التنزّل مستمرّ ليس فى خصوص ليلة القدر،

بل على مرّ الليالى والأيام والآناء واللحظات، وأنّه لا زال يتنزّل بعد ذهاب الأنبياء، يتنزّل على الأوصياء خلفاء النبىّ- الاثنى عشر من قريش سلام اللّه عليهم، وهذا المضمون قد ورد فى روايات أهل البيت عليهم السلام.

٢٧- وروى الطبرى فى سورة الرعد، بسند متّصل عن قتادة قوله تعالى:

«وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»، قال: جملة الكتاب وأصله.

٢٨- وروى الطبرى فى الموضع المذكور بسنده إلى الضحّاك فى قوله:

«وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»، قال: كتاب عند ربّ العالمين.

٢٩- وروى الطبرى عن الضحّاك أيضاً فى الموضع المزبور «وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»، قال: جملة الكتاب وعلمه، يعنى ما بذلك ما ينسخ منه وما يثبت.

وروى نظيره بسند متّصل عن ابن عبّاس «كَانَ ذَلِكَ فِى الْكِتَابِ مَسْطُورًا» «١».

أقول: مقتضى التعبير بلفظ جملة الكتاب عنده تعالى، أنّ ظاهر التنزيل ليس كلّ درجات حقيقة الكتاب، وأنّ جملته مجموع ما فيه من التأويل والحقائق وكلّ قضاء وقدر، وكلّ ما كان ويكون فهو فى أُمّ الكتاب، وهو الذى ينزل منه كلّ عام فى ليلة القدر بتوسّط الروح، وأنّه لازال ينزل من باطن الكتاب وتأويل كلّ عام فى ليلة القدر إلى يوم القيامة، بل فى كلّ ليلة، وأنّه كما مرّ فى بعض الروايات المتقدّمة.

وكلّ هذا المضمون قد ورد فى روايات أهل البيت كما ستأتى الإشارة إليه، فللكتاب جملة يستطرّ فيها كلّ شىء، ما من غائبة فى السماء والأرض، ولا رطب ولا يابس إلّافى كتاب مبين، فظاهر التنزيل الذى بين الدفّتين وهو المصحف الشريف، لا يحيط ولا يحتوى

بما فی أُمّ الكتاب، وإنّما هو ظهر يوقف عليه

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۱۱

للوصول إلى البطون والتأويلات والحقائق، بهداية الراسخين فی العلم الذين هم أهل آية التطهير الذين يمسّون الكتاب المكنون، كما دلّت على ذلك الآيات الكريمة فی السور المختلفة.

بل إنّ من تصريح الآيات بأنّ أهل البيت المطهّرين الذين يمسّون الكتاب المكنون، يُعلم بالتلازم أنّ أهل البيت هم الذين يتنزّل عليهم روح القدس فی ليلة القدر، بما فی أُمّ الكتاب من القضاء والقدر لكلّ سنة، كما أنّ من التلازم فی حديث الثقلين من العترة والكتاب وعدم افتراقهما، يُعلم تلازمهما فی كلّ ما ينزل من الكتاب فی كلّ سنة.

كما أنّ من التعبير بأنّ عنده أُمّ الكتاب الذی هو جملة مجموعه، وأصله وحقيقته التعبير بأنّ هذه الجملة والحقيقة عند اللّه للدلالة على القرب المعنوی بحسب نشأة عوالم الخلقة، فمكانته الوجودية غيبية مكنونة فی لوح محفوظ ذات مجد كونی وتكوينی، وهی الروح الأعظم كما سيأتی فی الروايات.

۳۰- وروی بسنده عن ابن عبّاس أنّه سأل كعب عن أُمّ الكتاب، قال: علم اللّه ما هو خالق ما خلقه عاملون، فقال لعلمه: كن كتاباً فكان كتاباً.. وقال الطبری بعد ذلك: وأولى الأقوال بذلك بالصواب قول من قال وعنده أصل الكتاب وجملته؛ وذلك أنّه تعالى ذِكره أخبر أنّه يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء، ثم عقّب بذلك بقوله: «وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»، فكان بيّناً أنّ معناه عنده أصل المثبت منه والمحو، وجملته فی كتاب لديه.

۳۱- وروی الطبری فی سورة الدخان بسند متّصل عن ابن زيد فی قوله عزّوجلّ: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِی لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ» «۱»

، قال: تلك الليلة ليلة القدر،

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۱۲

وأنزل اللّه هذا القرآن من أُمّ الكتاب فی ليلة القدر، ثمّ أنزله على الأنبياء فی الليالی والأيام وفی غير ليلة القدر.

۳۲- وروی الطبری فی ذيل سورة الدخان بسنده عن عمر مولى غفرة، قال:

يقال: ينسخ لملك الموت من يموت فی ليلة القدر إلى مثلها؛ وذلك لأنّ اللّه عزّوجلّ يقول: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِی لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ»، وقال: «فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ» «۱»

، قال: فتجد الرجل ينكح النساء ويغرس الغرس واسمه فی الأموات.

أقول: ومقتضى هاتين الروايتين أنّ القرآن النازل فی ليلة القدر- وهی الليلة المباركة- يُسمّى بحسب حقيقته الغيبية بعدّة أسماء، وهی بحسب مراتبه الغيبية:

الكتاب المبين، وأُمّ الكتاب، والكتاب المكنون. كما أنّ مقتضى الرواية الأخيرة هيمنة القرآن والروح النازل فی ليلة القدر على وظائف ملك الموت، وأنّه تابع منقاد للروح، وكذلك ميكائيل الموكّل بالأرزاق، وإسرافيل الموكّل بالأحياء، وجبرئيل الموكّل بالعلم والبطش.

وقال الطبری فی ذيل سورة الدخان: وقوله: «إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ» «۲»

، يقول تعالى ذكره: «إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ» رسولنا محمّد صلی الله عليه و آله إلى عبادنا «رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» «۳».

وقال: وقوله: «أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ» «۴»

، يقول تعالى ذكره: فی هذه

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۱۳

الليلة المباركة يُفرق كلّ أمر حكيم أمراً من عندنا.

أقول: إنّ الإرسال فی الآيات الكريمة فی سورة الدخان مرتبط بإنزال الروح ليلة القدر بتقادير الحوادث كلّها، وهذا الإرسال فی كلّ ليلة قدر من كلّ عام إلی يوم القيامة وإن لم يكن إرسال نبوّة ورسالة، بل هو تزويد لخليفة اللّه فی الأرض، واطّلاعه بإرادات اللّه ومشيئاته للقيام بالمسؤوليات الإلهية الخطيرة التی تعهد إليه من الباری تعالی، والتی تتوقّف علی هذا الكمّ الهائل من العلم بالمقدّرات الإلهية المستقبلية.

دوام ليلة القدر من الروايات الحاثّة علی فضيلتها فی الصحاح ...: ص: ۳۱۳

قد عقد البخاری ومسلم كلّ منهما باباً بعد كتاب الصوم أُدرج فيه خمسة أبواب:

الأوّل: فی فضل ليلة القدر.

الثانی: التماس ليلة القدر فی السبع الأواخر.

الثالث: تحرّی ليلة القدر فی الوتر من العشر. وأورد فيها البخاری روايات عن النبیّ صلی الله عليه و آله كلّها آمره بالتماس وتحرّی ليلة القدر، أی طلبها كلّ عام، ممّا يقضی بدوام ليلة القدر إلی يوم القيامة.

وممّا أورده فی تلك الروايات بسنده عن ابن عمر أنّ رجالًا من أصحاب النبیّ صلی الله عليه و آله أُروا ليلة القدر فی المنام فی السبع الأواخر، فقال صلی الله عليه و آله: أری رؤياكم قد تواطأت فی السبع الأواخر، فمن كان متحرّيها فليتحرّها فی السبع الأواخر.

أقول: مقتضی هذه الرواية أنّ ليلة القدر حقيقة قد يری بعضُ آياتها، وبعض لمعانها وأنوارها بعضُ البشر. ومثله فی صحيح مسلم.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۱۵

شهر رمضان إعداد لليلة القدر هی باب عظيم لمعرفة الإمام عليه السلام ... ص: ۳۱۵

اشارة

فكما أن هناك صلة بين شهر رمضان وليلة القدر، فهناك صلة وثيقة بينهما وبين حقيقة الإمام عليه السلام، وكما أنّ شهر رجب وشهر شعبان يوطّئان ويمهّدان لشهر رمضان، فكذلك شهر رمضان يوطئ لليلة القدر، وليلة القدر بدورها توطئ لنزول الروح والملائكة الذی هو نزول لحقيقة القرآن، والروح أنّما ينزل بكلّ أمر علی من يصطفيه اللّه من عباده فی كلّ عام وهو الإمام، وتعظيم شهر رمضان أنّما هو لما فيه من ليلة القدر، وعظمة ليلة القدر أنّما هی لما فيها من نزول الروح ونزول القرآن، وهو أنما ينزل علی من يشاء من عباد اللّه، مَنْ اصطُفی لذلك.

فشهر رمضان بيئة نورية لليلة القدر، وليلة القدر بيئة أشدّ نوراً لنزول الروح، ونزول الروح أشدّ نوراً بأضعاف عند من يتنزّل عليه الروح. فالانشداد إلی شهر رمضان انشداد إلی ليلة القدر، والانشداد إلی ليلة القدر انشداد إلی الإمام الذی يتنزّل عليه الروح. وإدراك ليلة القدر هو بمعرفة حقيقة القدر وهی نزول الروح علی من يشاء اللّه من عباده المصطفين بكلّ أمر يقدّره من حوادث السنةّ، فمعرفة ليلة القدر معرفة لحقيقة النبوّة والإمامة وإدراكها هو بهذه المعرفة.

روی الكلينی عن أبی جعفر عليه السلام، قال: «.. فضل إيمان المؤمن بجملة «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» وتفسيرها علی من ليس مثله فی الإيمان بها، كفضل الإنسان علی البهائم،

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۱۶

وإنّ اللّه عزّوجلّ ليدفع بالمؤمنين بها عن الجاحدين لها فی الدنيا لكمال عذاب الآخرة لمن علم أنّه لا يتوب منهم- ما يدفع بالمجاهدين عن القاعدين»، الحديث «۱».

بيئة ليلة القدر شهر رمضان ...: ص: ۳۱۶

إنّ الناظر في خصائص شهر رمضان وما أحيط به من هالة معنوية وزخم روحي كبير وتركيز مكثّف هو تمهيد لليلة القدر، وإنّ ذلك لا يقتصر على شهر رمضان بل يبدأ من شهر رجب ومن بعده شهر شعبان إلى أن يصل شهر رمضان، شهر اللَّه الذي عُظّم من اللَّه عزّوجلّ، حيث نُسب إليه تعالى وجُعلت فيه ليلة القدر.

وكذلك كونه شهر ضيافة اللَّه عزّوجلّ وأنّه أُنزل فيه القرآن العظيم، حيث قال تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ» «۲».

وكلّ هذا التعظيم حلقات مترابطة لتصل إلى ما في شهر رمضان من أوج العظمة وهي ليلة القدر، حيث إنّ فضائل شهر رمضان في جانب وفضائل ليلة القدر في جانب آخر، فإنّ كلّ ما حفّ به شهر رجب الأصبّ الذي تصبّ فيه الرحمة صبّاً، وشهر شعبان الذي تتشعّب فيه طرق الخير، كلّ ذلك قد تضاعف أضعافاً في خصائص شهر رمضان، وتضاعف ما في شهر رمضان من خصائص إلى ثلاثين ألف ضعف في ليلة القدر.

فليلة القدر هي أوج عظمة الضيافة الإلهية والحفاوة الربّانية، فأوج نصيب حظّ العباد إدراك ليلة القدر، إلّاأنّ هذا الإدراك للّيلة العظيمة ليس بمجرّد الكمّ الكبير من العبادات والأدعية والابتهال والتنفّل؛ فإنّ كلّ ذلك إعداد ضروري لما وراءه من

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۱۷

إدراك آخر لحقيقة ليلة القدر وهو معرفة هذه الليلة، ومعرفتها هو بمعرفة حقيقتها المتّصلة بحقيقة الإمام والإمامة.

فمن ثمّ كان شهر رمضان شهر اللَّه الأغرّ وشهر معرفة الإمام خليفة اللَّه في أرضه، فكما أنّ شهر رمضان نفخ بالحياة للدين القويم، فإنّ ليلة القدر هي القلب النابض في هذا الشهر؛ لما لها من صلة بالإمام وتنزّل الروح الأعظم عليه.

فشهر رمضان بوابة لمعرفة ليلة القدر، وليلة القدر بوابة لمعرفة الإمام والارتباط به والانشداد إليه، فجُعل شهر رمضان سيد الشهور كما جاء في روايات الفريقين، وجُعلت ليلة القدر قلب شهر رمضان كما ورد في الحديث.

وقد جُعل شهر رمضان أعظم حرمة من الأشهر الحُرُم الأربعة، وهذه العظمة لشهر رمضان أنّما هو لما فيه من تلك الليلة العظيمة، فهو كالجسم وهي كالروح له، مع أنّ شهر رمضان هو كالروح للأشهر الحُرُم الأربعة التي منها شهر رجب.

وكلّ ذلك يرسم مدى العظمة التي تحتلّها ليلة القدر، وقد بيّن الغاية من الصيام في شهر رمضان في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» «۱».

والصيام على درجات كما كان في الشرائع السابقة، فلا يقتصر على الإمساك البدني بل يرتبط بالدرجات الاعتقادية كالإمساك عن الكذب على اللَّه ورسوله، فصيام على مستوى الجانب البدني وصيام الجوانح وصيام على مستوى الحالات النفسية والخواطر، وهناك صيام على مستوى الحالات القلبية وحالاته وخواطره.

وأعظم المراتب على مستوى الاعتقاد، كما يشير إليه قول الإمام الصادق عليه السلام

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۱۸

في رواية جراح المدائني «۱»، فبيّن عليه السلام صوم الصمت كما هو صوم زكريا ومريم، وعُرف بصوم الصمت الداخل، أي الإمساك بحسب كلّ مراتب النفس الباطنية.

فشهر رمضان بيئة عظيمة لليلة القدر، وقد وصف هذا الشهر كما في خطبة النبيّ صلى الله عليه و آله التي رواها الصدوق بسند معتبر عن الرضا عليه السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«شهر اللَّه ذي البركة والرحمة والمغفرة، شهر، هو عند اللَّه أفضل الشهور وأيامه أفضل الأيام ولياليه أفضل الليالي وساعاته أفضل

الساعات، هو شـهر دُعيتم به إلى ضـيافة اللَّه وجُعلتم به من أهل كرامـة اللَّه، أنفاسـكم فيه تسبيح ونومكم فيه عبادة وعملكم فيه مقبول ودعاؤكم فيه مستجاب.. هـذا الشـهر العظيم.. ومن تلى فيه آيـة من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن فى غيره من الشـهور. أيّها الناس، إنّ أبواب الجنان فى هذا الشـهر مفتّحة فسلوا ربّكم أن لا يغلقها عليكم، وأبواب النيران مغلّقة فسلوا ربّكم أن لا يفتحها عليكم، والشياطين مغلولة فسلوا ربّكم أن لا يسلّطها عليكم».

فهذا الشـهر قد عظّمه البارى وكرّمه وشـرّفه وفضّله على الشهور، وافترض صيامه على العباد، وأنزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان، وجعل فيه ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر.

أوصاف ليلة القدر ...: ص: ۳۱۸

إلّا أنّ كلّ هذه الأوصاف لشهر رمضان بالقياس إلى أوصاف ليلة القدر منه هى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۱۹

دون الأوصـاف التى وصـفت بها تلك الليلـة؛ فإنّ تلك الأوصاف قـد ذكرت لليلـة القـدر بنحو مضاعف أضـعافاً، وكأنّ الشـهر توطئة وإعـداد للولوج فى تلـك الليلـة، حتّى أنّ أغلب أدعيـة ذلـك الشـهر المأثورة تركّز على الـدعاء والطلب لإدراك تلك الليلـة، ولطلب حسن ما يقضى ويقدّر من الأمر المحتوم وما يفرق من الأمر الحكيم فى تلك الليلة من القضاء الذى لا يردّ ولا يبدّل.

ومن تلك الأوصاف، أنّها أوّل السنة المعنوية بلحاظ لوح القضاء والقدر. فقد روى الكُلينى عن رفاعة عن أبى عبداللَّه عليه السلام قال: «ليلة القدر هى أوّل السنة وهى آخرها» «۱».

وروى الشيـخ فى التهذيب بعدّة أسانيد إلى مولانا الصادق عليه السـلام أنّه قال: «إذا سـلم شهر رمضان سلمت السنة، وقال: رأس السنة شهر رمضان» «۲».

وروى الكُلينى بسـنده إلى أبى عبد اللَّه عليه السـلام، قال: «الشـهور عند اللَّه اثنا عشر شهراً فى كتاب اللَّه يوم خلق السماوات والأرض، فغرّة الشهور شهر اللَّه عزّوجلّ وهو شهر رمضان، وقلب شهر رمضان ليلة القدر» «۳».

وروى ابن طـاووس فى الإقبـال بإسـناده إلى على بن فضّال من كتاب الصـيام، بإسـناده إلى ابن أبى عمير، عن هشام بن سالم، عن أبى عبد اللَّه عليه السلام، قال: «شهر رمضان رأس السنة» «۴».

وقال أيضاً فى كتاب إقبال الأعمال بعد ذكر جملة للروايات المتضمّنة لهذا المضمون: (واعلم أنّنى وجدت الروايات مختلفات، هل أنّ أوّل السنة محرّم أو شهر رمضان؟ لكنّنى رأيت من عمل من أدركته من علماء أصحابنا المعتبرين

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۲۰

وكثيراً من تصـانيف علمـائهم الماضـين، أنّ أوّل السـنة شـهر رمضـان على التعيين، ولعـلّ شـهر الصـيام أوّل العام فى عبادات الإسـلام، والمحرّم أوّل السنة فى غير ذلك من التواريخ ومهام الأنام؛ لأنّه جلّ جلاله عظّم شهر رمضان، فقال جلّ جلاله:

«شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ» «۱»

فلسـان حال هـذا التعظيم كالشاهـد لشـهر رمضان بالتقـديم؛ ولأنّه لم يجر لشـهر من شـهور السـنة ذكر باسـمه فى القرآن وتعظيم أمره إلّالهذا الشـهر شهر الصيام، وهذا الاختصاص بذكره كأنه ينبّه- واللَّه أعلم- على تقديم أمره؛ ولأنّه إذا كان أوّل السنة شهر الصيام وفيه مـا قـد اختصّ به من العبادات التى ليست فى غيره من الشـهور والأيام، فكأنّ الإنسان قـد اسـتقبل أوّل السـنة؛ ولأنّ فيه ليلـة القـدر التى يُكتب فيها مقدار الآجال وإطلاق الآمال، وذلك منبّه على أنّ شهر الصيام أوّل السنة) «۲».

قـال المجلسـى قـدس سـره: قال الوالـد العلّامـة: (الظاهر أنّ الأوّليـة باعتبار التقـدير، أى أوّل السـنة التى تقـدّر فيها الأُمور لليلـة القـدر، والآخرية باعتبار المجاورة، فإنّ ما قدّر فى السـنة الماضـية انتهى إليها، كما ورد أنّ أوّل السنة التى يحلّ فيها الأكل والشرب يوم الفطر،

أو أنّ عملها يُكتب فى آخر السنة الأولى وأوّل السنة الثانية كصلاة الصبح فى أوّل الوقت، أو يكون أوّل السنة باعتبار تقدير ما يكون فى السنة الآتية وآخر سنة المقدّر فيها الأُمور) «۳».

ومنها: ما رواه الطبرسى فى مجمع البيان، والاستربادى فى تأويل الآيات. عن ابن عبّاس عن النبىّ صلى الله عليه و آله أنّه قال: «إذا كانت ليلة القدر تنزّل الملائكة الذين هم سكان سدرة المنتهى وفيهم جبرئيل، ومعهم ألوية فينصب لواء منها على قبرى ولواء منها

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۲۱

فى المسجد الحرام ولواء منها على طور سيناء، ولا يدع مؤمن ولا مؤمنة إلّاويسلّم عليه، إلّامدمن خمر وآكل لحم خنزير والمتضمّخ بالزعفران» «۱»

. ونظيره ما روى فى كتاب جعفر بن محمد الدورسترى.

ومنها: يفرق فيها كلّ أمر حكيم، وأنّها مباركة ببركة خاصّة مضاعفة مُمتازة عن بركة شهر رمضان كلّه، حيث قال تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ» «۲»

، وقوله تعالى: «وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ* تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» «۳».

ومنها: أنّها موصوفة بالسلامة، حيث قال تعالى: «سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ» «۴»

، مع أنّ شهر رمضان كما تقدّم- تُصفد فيه الشياطين وتُفتح فيه أبواب السماء وأبواب الجنان وتُغلق أبواب النيران، إلّاأنّ فى ليلة القدر يزداد هذا الفتح لأبواب والغلق لأبواب أُخرى.

ومنها: يُضاعف العمل ثلاثين ألف ضعف، كما قال تعالى: «خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ». إلى غير ذلك من الخصائص التى امتازت بها ليلة القدر، إلّاأنّ كلّ ذلك هو تمهيد وتوطئة وإعداد لأكبر امتياز وخاصّية امتازت بها ليلة القدر، وهو نزول القرآن والروح والملائكة فيها فى كلّ عام.

وروى فى مجمع البيان عن النبىّ صلى الله عليه و آله قال: «إنّ الشيطان لا يخرج فى هذه الليلة حتّى يضىء فجرها، ولا يستطيع فيها أن ينال أحداً بخبل أو داء أو ضرب من ضروب الفساد، ولا ينفذ فيه سحر ساحر» «۵».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۲۲

ليلة القدر بيئة لنزول القرآن كلّ عام ...: ص: ۳۲۲

فكلّ الإعداد السابق للمسلم والمؤمن فى بيئة شهر رمضان المباركة ومحيط أجواء النور فى ليلة القدر وعبادة المؤمن وأعماله فى هذه الليلة المتضاعفة أضعافاً، تبلغ أجر العمل فى هذه الليلة من كلّ عام ما يزيد على عمر الإنسان لو قدّر تطاوله إلى ما يزيد على ثلاث وثمانين عاماً.

كلّ هذا الإعداد والرقى الروحى للمؤمن يُكتب له لأجل أن يدرك ليلة القدر، وإدراكها بدراية (ما ليلة القدر) حيث قال تعالى: «وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ» «۱»

وهو تحضيض وترغيب وحثّ على دراية ومعرفة ليلة القدر؛ ف «وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ» أى ما أعلمك بليلة القدر، فإدراكها بدرايتها.

وليست درايتها ومعرفتها هى بمعرفة وقتها الزمانى ليتخيّل أنّ إدراكها هو بتحديد أى ليلة هى من الليالى لتوقع الأعمال العبادية فيها، بل هذا أدنى درجات الإدراك، ومعدّ إلى درجات أُخرى لإدراكها بدرايتها ومعرفة الإرهاصات التى تقع فيها، ومن ثمّ قال تعالى عقيب قوله «وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ» بقوله تعالى بخيرّيتها من ألف شهر، وأوج معرفتها بتنزّل الملائكة والروح فيها من كلّ أمر، فالعمدة فى درك ودراية هذه الليلة بمعرفة نزول الروح والملائكة فيها من كلّ عام.

ويواجه الباحث هنا عدّة تساؤلات:

الأوّل: ما هى العلاقة بين نزول القرآن فى ليلة القدر ونزول الروح؟ وما هذه الصلة التى يجدها ملحوظة فى سورة القدر؟ حيث إنّ الضمير فى «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ» يعود إلى القرآن، كما أنّ الضمير فى سورة الدخان «حم* وَالْكِتَابِ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۲۳

الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ» يعود إلى الكتاب المبين، وقوله تعالى «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ» «۱».

الثانى: هل النزول للقرآن يستمرّ باستمرار نزول الروح فى ليلة القدر من كلّ عام؟

الثالث: ما هى الصلة بين الكتاب المبين والقرآن الذى أُنزل فى الليلة المباركة ليلة القدر؟ كما فى سورة الدخان التى تقدّمت، وفى سورة الزخرف من قوله تعالى: «حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* وَإِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ» «۲».

وقد وصفت الآيات المحكمات بأنّهن أُمّ الكتاب فى سورة آل عمران فى قوله تعالى: «هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ» «۳».

الرابع: ما هى الصلة بين نزول القرآن ونزول الروح والملائكة، وتقدير كلّ أمر من الحوادث والآجال والأرزاق، وكلّ صغيرة وكبيرة تقع على كلّ شخص وكلّ مجتمع بل كلّ نبات وحيوان وجماد وكون ومكان ودول وجماعات وأحزاب ومنظمات إقليمية وقطرية ومذاهب وطوائف وحرب وسلم وغلاء ورخص وأمن وخوف ومواليد وأموات؟

وتدبير كلّ شىء من عظائم الأُمور وصغائرها، وأحلاف سياسية وعسكرية وأمنية، ومخطّطات ومشاريع، وظواهر اجتماعية واقتصادية، وظواهر فكرية اعتقادية، وانتشار الأمراض والأوبئة المهدّدة للصحّة العالمية البشرية، والسياسات المتبنّاة فى كلّ إقليم، وتوازن القوى الاجتماعية والإقليمية والدولية،

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۲۴

وسقوط دول وبروز أُخرى، وتبدّل أعراف ونشوء أُخرى قانونية واجتماعية وأخلاقية، وما سيدور فى الدوائر الأمنية والسياسية والمخابراتية الدولية والقطرية من خلف الكواليس؟ حيث قال تعالى فى سورة الدخان: «فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ* أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ» «۱»

، وقال فى سورة القدر: «تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» «۲»

، وقوله تعالى: «يَمْحُواْ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» «۳»

، وقوله تعالى: «يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ» «۴»

، وقوله تعالى:

«وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً» «۵».

وروى الكُلينى عن أبى عبداللَّه عليه السلام قال: «كان علىّ عليه السلام كثيراً ما يقول: ما اجتمع التيمى والعدوى عند رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وهو يقرأ إنّا أنزلناه بتخشّع وبكاء، فيقولان: ما أشدّ رقّتك لهذه السورة؟ فيقول رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: لِما رأت عينى ووعى قلبى، ولِما يرى قلبُ هذا من بعدى. فيقولان فما الذى رأيت وما الذى يرى. قال: فيكتب صلى الله عليه و آله لهما فى التراب «تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ». قال: ثمّ يقول: هل بقى شىء بعد قوله عزّوجلّ: (كلّ أمر) فيقولان: لا..» الحديث «۶».

وروى الكُلينى صحيح محمّد بن مسلم، عن أحدهما، قال: «.. وسُئل عن ليلة القدر فقال: تنزّل فيها الملائكة والكتبة إلى السماء الدنيا،

فيكتبون ما يكون فى أمر السنة وما يصيب العباد، وأمره عنده موقوف له وفيه المشيئة، فيقدّم منه ما يشاء ويؤخّر منه ما يشاء» «۷».

وروى فى صحيح الفضلاء فى حديث، فى قوله عزّوجلّ «فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ

حَكِيم» قال: يقدّر فى ليلة القدر كلّ شىء يكون فى تلك السنة إلى مثلها من قابل خير وشر وطاعة ومعصية ومولود وأجل أو رزق، فما قدّر فى تلك السنة وقضى فهو المحتوم وللّه عزّوجلّ فيه المشيّة «۱».

الخامس: من هو الذى ينزل عليه الروح والملائكة بعد النبىّ صلى الله عليه و آله فى هذه الأُمّة إلى يوم القيامة؟ حيث إنّ نزول الملائكة والروح بحسب سورة القدر وسورة الدخان كان قطعاً على النبىّ صلى الله عليه و آله، حيث إنّ نزول الروح والملائكة كان إنزالًا للقرآن على النبىّ صلى الله عليه و آله، فلم يكن نزولًا بلا مقصد ينتهى إليه النزول، وكذا قوله فى سورة الدخان: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ* أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ» «۲»

فالآية تصرّح أنّ مورد النزول هو من يشاء اللّه من عباده، أى يصطفيهم لذلك ليكونوا منذرين، وكذلك سورة غافر فى قوله تعالى: «يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» «۳».

السادس: هل هذا المتنزّل من الكمّ الهائل من المعلومات عن كلّ ما يحدث فى الأرض والذى ينزل على من اصطفاه اللّه لذلك وشاء له ذلك بنصّ سورة النحل وغافر والتى هى نظم ومنظومات معلوماتية بالغة الخطورة عن المستقبل فى كلّ الحقول ونظم الاجتماع السياسى والاقتصادى والأمنى، فهل نزولها للترف العلمى ومجرّد اطّلاع من يشاء اللّه من عباده، أم أنّ ذلك ليقوم بمهام وأدوار خطيرة فى البشرية فى كافّة أرجاء الأرض؟

وعلى كلّ تقدير، فإنّ ظاهر سورة القدر «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ» هو نزول القرآن فى ليلة القدر، كما هو ظاهر قوله تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ

الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ» «۱»

، فإنّ مفادهما كما اعترف بذلك جملة كثيرة من المفسّرين من الفريقين، هو نزول القرآن جملة واحدة فى شهر رمضان، وظاهر الضمير فى سورة القدر عائد إلى القرآن، كما أنّ لفظ الآية فى سورة البقرة كذلك «الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ»، حيث إنّ ظاهر (ال) فى المجموع، وكذلك هو مفاد قوله تعالى فى سورة الدخان: «حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ»، فإنّ الضمير عائد إلى الكتاب المبين برمّته. هذا مضافاً إلى أنّ بعثة الرسالة النبويّة هى فى شهر رجب وهو مبدأ نزول القرآن نجوماً وأنّ أوّل سورة نزلت هى سورة العلق وغيرها من السور، فمن ثمّ حُمل ذلك على استظهار أنّ للقرآن نزولان:

النزول الأوّل: بجملة القرآن.

والنزول الثانى: هو نزول مفصّل تدريجى نجومى بحسب الوقائع والأحداث.

وقد تفطّن إلى ذلك فى دلالة الآيات ببركة ما ورد من روايات أهل البيت عليهم السلام وانتشر من حديثهم، فتبنّاها جملة من طبقات التابعين أخذاً عنهم وإن لم يسندوها إليهم، فقد ورد عنهم عليهم السلام كما فى صحيحة حمران أنّه سأل أباجعفر عليه السلام عن قول اللّه عزّوجلّ: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ»؟ قال: «نعم، ليلة القدر، وهى فى كلّ سنة فى شهر رمضان فى العشر الأواخر، فلم ينزل القرآن إلّافى ليلة القدر..» «۲».

وقال على بن إبراهيم فى تفسيره فى معنى «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ»: فهو القرآن نزل إلى البيت المعمور فى ليلة القدر جملة واحدة، وعلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى طول ثلاث وعشرين سنة «وَما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ». ومعنى ليلة القدر أنّ اللّه

تعالی یقدّر فیها الآجال والأرزاق، وکلّ أمر یحدث من موت أو حیاة أو خصب أو جدب أو خیر أو شرّ، کما قال اللَّه تعالی: «فِیهَا یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیم» «۱»

إلی سنة، قوله: «فِیهَا یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ» قال: تنزّل الملائکة وروح القدس علی إمام الزمان، ویدفعون إلیه ما قد کتبوه من هذه الأُمور» «۲».

وروی الکُلینی بسنده عن الحسن بن عبّاس بن جریش، عن أبی جعفر الثانی علیه السلام، قال: «قال اللَّه عزّوجلّ فی لیلة القدر: «فِیهَا یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیم» یقول:

ینزل فیها کلّ أمر حکیم، والمحکم لیس بشیئین إنّما هو شیء واحد، فمن حکم بما لیس فیه اختلاف فحکمه من حکم اللَّه عزّوجلّ» «۳»

. الحدیث.

وروی الکُلینی بسنده إلی أبی عبد اللَّه علیه السلام، قال: «نزل القرآن جملةً واحدة فی شهر رمضان إلی البیت المعمور، ثمّ نزل فی طول عشرین سنة. ثمّ قال: قال النبیّ علیه السلام أُنزل القرآن فی ثلاث وعشرین من شهر رمضان» «۴».

وروی الکُلینی بسنده عن أبی بصیر عن أبی عبد اللَّه علیه السلام، قال: «نزلت التوراة فی ستّ مضت فی شهر رمضان، ونزل الإنجیل فی اثنتی عشرة لیلة مضت من شهر رمضان، ونزل الزبور ثمانی عشرة من شهر رمضان، ونزل القرآن فی لیلة القدر» «۵».

مکان نزول القرآن ...: ص: ۳۲۷

ومن ثمّ کان للقرآن نزولان، وکان ما یتلقّاه النبیّ صلی الله علیه و آله فی النزول الأوّل هو حقیقة القرآن التکوینیة، وفی النزول الثانی هو معانی القرآن وألفاظه. فالنزول الأوّل: هو نزول جملة القرآن وحقیقته التی فی نشأة الملکوت

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۳۲۸

التی هی الکتاب المبین، وقد أطلق علیها الروح فی القرآن الکریم، أی أنّه وجود حیّ شاعر عاقل أعظم خلقاً من الملائکة، کما أشارت إلیه الآیات والروایات.

والنزول الثانی: هو نزول معانی وألفاظ القرآن، وهو نزول القرآن نجوماً علی النبیّ صلی الله علیه و آله، والذی سُمّی القرآن فرقاناً بلحاظه.

وقد ذهب إلی تنوّع النزول أکثر المفسّرین والمحدّثین، ویشیر إلی النمط الأوّل من النزول قوله تعالی: «وَکَذَلِکَ أَوْحَیْنَا إِلَیْکَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا کُنْتَ تَدْرِی مَا الْکِتَابُ وَلَا الإِیمَانُ وَلَکِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِی بِهِ مَنْ نَشَاءُ» «۱»

، وقوله تعالی: «نَزَلَ بِهِ اَلرُّوحُ اَلْأَمِینُ* عَلَی قَلْبِکَ لِتَکُونَ مِنَ اَلْمُنْذِرِینَ» «۲»

، وقوله تعالی: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِی لَیْلَةٍ مُبَارَکَةٍ» «۳»

، وقوله تعالی: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ» «۴»

، وقوله تعالی: «شَهْرُ رَمَضانُ الَّذی انْزِلَ فیهِ الْقُرْآنُ» «۵»

. ومن ثمّ اختلف توقیته، توقیت النزول الجملی للقرآن عن بدء البعثة فی رجب التی هی مبدأ لأوّل ما نزل بنحو نجومی متفرّق فرقانی، أو الذی هو من النمط الثانی.

ویشیر أیضاً إلی: النمط الأوّل من النزول جملة من الروایات:

منها: ما رواه العیاشی عن إبراهیم، عن أبی عبد اللَّه علیه السلام، قال: «سألته عن قوله تبارک وتعالی: «شَهْرُ رَمَضانُ الَّذی انْزِلَ فیهِ الْقُرْآنُ» «۶»

، كيف أَنزل فيه القرآن وإنّما أَنزل القرآن فى عشرين سنة من أوّله إلى آخره، فقال عليه السلام: نزل القرآن جملة واحدة فى شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثمّ أُنزل من البيت المعمور فى طول عشرين سنة» «۷».

وفى اعتقادات الصدوق، قال فى نزول القرآن: اعتقادنا فى ذلك أنّ القرآن نزل

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۲۹

فى شهر رمضان فى ليلة القدر جملة واحدة إلى البيت المعمور، ثمّ نزل من البيت المعمور فى مدّة عشرين سنة، وأنّ اللَّه تبارك وتعالى أعطى نبيّه العلم جملة واحدة، ثمّ قال له: «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أنْ يُقْضَى إلَيْكَ وَحْيُهُ» «۱»

وقال عزّوجلّ: «لَاتُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ* فَإذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ» «۲». «۳»

وما ذكره مضمون جملة من الأخبار والروايات، وفى بعض الزيارات تضمّن الخطاب «أيها البيت المعمور». «۴»

وفى تفسير القمّى: «إنَّا أَنْزَلْنَاهُ» يعنى القرآن، «فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ» وهى ليلة القدر أنزل اللَّه القرآن فيها إلى البيت المعمور جملة واحدة، ثمّ نزل من البيت المعمور على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى طول عشرين سنة.. الحديث «۵». وبنفس هذه الرواية والألفاظ رواها عن الإمام الصادق عليه السلام فى تفسير سورة القدر.

فى دلائل الإمامة للطبرى بسنده إلى الإمام الصادق عليه السلام فى حديث أنّه قال عليه السلام:

«ونحن البيت المعمور الذى من دخله كان آمناً» «۶».

وروى الصدوق فى الأمالى صحيحة حفص، قال: قلت للصادق عليه السلام:

«أخبرنى عن قول اللَّه عزّ وجلّ: «شَهْرُ رَمَضانُ الَّذى انْزِلَ فيهِ الْقُرْآنُ» كيف أُنزل القرآن فى شهر رمضان وإنّما أُنزل القرأن فى مدّة عشرين سنة أوّله وآخره؟ فقال عليه السلام:

أُنزل القرآن جملة واحدة فى شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثم أُنزل من البيت

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۳۰

المعمور فى مدّة عشرين سنة»، وروى مثله فى كتاب فضائل الأشهر الثلاثة «۱».

وفى دلائل الإمامة للطبرى بسنده عن الصادق عليه السلام فى حديث، قلت: «والبيت المعمور أهو رسول اللَّه؟ قال: نعم، المملى رسول اللَّه والكاتب علىّ» «۲».

وغيرها من الآيات والروايات التى تشير إلى النمط الأوّل من النزول، الذى هو عبارة عن نزول حقيقة القرآن الملكوتية لا المعانى والألفاظ، والتى تقدم أنّها روح القدس، وهى خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل.

الروح النازل فى ليلة القدر هو القرآن ...: ص: ۳۳۰

وفى جملة من الروايات المتضمّنة لنزول القرآن فى ليلة القدر الظاهر منها أنّ القرآن النازل فى ليلة القدر هو الروح الأعظم الذى ينزل فى ليلة القدر ويُنزّل به الملائكة.

فقد روى فى الكافى والفقيه بإسنادهما عن حمران أنّه سأل أباجعفر عليه السلام عن قول اللَّه تعالى: «إنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ»؟ قال: «هى ليلة القدر، وهى فى كلّ سنة فى شهر رمضان فى العشر الأواخر، ولم ينزّل القرآن إلّافى ليلة القدر، قال تعالى: «فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ» «۳»

..» الحديث «۴».

وبإسنادهما عن يعقوب قال: «سمعت رجلًا يسأل أبا عبداللَّه عليه السلام عن ليلة القدر، فقال: أخبرنى عن ليلة القدر كانت أو تكون فى كلّ عام؟ فقال أبا عبد اللَّه عليه السلام: لو رُفعت ليلة القدر لرُفع القرآن» «۵».

الامامهٔ الالهیهٔ(۵)، ج۳، ص: ۳۳۱

وبهـذا المضـمون جملـهٔ مسـتفیضهٔ من الروایات فی ذیل سورهٔ القدر وسورهٔ الدخان، ومقتضاها: أنّ قوله تعالی: «تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا» عطف بیان أو بدل عن الضمیر فی قوله تعالی «أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»، أو أنّ الفعل (تنزّل) الملائکهٔ والروح بدل عن فعل (أنزلناه)، والنتیجهٔ متّحدهٔ مع الاحتمال السابق.

ثمّ إنّ تفسیر البیت المعمور بقلب النبیّ صلی الله علیه و آله کما أشارت إلیه الروایات السابقهٔ- لا ینافی تفسیر البیت المعمور فی جملهٔ أُخری من الروایات بالبیت الظراح المبنی فی السـماء الرابعـهٔ التی تطوف به الملائکـهٔ کلّ یوم، فإنّه من تعـدّد معانی التأویل، وقد اطلق البیت فی التعبیر القرآنی بهذا المعنی، کما فی قوله تعالی: «فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ* رِجَالٌ لَاتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ» «۱»

، فرجال عطف بدل علی بیوت.

أمّا النمط الثانی من النزول وهو النزول التـدریجی والنجومی أی نزول المعانی والألفاظ، فیشـیر إلیه جملـهٔ من الآیات والروایات، کما فی قوله تعالی: «لَاتُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ» «۲»

، وقوله تعالی: «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ» «۳»

، وکذا الآیات التی تشیر إلی حدث زمانی بخصوصه، نظیر قوله تعالی: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ» «۴»

، ومثلها قوله تعالی: «وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا» «۵»

، وغیرها من الآیات والسور النازلـهٔ بحسب أسـباب النزول الحادثـهٔ حالًا بحال، فضـلًا عن تدریجیـهٔ نزول الآیات والسورکما فی أوّل ما نزل من السور، کما فی قوله تعالی:

الامامهٔ الالهیهٔ(۵)، ج۳، ص: ۳۳۲

«اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ» «۱»

، وغیرها من السور النازلهٔ بحسب سنوات البعثهٔ وسنوات الهجرهٔ الذی عُرف بآخر السور نزولًا.

وبعبارهٔ أُخری: أنّ ظاهر قوله تعالی «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ» «۲»

، وقوله تعالی: «حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ» «۳»

، وقوله تعالی: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» «۴»

، هـو نزول القرآن جملـهٔ واحـدهٔ، أی نزول جملی لحقیقـهٔ واحـدهٔ غیر مفصّـل، ثـمّ فُصّـِل تنزیلـه بحسب مـوارد نزول السـور والآیـات المختلفـهٔ، ولـذلک کان نزول القرآن بنحو مفصّل فی بدایـهٔ البعثـهٔ النبویّهٔ الشـریفهٔ فی آخر شـهر رجب بقوله تعالی: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ..»، وکذا بقیهٔ السور الأوائل نزولًا، ولیس المراد من نزوله فی لیلهٔ القدر من شهر رمضان هو ابتداء نزوله.

ممـا یشـیر إلی وجود نمطین من النزول للقرآن الکریم: نزول جملی لحقیقـهٔ واحـدهٔ، ونزول مفصّـِل، قـال تعالی: «لَاتُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ» «۵»

وظاهر مفاد الآیهٔ یقتضـی أنّ مرحلهٔ جمع مفصّل القرآن وتفصیله غیر مرحلهٔ الوحی والقرآن جملهٔ، فهو صلی الله علیه و آله کان عالماً بـالقرآن إلّاأنّه نُهی عن الاسـتعجال به قبـل تنزیل قرآنه ونزول الوحی به، ویشـیر إلی ذلک قوله تعالی: «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ» «۶»

، حیث (یُقضی) إمّا بمعنی یتمّ أو بمعنی یصل، وعلی کلا التقدیرین فظاهر الآیهٔ دالّ علی علمه بالقرآن قبل إنزاله بالوحی

الامامهٔ الالهیهٔ(۵)، ج۳، ص: ۳۳۳

بنحو التفصيل نجوماً، أمّا على كون (يُقضى) بمعنى (يصل) فملائمته ظاهرة للمفاد المزبور، وأمّا على كونها بمعنى يتمّ فقيل إنّه بمعنى قراءته للقرآن قبل أن ينتهى جبرئيل من الوحى بتحريك لسانه، ولكنّه خلاف الظاهر؛ حيث إنّه يستلزم الاستخدام فى الضمير، ويكون المعنى على هذا التقدير لا تعجل ببعض القرآن من قبل أن يتمّ إليك وحى الباقى منه.

وحمل الكلام على الاستخدام يتوقّف على القرينة الخاصّة، بخلاف الحال ما لو جعلنا مرجع الضمير متّحد بلا استخدام، فإنّ تقدير المعنى يكون حينئذٍ: لا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه مرّة أُخرى، أى وحى الإنزال والتنزيل من النمط الثانى وهو نزول القرآن تفصيلًا ونجوماً، فيدلّ على علمه صلى الله عليه و آله به من قبل أن يتمّ الوحى من النمط الثانى.

وممّا يدلّ على تعدّد نزول القرآن أيضاً قوله تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِى كِتَابٍ مَكْنُونٍ* لَايَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ* تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» «۱»

، فإنّ المطهّرون وهم النبىّ وأهل بيته عليهم السلام عالمون بالكتاب المكنون بمسّ وصول يختلف عن تنزيل القرآن المفصّل، فالكتاب المكنون قد تقدّم أنّه الوجود المجموعى للقرآن بنحو الإحكام والوجود الجملى، وهو الحقيقة الواحدة وهى الروح الأمرى الذى يتجدّد نزوله فى كلّ ليلة قدر فى كلّ عام، وتتنزّل الملائكة به وهو روح أعظم من جبرئيل وميكائيل.

وممّا يشير إلى اختلاف النزولين أيضاً قوله تعالى: «كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» «۲»

، وقد ثبت فى تفسير الآية بحسب نزولها المكّى وبحسب وحدة سياق السورة مع الآيات السابقة عليها وبحسب توسّم

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۳۴

قريش فى بنى هاشم جملة من الصفات والحالات غير المعتادة لدى قدرات البشر وبحسب نصوص الفريقين وبحسب النصوص الواردة فى ذيلها، أنّ المراد بمن عنده علم الكتاب هو علىّ بن أبى طالب عليه السلام.

والآية مع كونها مكّية ولمّا يستتم نزول القرآن التفصيلى المكّى فضلًا عن المدنى- تدلّ على علم الوصىّ فضلًا عن علم النبىّ بالكتاب كلّه؛ إذ هذا التعبير يفترق عن قوله تعالى: «قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ» «۱»

، بأنّ التعبير الأوّل يدلّ على العلم المحيط بكلّ الكتاب، فالآية ظاهرة بوضوح فى حصول العلم بجملة الكتاب لدى المطهّرين، وهم النبىّ ووصيه عليهم السلام منذ البداية، وذلك بتوسّط نزول حقيقة القرآن جملة فى الوحى من النمط الأوّل.

وممّا يدلّ على ذلك قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» «۲»

، فتدلّ الآية على درايته صلى الله عليه و آله بالكتاب كلّه، مع أنّ سورة الشورى مكّية، وكذا قوله تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ» «۳»

، وقوله تعالى: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» «۴»

، وجملة من الآيات التى تضمّنت إنزال الكتاب عليه صلى الله عليه و آله بناءً على ظهور (ال) فى الاستغراق أو الجنسية لجملة الحقيقة بجملة الآيات السابقة الدالّة على علمه صلى الله عليه و آله بجملة الكتاب المبين والمكنون وأُمّ الكتاب واللوح المحفوظ، وكذلك الأئمّة من أهل بيته تلقّوا ذلك عنه، إلّاأنّه صلى الله عليه و آله كان مأموراً باتّباع ما ينزل عليه من الوحى التفصيلى والتنزيل النجومى فيتّبع قرآنه.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۳۵

وأمّا اشتمال القرآن الكريم على قوله تعالى: «الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا» «۱»

، وقوله تعالى: «عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ» «۲»

، وقوله تعالى:

«قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِی تُجَادِلُکَ فِی زَوْجِهَا وَتَشْتَکِی إِلَی اللَّهِ وَاللَّهُ یَسْمَعُ تَحَاوُرَکُمَا» «۳»

، وغیره کثیر ممّا یشیر إلی تدریجیة نزول القرآن حسب سلسلة أحداث زمانیة ومکانیة طوال البعثة والرسالة الشریفة، فلا یتنافی مع نزول الکتاب جملةً علی الرسول صلی الله علیه و آله قبل ذلک.

اختلاف صفات القرآن فی النزولین ...: ص: ۳۳۵

لأنّ الکتاب بعد تنزیله بالنمط التدریجی تطرأ علیه أوصاف أُخری أشار إلیها القرآن الکریم، کقوله تعالی: «إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِیًّا لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ» «۴»

، وقوله تعالی: «کِتَابٌ أُحْکِمَتْ آیَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ خَبِیرٍ» «۵»

، وقوله تعالی:

«وَمَا کَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ یُفْتَرَی مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَکِنْ تَصْدِیقَ الَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ وَتَفْصِیلَ الْکِتَابِ» «۶»

، وقوله تعالی: «هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتَابَ مِنْهُ آیَاتٌ مُحْکَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ» «۷»

، وقوله تعالی: «مَا نَنْسَخْ مِنْ آیَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَیْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا» «۸»

، وغیرها من الآیات التی تشیر إلی اتّصاف القرآن بأوصاف طرأت علیه عند نزوله، کالتفصیل والعربیة وکونه تصدیق الذی بین یدیه وتشابه بعض آیاته والناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والتنزیل والتأویل والجمع والتفریق، وغیرها من الأوصاف الطارئة، فإنّها أوصاف له بعد نزوله نجوماً.

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۳۳۶

ولیست أوصافاً له بحسب موقعه فی الکتاب المکنون واللوح المحفوظ والکتاب المبین، وکذلک الحال بالنسبة إلی صورة الألفاظ وما یتبع ذلک من أوصاف، وهی العربیة والخطابیة والإنشاء والإخبار والبلاغة والفصاحة وغیرها، فهذه لیست أوصافاً له بحسب موقعه المکنون باللوح المحفوظ، وأنّما هی حادثة له بعد النزول، أمّا جملة معارفه وحقائقه وأحکامه فلا یطرأ علیها مثل تلک الأوصاف.

وبکلمة جامعة: إنّ القرآن بمجموع وجوداته اللفظیة وتراکیب جمله والمعانی المدلول علیها فی الظهور الأوّلی فی ظاهر الکتاب هی من نزول القرآن من النمط الثانی؛ إذ النمط الأوّل کما تقدّم- هو من سنخ الحقائق التکوینیة والوجودات العینیة، وإن لم ینحصر النمط الأوّل بذلک بل یشمل ما یکون من سنخ معانی التأویل.

النمط الثالث للنزول ...: ص: ۳۳۶

وقد تُعدّ درجات بطون القرآن ومعانیه التأویلیة من سنخ ونمط تنزّل ثالث سیأتی بسط الحدیث عنه فی مقالات لاحقة.

هذا مضافاً إلی متواتر الروایات المتضمّنة للإشارة إلی موارد النزول وتألیف آیات وسور القرآن بوجوده اللفظی. ثمّ إنّ المعانی المتنزّلة من حقیقة القرآن الکلّیة وحقائقه الجملیة لیست محیطة بها؛ فإنّ المعانی والمفاهیم مهما کانت فی السعة والشمول لیست إلّالمعات یسیرة من أنواع تلک الحقائق، هذا فضلًا عن الألفاظ المشیرة إلی تلک المعانی التی هی تنزّل لفظی لها؛ فإنّ الألفاظ لیست إلّا علامات ودوالّ إشاریة علی مجمل بحور المعانی، ولیست بتلک التی تحیط بها، والنسبة بین الألفاظ والمعانی کالنسبة بین المعانی والحقائق.

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۳۳۷

فالألفاظ مفتاح وأبواب للمعانی، والمعانی لا تتناهی درجاتها وبطونها وهی بوابات لشعب الحقائق من دون أن تکتنه المعانی، فما

يحمله صلى الله عليه و آله من حقائق وحقيقة القرآن لا- يمكن أن تسعه المعانى، كما أنّ المعانى التى تنزّلت من تلك الحقائق لا يمكن أن تسعها الألفاظ.

حقيقة وراثة الأوصياء للنبىّ صلى الله عليه و آله ...: ص: ۳۳۷

ومن ثمّ ورد أنّه صلى الله عليه و آله لم يكلّم أحداً بكنه عقله قطّ، وكذلك الحال فيما تحمّله الوصىّ عليه السلام وولده الأوصياء عن النبىّ صلى الله عليه و آله، عمدته ليس من الألفاظ والمعانى من قبيل الحديث والرواية، بل عمدة ما تحمله عن النبىّ صلى الله عليه و آله هو حقيقة القرآن التى هى الروح الأعظم، وهو أعظم أنماء التحمّل؛ لأنّه اكتناه حضورى للحقائق لا يغيب عنه شىء منها، بخلاف تحمّل المعانى فضلًا عن تحمّل الألفاظ.

ففرق بين الوصاية والفقاهة والرواية، حيث دلّت سورة القدر ونحوها من السور على بقاء تنزّل ذلك الروح كلّ عام على من يشاء من عباده، قال تعالى:

«إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَمَا أَدْرَاکَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ* تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ* سَلَامٌ هِىَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ» «۱»

، وقال تعالى: «يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» «۲»

، وقال تعالى: «يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» «۳»

، فكما أنّ تنزّل الروح الأعظم فى ليلة القدر دائم دائب فى كلّ سنة بالضرورة، فكذلك ليلة القدر تعنى وراثة ولىّ اللَّه تعالى لمقام النبىّ صلى الله عليه و آله فى تنزّل الروح عليه.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۳۸

وقد تقدم فى هذه المقالة أنّ ذلك الروح هو حقيقة القرآن، وأنّه عطف بيان وبدل على الضمير فى (أنزلناه) ولو من باب بدل الجملة من جملة، ومن ثمّ قال تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِى كِتَابٍ مَكْنُونٍ* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» «۱»

، والمطهّرون بصيغة الجمع وهم أهل آية التطهير، حيث قال تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» «۲».

وتقدّم أنّ الكتاب المكنون ليس لوحاً ونقش صور الألفاظ، بل هو الروح (الذى هو حقيقة القرآن التكوينية)، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: «وَكَذَلِکَ أَوْحَيْنَا إِلَيْکَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا» «۳»

، فالروح الأمرى هو الكتاب، والذى يمسّ الكتاب هو الذى يتلقّى تنزّل الروح الأمرى كلّ عام فى ليلة القدر، والمطهّرون الذين يمسّون الكتاب المكنون هم الأئمّة عليهم السلام الذين يتوارثون الكتاب وهو الروح الأمرى، حيث قال تعالى: «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا» «۴»

، فالهداية الأمرية هى بالروح الأمرى.

وكذلك فى قوله تعالى: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا» «۵»

، والذين اصطفاهم وأصفاهم أهل آية التطهير، فهذه الآيات تتشاهد لبعضها البعض لتدلّ على أنّ الأئمّة المطهّرون المصفّون الذين يمسّون الكتاب ويرثوه يتلقّون حقيقة الكتاب، وهو الروح الأمرى والذى يتنزّل فى ليلة القدر فى كلّ عام على من يشاء اللَّه من عباده، وقد ذُكر عنوان ورثة الكتاب والذين يمسّونه بصيغة

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۳۹

الجمع؛ للتدليل على أنّهم مجموعة ممتدّة طوال عمر هذا الدين وما بقى القرآن.

قراءة جديدة فى حديث الثقلين وأنّ الأئمّة عليهم السلام هم الثقل الأكبر ...: ص: ۳۳۹

ولكى نبرهن على ذلك لابدّ من توضيح جملة من الأُمور:

الأوّل: إنّهم عين حقيقة القرآن، وهذا معنى عدم افتراق القرآن عن العترة، أى عدم افتراق حقيقة القرآن التكوينية وهو الكتاب المكنون وهو الروح الأعظم- عن ذوات العترة المطهّرة، بل هو أحد أرواحهم الذى يسدّدهم.

قراءة جديدة فى آية ... ص: ۳۳۹

«وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ»:

وهذا معنى تنزيل نفس علىّ عليه السلام منزلة نفس النبى صلى الله عليه و آله فى قوله تعالى: «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ» «۱»

، كيف لا والروح الأمرى الذى هو الروح الأعظم والذى هو حقيقة القرآن وهو الكتاب المبين الذى نُزّل على قلب النبىّ صلى الله عليه و آله وأُوحى إليه- قد ورثه الوصىّ ويتنزّل عليه وعلى ذرّيته الأوصياء عليهم السلام.

وفى صحيح أبى بصير قال: «سألت أبا عبداللّه عليه السلام عن قول اللّه تبارك وتعالى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ» «۲»؟ قال:

خلق من خلق اللّه عزّ وجلّ أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله يخبره ويسدّده، وهو مع الأئمّة من بعده» «۳».

وفى صحيحه الآخر قال: «سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن قول اللّه عزّوجلّ «وَيَسْأَلُونَكَ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۴۰

عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى» «۱»

؟ قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وهو مع الأئمّة، وهو من الملكوت» «۲».

وفى صحيح ثالث لأبى بصير بعد وصفه للروح بما تقدّم-: «لم يكن مع أحد ممّن مضى غير محمّد صلى الله عليه و آله، وهو مع الأئمّة يسدّدهم» «۳».

وفى موثّق على بن اسباط عن أبيه أسباط بن سالم زيادة قوله عليه السلام: «منذ أنزل اللّه عزّوجلّ ذلك الروح على محمّد صلى الله عليه و آله ما صعد إلى السماء، وإنّه لفينا» «۴».

وفى رواية أبى حمزة قال: «سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن العلم، أهو علم يتعلّمه العالم من أفواه الرجال، أم فى الكتاب عندكم تقرؤونه فتعلمون منه؟ قال: الأمر أعظم من ذلك وأوجب، أما سمعت قول اللّه عزّوجلّ: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ..» «۵»

..» الحديث «۶». وهذا المعنى الذى يشير إليه عليه السلام هو ما تقدّم ذكره من أنّ الأوصياء فى تحمّلهم عن النبىّ صلى الله عليه و آله ليس هو تحمّل رواية ألفاظ، ولا مجرّد فهم معانى، بل حقيقة تحمّلهم وعمدته هو تحمّل حقيقة القرآن التى هى روح القدس.

فعمدة ما يتلقّونه بقلوبهم وأرواحهم عليهم السلام هو عن قلب وروح النبىّ صلى الله عليه و آله، وليس العمدة هو عن مجرّد لسانه الشريف وآذانهم الطاهرة، ولا عمدته من كتب يقرأونها كالجامعة ونحوها، فهم بدورهم فيما يبلغونه من ألفاظ مؤدّية إلى طبقات

المعانی الموصلة إلی بعض الحقائق التی تلقّوها.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۴۱

قراءة جدیدة فی حفظ وبقاء الذکر والقرآن المنزّل ...: ص: ۳۴۱

فمن ثمّ یکون دورهم متمّم ومکمّل لدور النبیّ صلی الله علیه و آله فی هدایة البشریة، وإلی ذلک یشیر قوله تعالی فی آیة الغدیر: «یَا أَیُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ» «۱»

، لبیان خطورة وشدّة دورهم علیهم السلام المتمّم لدور النبیّ صلی الله علیه و آله فی تبلیغ الرسالة، وأنّه الأمر الذی یجب أن یُبلّغ لامتداد الرسالة وبقاء القرآن، أی بقاء حقیقته النازلة والمتنزّلة منها درجات فی کلّ عام فی لیلة القدر لابقاء المصحف المنقوش بالخط.

وإلّا لو کان دورهم هو مجرّد النقل السماعی اللفظی عن الرسول کقناة لإیصال الألفاظ والصوت لما کان لسان الآیة بهذا اللحن الشدید والخطب البلیغ، کما ان تعلیق وتبلیغ الرسالة برمّتها علی شخص یخلف النبیّ علیهم السلام وهو أمیر المؤمنین علیه السلام لابدّ أن یکون فی تحمّله عن النبیّ صلی الله علیه و آله خصوصیة لا یشترک معه فیها أحد وإلّا لشارکه آخرون فی القیام بذلک الدور ولَمّا انحصر تبلیغ الرسالة بعد النبیّ صلی الله علیه و آله به.

ولیست هذه الخصوصیة ولیدة عن کثرة سماع الوصی لکمیة کثیرة من الأحادیث أو لقوّة حافظة علیّ علیه السلام لما یسمعه من الحدیث علی النمط المألوف، ولا لمجرّد أکثریة ملازمته وإلّا لشارکه الآخرون فی ذلک ولو بدرجة نازلة. وان تفسیر خصوصیة علیّ والعترة الطاهرة بمجرّد هذه المزایا لا یحسم جدلیة السؤال عن وجه تخصیص الدور بهم دون بقیة الصحابة والتابعین وسائر فقهاء وعلماء الأُمّة بل لکانت هذه المزایا نظیر الترجیع بین الفقهاء فی مسند الفتیا والقضاء ولیست عملیة إصفاء إلهی بل لما کان فی تقدیم المفضول علی الفاضل ذلک القبح الشدید المستنکر بل للزم احتیاج العترة إلی مشارکة الصحابة والتابعین معهم فی

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۴۲

القیام بهذا الدور.

بل خصوصیة الإصطفاء الإلهی لهم دون غیرهم هو لحملهم حقیقة القرآن التی هی الروح الأمری والتی قد تقدّم بیان صفاتها فی الآیات والسور والروایات التی تقدّمت، وتبین أنّ لدیهم علیهم السلام علم حقیقة القرآن کلّه، فضلًا عن درجات معانیه غیر المتناهیة وألفاظه، وهذا التراث والوراثة التکوینیة لا یشارکهم فیها غیرهم بأدنی مشارکة، وهذا معنی انحصار باب مدینة علم النبیّ صلی الله علیه و آله بعلیّ علیه السلام، بل لیس لغیرهم مهما بلغت درجته من العلم سوی الوقوف علی حدود المعانی الظاهرة وبعض درجاتها التی توصّل إلیها بواسطة الألفاظ.

وحیث إنّ الحاجة وبقاء الرسالة قائم بحقیقة القرآن لا بسطوح المعانی المنزّلة من تلک الحقیقة، ولأجل ذلک کان مقدار ما تنزّل من القرآن من المعانی الظاهرة والألفاظ لا یسدّ الحاجة لهدایة البشریة إلّابضمیمة التأویل، کما أشار إلی ذلک قوله تعالی: «هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتَابَ مِنْهُ آیَاتٌ مُحْکَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِیلِهِ وَمَا یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ» «۱»

، فالتأویل باب مفتوح ...

درجات وطبقات المعانی المتنزّلة من الحقائق.

الوجودات الأربعة للقرآن ...: ص: ۳۴۲

ولتوضيح أقسام وجود القرآن ينبغي الالتفات إلى التقسيم الذى ذُكر فى علم المنطق من أنّ لكلّ شيء أربعة وجودات:

الأوّل: الوجود الكتبى للشيء، وهو نقش اسم الشيء على الورق أو نقش رسم

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۴۳

صورته فيما لو كان جسمانياً- كلفظ زيد أو صورته، ويُسمّى الوجود الكتبى لزيد ونقش اسمه.

الثانى: الوجود الصوتى لاسم زيد أو صوته، ويُسمّى بالوجود اللفظى الصوتى لزيد.

وهذان الوجودان يقال عنهما الوجودان التنزيليان لزيد أو الوضعيان، أى أنّهما قرّرا وجودين لزيد أو للشيء بحكم الاعتبار الأدبى، فلولا تبانى البشر وأهل اللسان عن التعبير عن معنى زيد أو عن وجوده بذلك اللفظ أو بذلك الرسم والنقش من الكتابة، لما كان لهما دلالة على معنى زيد أو وجوده، ولما كان له صلة بحقيقة زيد ولا بمعناه، ومن ثمّ يعبّر عنهما وجودان تنزيليان لزيد، فلفظ زيد الصوتى تنزيل لحقيقة زيد، وكذلك نقش كتابة لفظ زيد تنزيل لحقيقة زيد.

الثالث: معنى زيد فى الذهن والصورة التى له فى الذهن، أى التى تنتقش تكويناً فى ذهن الإنسان وفكره، ويُقال عنه الوجود المعنوى لزيد، وهذا الوجود تكوينى وليس من قبيل الأوّلَين، أى ليس وجوداً تنزيلًا اعتبارا، بل هو وجود تكوينى لزيد، ولكن لا لحقيقة وجوده بل لحقيقة معناه.

وقد يُطلق عليه تنزيل تكوينى لا اعتبارى لحقيقة وجود زيد، فهو ليس عين حقيقة الوجود ولكنّه عين حقيقة المعنى، وبين ذات معنى زيد وذات وجوده فرق فارق، بل إنّ لمعنى زيد مراتب: منها صورة بدنه فى الذهن، ومنها معنى روحه ونفسه وعقله، أو ماهيته وذاته العقلية.

الرابع: حقيقة وجود زيد وهو وجوده العينى الخارجى، وهو وجود تكوينى لزيد، كما أنّه الأصل فى أقسام وجودات زيد، فليس هو وجود تنزيلى اعتبارى أدبى كالأوّلَين، ولا- وجود تكوينى كالقسم الثالث، بل هو حقيقة وعين وجود زيد وهذا القسم بدوره أيضاً يشتمل على مراتب: منها الوجود البدنى لزيد، ووجود

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۴۴

نفسه وروحه.

فتبيّن أنّ الوجود التكوينى هو القسمان الأخيران، وكلّ منهما ذو مراتب، وهذا التقسيم يعمّ جميع الأشياء؛ فإنّ لكلّ شيء من الأشياء وجود لفظى صوتى وكتبى نقشى، ووجودان تكوينان، وهو وجود معانيها فى الذهن ووجود عينى خارجى.

فإذا تبيّن ذلك يتبيّن أنّ للقرآن الكريم هذه الوجودات الأربعة، فالتنزيل الذى فى المصحف هو وجود كتبى ونقش للوجود اللفظى للقرآن، كما أنّ صوت قراءة القرآن هو وجود لفظى صوتى للقرآن.

ولكلّ من هذين الوجودين أحكام، فإنّه يُحرم لمس خطّ كتابته من دون طهارة، كما أنّ وجود المصحف الشريف المقدّس حرز وأمان، كما أنّه يُستحبّ النظر إليه، والقراءة منه أفضل وأكثر فضيلة من القراءة عن ظهر قلب، كما أنّ قراءة القرآن وهو الوجود الصوتى- يدخل النور فى البيت ويطرد الشياطين ويُكثر البركة والرزق، ويُستحب تحسين الصوت وتجويده، كما يُستحب قراءته بخشوع وحزن.

وأمّا معانى القرآن فهو الوجود الذهنى للقرآن ومعانيه وهو مصدر الهداية والبصيرة.

ومن أحكامه: لزوم التدبّر، كما قال تعالى: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» «۱»

، فالتدبّر سرح للنظر فى المعانى والسير فى مدارجها بالتفكّر، قال تعالى: «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ» «۲»

. فلا يقتصر وجود القرآن على النقش الكتبى ولا على حركة ولقلقة اللسان وبديع التجويد وتحسين الصوت، بل كلّ ذلك إلى غاية أهمّ وهو وجود القرآن فى أُفق المعنى، والاستضاءة بنور هدايته

الامامهٔ الالهیهٔ(۵)، ج۳، ص: ۳۴۵

من خلال وجوده فی أُفق المعنی ورحاب بصیرهٔ تلک المعانی، ومنه تحصل معرفهٔ الدین والشریعهٔ والشرائع. وینقسم إلی معنی ظاهری ومعنی تأویلی، وإلی العلوم جمّهٔ، علوم الحکمهٔ والآداب والأخلاق، وأسرار الفقه والقانون، وحقائق التکوین والمعارف، وعلوم التربیهٔ الإنسانیهٔ، وبالجملهٔ العلوم العقلیهٔ والظواهر الطبیعیهٔ، وغیرها من منظومات العلوم.

حقیقهٔ القرآن ووجوده ...: ص: ۳۴۵

والوجود الرابع للقرآن العینی الخارجی هو الذی یشیر إلیه قوله تعالی:

«وَکَذَلِکَ أَوْحَیْنَا إِلَیْکَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا کُنْتَ تَدْرِی مَا الْکِتَابُ وَلَا الإِیمَانُ وَلَکِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِی بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّکَ لَتَهْدِی إِلَی صِرَاطٍ مُسْتَقِیمٍ» «۱»

فربط تعالی بین إنزال الروح الأمری وإحیائها وإرسالها، ومعرفهٔ النبیّ صلی الله علیه و آله بالکتاب کلّه، وقد عبّر عن ذلک بالإیحاء وهو الإرسال الخفی، وتشیر الآیهٔ إلی معرفهٔ النبیّ صلی الله علیه و آله بجملهٔ الکتاب دفعهً.

ونفس هذا الترابط بین الروح الأمری وبین نزول جملهٔ الکتاب نجده فی سورهٔ القدر، حیث قال تعالی: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِی لَیْلَهِ الْقَدْرِ* وَمَا أَدْرَاکَ مَا لَیْلَهُ الْقَدْرِ* لَیْلَهُ الْقَدْرِ خَیْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ* تَنَزَّلُ الْمَلَائِکَهُ وَالرُّوحُ فِیهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ کُلِّ أَمْرٍ..» «۲»

، نلاحظ أنّ نزول القرآن والروح الأمری مترابطان، وکذلک فی سورهٔ الدّخان، قوله تعالی: «حم* وَالْکِتَابِ الْمُبِینِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِی لَیْلَهٍ مُبَارَکَهٍ إِنَّا کُنَّا مُنْذِرِینَ* فِیهَا یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ* أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا کُنَّا مُرْسِلِینَ» «۳»

، والضمیر عائد علی الکتاب

الامامهٔ الالهیهٔ(۵)، ج۳، ص: ۳۴۶

المبین جملهٔ وإرسال الروح الأمری.

فیستخلص من جملهٔ هذه الآیات أنّ نزول القرآن جملهٔ هو نزول حقیقته وهو الروح الأمری، وهذا هو حقیقهٔ الفرق بین تنزیل القرآن نجوماً الذی هو الوجود اللفظی للقرآن، وبین نزوله دفعهٔ.

الامامهٔ الالهیهٔ(۵)، ج۳، ص: ۳۴۷

الأمر الثانیإنّ للقرآن درجات ومدارج ... ص: ۳۴۷

اشارهٔ

هناک حقیقهٔ ثابتهٔ مسلّمهٔ بین المسلمین، وهی حقیقهٔ قرآنیهٔ من کون القرآن المنزّل ذا تأویل، کما قال تعالی: «وَمَا یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ» «۱»

، فللقرآن تأویل وبطون، وقال تعالی: «هَلْ یَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِیلَهُ یَوْمَ یَأْتِی تَأْوِیلُهُ یَقُولُ الَّذِینَ نَسُوهُ» «۲»

، وقال تعالی: «بَلْ کَذَّبُوا بِمَا لَمْ یُحِیطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا یَأْتِهِمْ تَأْوِیلُهُ» «۳»

، فالتأویل والبطون سوی ظاهره المنزّل، بل وتلک البطون التی لا- تنفذ من بحور حقائق القرآن ترقّی وتتّصل بأصل حقیقهٔ القرآن الغیبیهٔ التی یُطلق علیها: الکتاب المکنون، والکتاب المبین، أو اللوح المحفوظ، أو أُمّ الکتاب.

وعلی ضوء ذلک، فلیست الشریعهٔ والدین تقتصران وتنحصران فی الظاهر المنزّل، بل هما یشملان تلک البطون، فلا ینحصر تبلیغ وأداء الشریعهٔ بأداء الظاهر المنزّل وإبلاغ آیات التنزیل، بل یعمّ تلک البواطن.

ولم يقف على تلك البواطن وأمّ الكتاب إلّاالنبيّ صلى الله عليه و آله وعترته الذين ورثوه بوراثة الاصطفاء، فسنخ ونمط تحمّل النبيّ صلى الله عليه و آله وتبليغه وتحمّل أهل بيته عليهم السلام عنه وتبليغهم ليس سنخ نمط تحمّل وتبليغ الرواة للأخبار الحسّية المسموعة لفظاً التى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۴۸

تحمّلوها ليؤدّوها إلى غيرهم، كى يكون الحال فى هذا التبليغ (رُبّ حامل لا يفقه ما حُمّل أو رُبّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه)، لأن ما تحمّله النبيّ صلى الله عليه و آله عن اللَّه تعالى وتحمّله أهل بيته عليهم السلام عنه هو تحمّل للحقائق المهيمنة والمحيطة بالمعانى

حقيقة تبليغ النبى صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام ...: ص: ۳۴۸

المنزّلة فى آفاق درجات المعانى الباطنة والظاهرة والألفاظ المقروءة.

فمن ثمّ سُمّى هذا التبليغ والإبلاغ (إنزالًا) و (تنزيلًا)، بينما سُمّى تبليغ الرواة إلى غيرهم (نقلًا) وإيصالًا فى خطّ أُفقى، ونقلًا للحديث الملفوظ وإسماع الكلام المسموع (ورواية) للخبر المعلوم بالحواسّ الظاهرة، فالذى تحمّلوه هو ألفاظ مسموعة وطبقة من المعانىالظاهرة لأفهامهم من وراء حجاب اللفظ، فهذا النمط والنوع من التحمّل والتبليغ يتحرّك فى سير أُفقى، ومن ثمّ قد يصعد المنقول إليه ويتصاعد إلى بعض درجات المعانى وغورها، على عكس الناقل الذى ربّما يكون واقفاً على الألفاظ والدرجة الأُولى لمعانيها، فيكون المنقول والمحمول إليه الخبر أكثر إحاطةً من الناقل والحامل.

وهذا لا يُتصوّر فى التحمّل الوحيانى والتبليغ النبوىّ، وتحمّل الإمام عن النبيّ وتبليغه لا يكون إلّاعن إحاطة بالحقائق الوجودية، فضلًا عن الإحاطة بكل آفاق المعانى التى هى صور منعكسة متنزّلة عن تلك الحقائق، وأشعة ولمعات يسيره من وهج نور الحقيقة، كيف لا، وتلك الحقائق لا يشذّ عنها رطب ولا يابس ولا غائبة فى السماوات والأرض، ولا ما كان ولا ما يكون وكلّ شىء مستطرّ، وتحيط بكلّ هدى ونور وكلّ فلاح وصلاح وكل سعادة ونجاح، وتبيان لكلّ شىء.

ففيما يبلّغه النبيّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام لا تقف الرعية بما فيها من الفقهاء والعلماء والحكماء والعارفين- إلّاعلى الألفاظ المتنزّلة والمعانى الظاهرة، وقد

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۴۹

يترقّى الحال فى بعضهم للوصول إلى بعض درجات المعانى أو لمح بعض لمعان أنوار الحقائق، من دون التحقّق بعينية تلك الحقائق فضلًا عن اكتناهها، ولا الإحاطة بجميع مدارج المعانى.

من ثمّ تدوم وتظلّ حاجة الرعية والبشرية قائمة ومستمرّة إلى تواصل بيانات النبيّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام وهدايتهم وتبليغهم، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: «مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ» «۱»

، وقوله تعالى: «بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» «۲».

وكذلك يشير قول الإمام الصادق عليه السلام فى رواية إسحاق بن عمار، قال: «إنّما مثل علىّ عليه السلام ومثلنا من بعده من هذه الأُمّة كمثل موسى عليه السلام والعالم حين لقيه واستنطقه وسأله الصحبة، فكان من أمرهما ما اقتصّه اللَّه لنبيه صلى الله عليه و آله فى كتابه، وذلك أنّ اللَّه قال لموسى: «إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِى وَبِكَلَامِى فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ» «۳»

، ثم قال: «وَكَتَبْنَا لَهُ فِى الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَىْءٍ» «۴»

، وقد كان عند العالم علم لم يكتب لموسى فى الألواح، وكان موسى يظنّ أنّ جميع الأشياء التى يحتاج إليها فى تابوته وجميع العلم قد كتب له فى الألواح، كما يظنّ هؤلاء الذين يدّعون أنّهم فقهاء وعلماء وأنّهم قد أثبتوا جميع العلم والفقه فى الدين ممّا تحتاج هذه الأُمّة إليه وصحّ لهم عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وعلموه وحفظوه، وليس كلّ علم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله علموه ولا

صار إليهم عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ولا عرفوه، وذلك أنّ الشىء من الحلال والحرام والأحكام يرد عليهم فيُسألون عنه، ولا يكون عندهم فيه أثر عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ويستحون أن ينسبهم الناس إلى الجهل

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۵۰

ويكرهون أن يُسألوا فلا يجيبوا فيطلب الناس العلم من معدنه، فلذلك استعملوا الرأى والقياس فى دين اللَّه وتركوا الآثار ودانوا اللَّه بالبدع، وقد قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: كلّ بدعة ضلالة، فلو أنّهم إذا سُئلوا عن شىء من دين اللَّه فلم يكن عندهم منه أثر عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ردّوه إلى اللَّه وإلى الرسول وإلى أُولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم من آل محمّد، والذى منعهم منّا العداوة والحسد لنا.

لا واللَّه ما حسد موسى عليه السلام العالم، وموسى نبيّ اللَّه يُوحى اللَّه إليه حيث لقيه واستنطقه وعرّفه بالعلم، ولم يحسده كما حسدتنا هذه الأُمّة بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على علمنا وما ورثنا عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، ولم يرغبوا إلينا فى علمنا كما رغب موسى عليه السلام إلى العالم وسأله الصحبة ليتعلّم منه ويرشده، فلمّا أن سأل العالم ذلك علَم العالم أنّ موسى عليه السلام لا يستطيع صحبته ولا يحتمل علمه ولا يصير معه، فعند ذلك قال العالم: «وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا» «۱»

؟ فقال موسى عليه السلام له وهو خاضع له يستعطفه على نفسه كى يقبله: «سَتَجِدُنِى إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِى لَكَ أَمْرًا» «۲»

، وقد كان العالم يعلم أنّ موسى عليه السلام لا يصبر على علمه، فكذلك واللَّه- ياإسحاق بن عمار- حال قضاة هؤلاء وفقهائهم وجماعتهم اليوم، لايحتملون واللَّه علمنا ولا يقبلونه ولا يطيقونه ولا يأخذون به ولا يصبرون عليه، كما لم يصبر موسى عليه السلام على علم العالم حين صحبه ورأى ما رأى من علمه، وكان ذلك عند موسى عليه السلام مكروهاً وكان عند اللَّه رضاً وهو الحقّ، وكذلك علمنا عند الجهلة مكروه لا يؤخذ وهو عند اللَّه الحق» «۳».

فإذا التفتّ بنحو الإجمال إلى سنخ تحمّل وتبليغ النبيّ صلى الله عليه و آله عن اللَّه تعالى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۵۱

وتحمّل وتبليغ أهل بيته عليهم السلام عنه، يجدر بالمقام الالتفات إلى كون القرآن ذا حقيقة عينية غيبية، والتى هى الكتاب المبين وأُمّ الكتاب واللوح المحفوظ والكتاب المكنون، كما فى قوله تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِى كِتَابٍ مَكْنُونٍ* لَايَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ* تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» «۱»

، حيث يشير إلى وجود كينونة للقرآن علوية تُدعى بالكتاب المكنون، أى المحفوظة من أن يصل إليها إلّاالمطهرون من الذنوب والرجس، وأنّ ما بين الدفّتين من القرآن تنزيل ونزول من ذلك المقام العلوى له.

ومثل هذه الإشارة نجدها فى قوله تعالى: «بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ* فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ» «۲»

، فوصف القرآن بالمجد والعظمة لكينونته العلوية، أى أنّ المجد والعظمة وصف لذلك الوجود، ولا يغرق البارى تعالى فى وصف موجود بالعظمة إلّالخطورة موقعيته فى عالم الأمر والخلقة، وتلك الكينونة هى المسمّاة باللوح المحفوظ، والوصف بلفظ المحفوظ مع لفظ المكنون مترادف.

وكذلك نجد الإشارة نفسها فى قوله تعالى: «حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* وَإِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ» «۳»

، فوصف القرآن بأنّ له كينونة فى أُمّ الكتاب وهى وجود علوى لدنى عندىّ لدى البارى تعالى، وهذا الوجود موصوف بالعلوّ والإحكام فى قبال التفصيل الذى طرأ على القرآن حين النزول، كما يشير إليه قوله تعالى: «وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» «۴».

وكذلك قوله تعالى: «الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۵۲

خَبِيرٍ» «۱»

، وكذلك قوله تعالى: «وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَارَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» «۲»

، فالقرآن النازل تفصيل ونجوم للكتاب العلوى، ويشير إلى الوجود العلوى للقرآن قوله تعالى: «حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ» «۳»

، أى أنّ القرآن متنزّل من الكتاب المبين، وقد وصِفَ الكتاب المبين بعدّة أوصاف:

منها: قوله تعالى: «وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ» «۴»

، وقال تعالى: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَايَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ» «۵»

، وقوله تعالى: «.. وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ» «۶»

، وقوله تعالى: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَابٍ مُبِينٍ» «۷».

ثمّ إنّ هناك تعدّداً أيضاً بين مقام وموقع القرآن الكريم بحسب الكتاب المبين واللوح المحفوظ وأُمّ الكتاب، وبين إنزاله جملةً واحدة، وبين تنزيله مفصّلًا مفرّقاً بحسب الزمان، فهناك ثلاثة مقامات ومواقع ومراحل رئيسية للقرآن الكريم لا يسع المقام الخوض فى تفصيلها، إلّاأنّ المحصَّل ممّا مرّ أنّه صلى الله عليه و آله عالم بالكتاب المبين واللوح المحفوظ.

وكذلك أهل بيته المطهّرون، كما أنّه صلى الله عليه و آله قد أُنزل إليه القرآن جملة وهى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۵۳

المرحلة الثانية، كما تنزّل عليه القرآن نجوماً مفصّلًا أو تفصيلًا وهى المرحلة الثالثة، كما تبيّن أنّ حقائق القرآن العينية موجودة بوجود علوى، وأنّ المعانى وطبقاتها متنزّلة من تلك الحقائق معاكسة وحاكية لها، وأنّ ألفاظ التنزيل ثوب وصورة.

قراءة فى معنى إكمال الدين بعلىّ ...: ص: ۳۵۳

للمعانى المتنزّلة ودرجاتها إلى درجة المعنى الظاهر.

فالكتاب لا يقتصر على التنزيل والظاهر، بل له بطون لا تُحصى من المعانى، ولبطونه بطون هى حقائق مهيمنة، وأنّه لا يحيط بكلّ ذلك إلّاالنبىّ صلى الله عليه و آله بما أوحاه اللَّه إليه، ومن بعده أهل بيته عليهم السلام عنه، وبالتالى لا يمكن الاقتصار على التنزيل والظهور فى الوصول إلى معرفة الدين القويم ونيل الهداية الإلهية من دون وجود الشخص المبين لتلك البطون والكاشف عن حقائق التنزيل؛ لحاجة البشرية إلى الكتاب كلّه ولكلّ درجاته على نحو التدريج بحسب مرّ الزمان والعصور.

فمن ثمّ اتّفقت الإمامية أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام- على أنّ الدين لم يكمل بالتنزيل إلّابعد أن نصّب اللَّه عليّاً إماماً وهادياً لدينه وكتابه من بعد الرسول صلى الله عليه و آله، كما ينادى بذلك قوله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» «۱»

، فإكمال الدين وإتمام النعمة لم يحصل بمجرّد التنزيل، بل بنصب قيّم بعد النبىّ صلى الله عليه و آله مبيناً لبطون القرآن وحقائقه، ومن بعد علىّ أولاده المعصومين، وفى هذا الزمان ولده الحجّة الإمام المنتظر سلام اللَّه عليه.

وقد روى الكلينى بسنده إلى الحسن بن العباسى بن الحريش عن أبى جعفر

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۵۴

الثانى عليه السلام قال: «قال أبو عبد اللَّه عليه السلام: بينا أبى عليه السلام يطوف بالكعبة إذا رجل معتجر قد قيض له فى حديث مسائلة الياس النبىّ عليه السلام للباقر عليه السلام- وما قاله له: اخبرنى عن هذه العلم الذى ليس فيه اختلاف من يعلمه؟

قال أبو جعفر عليه السلام: أما جملة العلم فعند اللَّه جلّ ذكره، وأمّا ما لابدّ للعباد منه فعند الأوصياء. ففتح الرجل عجيرته واستوى جالساً وتهلّل وجهه وقال: هذه أردت ولها أتيت زعمت أنّ علم ما لا اختلاف فيه من العلم عند الأوصياء، فكيف يعلمونه؟

قال: كما كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يعلمه، إلّاأنّهم لا يرون ما كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يرى؛ لأنّه كان نبيّاً وهم محدَّثون بالفتح- وأنّه كان يفد إلى اللَّه عزّوجلّ فيسمع الوحى وهم لا يسمعون. فقال صدقت يابن رسول اللَّه...

فإن قالوا لك: فإنّ علم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كان من القرآن فقل: «حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ* أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ» «۱».

فإن قالوا لك لا يرسل اللَّه عزّوجلّ إلّاإلى نبىّ فقل: هذا الأمر الحكيم الذى يفرق فيه هو من الملائكة والروح التى تنزّل من سماء إلى سماء أو من سماء إلى أرض.

فإن قالوا: من سماء إلى السماء، فليس فى السماء أحد يرجع من طاعة إلى معصية.

فإن قالوا من سماء إلى أرض وأهل الأرض أحوج الخلق إلى ذلك فقل: فهل لهم بد من سيد يتحاكمون إليه؟

فإن قالوا: فإنّ الخليفة هو حكمهم فقل: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» «۲»

لعمرى ما فى الأرض ولا فى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۵۵

السماء ولى للّهعزّ ذكره إلّاوهو مؤيد، ومن أيد لم يخطّ وما فى الأرض عدوّ للّهعزّ ذكره إلّا وهو مخذول، ومن خذل لم يصب، كما إنّ الأمر لابدّ من تنزيله من السماء يحكم به أهل الأرض كذلك لابدّ من وال. فإن قالوا: لا نعرف هذا فقل: (لهم) قولوا ما أحببتم، أبى اللَّه عزّوجلّ بعد محمّد صلى الله عليه و آله أن يترك العباد ولا حجّة عليهم» «۱».

ويتبيّن من ذلك أنّ إنكار أحد أئمّة أهل البيت عليهم السلام أى إنكار اتّصال سلسلة إمامتهم أعظم كفراً من إنكار أحد المرسلين السابقين، أى من إنكار سلسلة اتّصال رسالات المرسلين السابقين؛ وذلك لأنّ إنكار سلسلة اتّصال إمامة أهل البيت تعنى إنكار بقاء حجّية القرآن، للقول بتعطيل الكتاب بتعطيل نزول تأويله فى كلّ عام.

وإنكار القرآن أعظم جحوداً من إنكار أحد الكتب المنزّلة السابقة، وقد عرفت أنّ ليلة القدر قد كانت منذ أوّل نبىّ بعثه اللَّه عزّوجلّ واستمرّت مع جميع الأنبياء إلى قائم الأنبياء إلى خاتم الأنبياء، وكانت مع أوصياء الأنبياء، وهى مع الأوصياء من أهل البيت عليهم السلام بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وذلك لأنّها من أبرز قنوات الاتّصال مع الغيب، وبتوسّطها ينزل تأويل الكتب السماوية فى من سبق، وتأويل القرآن على النبىّ صلى الله عليه و آله وعلى أهل بيته من بعده.

ومن ثمّ ورد أنّه لو رفعت ليلة القدر لرفع القرآن كما مرّت الإشارة إليه، فليلة القدر تمثّل وحدة السبب الاتّصالى بين الأرض والسماء، وأنّ إنكارها بإنكار أحد الأئمّة من أهل البيت هو فى الحقيقة إنكار لطبيعة هذا الاتّصال الواحد الموحّد لدى السفراء الإلهين، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: «قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِىَ مُوسَى وَعِيسَى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۵۶

وَمَا أُوتِىَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَانُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» «۱»

، وقوله تعالى: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» «۲»

، فلم يكتفِ البارى عزّوجلّ فى الإيمان بالرسول صلى الله عليه و آله فقط، وإنّما قرن معه بالنور النازل معه والذى هو الروح الأمرى روح القدس، الذى هو حقيقة الكتاب الذى وصف بالنور بأنّه مع من اصطفاه اللّه من العباد بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله وذلك لقوله تعالى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا» «۳».

وروى الكلينى بسند معتبر عن أبى جعفر عليه السلام قال: «لقد خلق اللّه عزّوجلّ ذكره ليلة القدر أوّل ما خلق الدنيا، ولقد خلق فيها أوّل نبىّ وصىّ يكون، ولقد قضى أن يكون فى كلّ سنة ليلة يهبط فيها بتفسير الأُمور إلى مثلها من السنة المقبلة من حجّة ذلك، فقد ردّ على اللّه عزّوجلّ علمه لأنّه لا يقوم الأنبياء والرسل والمحدّثون أيضاً بأنّهم جبرئيل أو غيره من الملائكة عليهم السلام.

قال: أمّا الأنبياء والرسل صلى الله عليه و آله فلا شكّ ولابدّ لمن سواهم من أوّل يوم خلقت فيه الأرض إلى آخر فناء الدنيا أن تكون على أهل الأرض حجّة ينزل ذلك فى تلك الليلة إلى من أحبّ من عباده.

وأيم اللّه لقد نزل الروح والملائكة بالأمر فى ليلة القدر على آدم وأيم اللّه ما

الامامة الالهية(٥)، ج٣، ص: ٣٥٧

مات آدم إلّاوله وصىّ وكلّ من بعد آدم من الأنبياء قد أتاه الأمر فيها ووضع لوصيه من بعده، وأيم اللّه إن كان النبىّ ليؤمر فيها يأتيه من الأمر فى تلك الليلة من آدم عليه السلام إلى محمّد صلى الله عليه و آله أن أُوحى إلى فلان، ولقد قال اللّه عزّوجلّ فى كتابه للولاة من بعده محمّد صلى الله عليه و آله خاصّة «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَايُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» «۱»

يقول: «استخلفكم لعلمى ودينى وعبادتى بعد نبيّكم، كما استخلف وصاة آدم من بعده حتّى يُبعث النبىّ الذى يليه، يعبدوننى بإيمان لا نبىّ بعد محمّد صلى الله عليه و آله، فمن قال غير ذلك فأولئك هم الفاسقون، فقد مكّن ولاة الأمر بعد محمّد بالعلم ونحن هم، فاسألونا فإن صدّقناكم فأقرّوا وما أنتم بفاعلين، أمّا علمنا فظاهر، وأمّا إبان أجلنا الذى يظهر فيه الدين منّا حتّى لا يكون بين الناس اختلاف، فإنّ له أجلًا من ممرّ الليالى والأيام، إذ أتى ظهر وكان الأمر واحداً.

وأيم اللّه لقد قُضى الأمر أن لا يكون بين المؤمنين اختلاف، ولذلك جعلهم شهداء على الناس ليشهد محمّد صلى الله عليه و آله علينا، ولنشهد على شيعتنا ولتشهد شيعتنا على الناس. أبى اللّه عزّوجلّ أن يكون فى حكمه اختلاف، أو بين أهل علمه تناقض.

ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: فضل إيمان المؤمن بجملة (إنّا أنزلناه) وبتفسيرها على من ليس مثله فى الإيمان بها كفضل الإنسان على البهائم، وإنّ اللّه عزّوجلّ ليدفع بالمؤمنين بها» «... ۲».

وقد ورد من طرق الفريقين عنه صلى الله عليه و آله قوله لعلىّ عليه السلام: «أنا أقاتل على التنزيل وعلىّ

الامامة الالهية(٥)، ج٣، ص: ٣٥٨

يقاتل على التأويل» «۱»

، ومنه ظهر أنّ سنخ تبليغ النبىّ صلى الله عليه و آله عن اللّه وأهل بيته عليهم السلام عنه لا يقف على حدّ التنزيل والألفاظ، بل يتّسع إلى ما لا يُحصى من مدارج المعانى وبيان الحقائق، فالحاجة إلى تبليغهم وأدائهم عن اللّه ووساطتهم بين اللّه وخلقه تمتدّ إلى يوم القيامة فى دار التكليف ونشأة الامتحان، ما دام البشر يحتاجون فى كل بيئة إلى رؤية كونية عقائدية أعمق للحقائق والمعارف، ويحتاجون إلى هداية من الشريعة إلى أطوار نظامهم الاجتماعى السياسى وحقوله.

فتلخّص، أنّ ما تسالم عليه المسلمون من وجود الظهور والبطون فى الكتاب العزيز وكون علومه وحقائقه وكلماته لا تتناهى، يستلزم دوام الحاجة إلى تبليغ النبىّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام من بعده، وعدم سدّ الحاجة بخصوص الظاهر بعد كون الإيمان بباطن القرآن على حذو الإيمان بظاهره.

ويشير إلى ذلك أيضاً قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَايَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» «۲»

، فإنّ توقّف تبليغ مجمل الرسالة على نصب علىّ عليه السلام فى الغدير بحيث لو لم يُنصّب لم تُبلّغ الرسالة من رأس وهذا المفاد فى الآية، مؤشّر واضح على أنّ ما حمل النبىّ صلى الله عليه و آله من الرسالة بالوحى مُعظَمه لا يقتصر على التنزيل، بل جُلّه فى البطون وحقيقته العلوية التى لا يشذّ عنها شىء، وهذا لم يؤدّه النبىّ إلّا

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۵۹

لعلىّ وأهل بيته خاصّة، وتأديته صلى الله عليه و آله لأهل بيته لم تقتصر على النمط الحسّى ولا هو عمده الطريق لتلقّيهم عليه السلام عنه صلى الله عليه و آله.

فمن ثمّ كان إبلاغ النبىّ صلى الله عليه و آله التنزيل للناس من دون نصب علىّ نفى لإبلاغ وبلاغ جلّ الرسالة، وأنّ ما عند الناس من الدين والشريعة والرسالة هو أقلّ من قليل، إلّاباتّباعهم لأهل بيت النبىّ صلى الله عليه و آله وأخذهم عنهم ما أدّاه النبىّ إلى أهل بيته من حقائق القرآن والشريعة، ويشير إلى ذلك ما روته العامّة فى الصحاح وغيرها كما ذكره السيوطى فى تاريخ الخلفاء «۱»: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثنى عشر خليفة كلّهم من قريش».

وفى رواية: «إنّ هذا الأمر لا ينقضى حتّى يمضى له فيهم اثنى عشر خليفة كلّهم من قريش» «۲»

، وفى رواية عن أبى داود: «لا يزال هذا قائماً حتّى يكون لكم إثنى عشر خليفة» «۳»

. فإنّ التعبير بأنّ الدين قائم بهم أى أنّه ينقضى بزوالهم ويزول بمضيهم، وأنّ عمر هذا الدين وصلاحه مرهون عند اللَّه عزّوجلّ بالخلفاء الاثنى عشر.

وهذا المفاد للحديث النبوىّ المستفيض يقتضى بأنّ ما وصل بأيدى الناس من ظاهر التنزيل من المصحف الشريف وروايات السنّة النبويّة بمجرّده لا يكفى فى بقاء الدين، ممّا يدلّ على أنّ معظم الدين وقوامه موجود لدى الاثنى عشر سلام اللَّه عليهم دون غيرهم، وكذا لا يمكن الاكتفاء بظاهر التنزيل والروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام والاستغناء عن المهدى (عج).

حيث قال تعالى: «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۶۰

كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا» «۱»

، وقال تعالى: «وَلَوْ أَنَّمَا فِى الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» «۲»

، ليس المراد من الكلمات التى لا تنفذ الألفاظ الصوتية أو المنقوشة المدوّنة أو المعانى المفهومة المتصوّرة؛ إذ إطلاق الكلمة والكلمات على هذين الموردين إطلاق مجازى عند العقل، إذ الكلمة هى الشىء الدالّ بذاته تكويناً على أمر آخر، ومن ثمّ يُطلق على وجودات الأشياء المخلوقة لا سيّما الشريفة- أنّها كلمات اللَّه؛ لدلالتها على صفات البارى تعالى.

ومنه يُعرف الترادف عند العقل بين الكلمة الحقيقية والآية، ومن ثمّ ورد إطلاق كلّ منهما على النبىّ عيسى عليه السلام، وقال تعالى فى بشارة الملائكة لمريم: «إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» «۳»

، فجعل تعالى وجود نبيّه كلمة منه تعالى وتكلّمٌ منه، وجعل عنوان المسيح عيسى ابن مريم اسم للكلمة، كما أطلق تعالى الآية على عيسى ابن مريم حيث قال: «وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا» «۴».

فهذه الكلمات الوجودية والتى قد تعرّضت جملة من الآيات لنعوتها وصفاتها والتى لا تنفذ، كلّها مجموعة فى الكتاب المبين؛ إذ الكتاب هو ما يتألّف من كلمات، فالكتاب المبين متكوّن من وجود جملى لكافّة الكلمات الوجودية بالوجود الملكوتى، ومن ثمّ نعت الكتاب المبين بأنّه مفاتح الغيب كما فى الآية المتقدّمة: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَايَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَابٍ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۶۱

مُبِينٍ» «۱».

تلقى النبى صلى الله عليه و آله وأهل بيته للكلمات والكلام الإلهى بوجوده التكوينى لا الاعتبارى ...: ص: ۳۶۱

إنّ ما يتلقّاه النبىّ صلى الله عليه و آله من وحى لا ينحصر فى الوحى الإنبائى، كما أنّ سنخ الوحى الإنبائى لا ينحصر فى إلقاء المعانى أو الأصوات، بل إنّ عمدة أنواع وأنماط الوحى هو ما يكون من قبيل تلقّى حقائق الأشياء بحقيقتها التكوينية بكينونة تفوق الكون المادّى، وهو ما يعبّر عنه بنشأة الملكوت فى القرآن الكريم، قال تعالى: «فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» «۲».

وقد أشار القرآن الكريم إلى وجود كينونة للأشياء فى نشأة الملكوت فقال تعالى: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَايَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ» «۳»

، وقال تعالى: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ» «۴»

، وقال تعالى: «وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ» «۵»

، وقال تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نُحْيِى الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِى إِمَامٍ مُبِينٍ» «۶»

، وغيرها من الآيات التى تدلّ على أنّ فى نشأة الكتاب المبين وهى نشأة تحيط بغيب السماوات والأرض يستطرّ فيها كلّ شىء بحسب ملكوته، قال تعالى: «وَكَذَلِكَ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۶۲

نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ» «۱»

، فأثبت تعالى للسماوات والأرض ملكوت، فإحاطة وهيمنة الملكوت على كلّ الأشياء وصف مقرّر للكتاب المبين، وتقرّر الأشياء بحسب ملكوتها فيه ليس تقرّر معانيها ومفاهيمها، بل تقرّر كينونة وجودية ملكوتية، بل أنّ هناك أوصافاً ونعوتاً قرآنية أُخرى للكتاب المبين تفوق ذلك.

والقرآن جملة وهو جملة حقيقية، فحقيقة القرآن ليست بلفظ عربى أو أعجمى كما أنّه ليس بمعنى بل هو الروح الأعظم، حيث عبّر عنه فى سورة النحل قوله تعالى: «قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ» «۲»

، والآية الكريمة فى نفس السورة التى صدرها: «يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَاإِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ» «۳»

، فبين الآيتين فى السورة الواحدة ارتباط، وأنّ ذلك الروح الذى ينزل به الملائكة هو روح القدس، وهو الروح النازل فى ليلة القدر بجملة الكتاب، ويعضد هذا الارتباط بين الآيتين فى سورة النحل توسّط آية أُخرى فى السورة وهى قوله تعالى: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ» «۴»

، ومن الواضح فى هذه الآية إرادة جملة الكتاب وحقيقته، لا

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۶۳

النزول النجومى ولا تنزيل القرآن بوجوده اللفظى؛ لأنّ الذى فيه تبيان كلّ شىء هو حقيقة القرآن الذى يعبّر عنه بالكتاب المبين

والمكنون واللوح المحفوظ، إلى غيرها من الأوصاف الآتى استعراضها لهذا الوجود الرابع.

وكذلك سيأتى استعراض روايات أهل البيت عليهم السلام الكاشفة لتفسير كلّ ذلك من ظاهر ألفاظ الآيات الكريمة. وتقدّم الكلام فى أنّ القرآن اسم حقيقة لروح القدس، النازل على النبيّ جملة فى النزول الدفعى الجملى للقرآن كما فى آخر سورة الشورى، وأنّه ملتحم مع روح النبيّ صلى الله عليه و آله ومن بعده مع أرواح الأوصياء من أهل بيته صلى الله عليه و آله.

ولا- يخفى أنّ لفظة الكتاب شأنها فى أقسام الوجود شأن ما تقدّم من الوجودات الأربعة لكلّ شىء، فإنّ الكتاب يُطلق على وجود النقش والرسوم المكتوبة، وهو الذى يُستعمل فيه كثيراً، كما يُطلق الكتاب أيضاً على أصوات الألفاظ المجموعة فيقال قراءة الكتاب، ويُطلق على وجود المعانى فيقال حفظتُ كتاباً كاملًا، ويُطلق على الوجود العينى الخارجى الجامع للكلمات التكوينية.

وبعبارة أُخرى: إنّ الكتاب الذى هو مجموع الكلمات والكلمة بدورها له أربع وجودات:

الأوّل: الكلمة المكتوبة المنقوشة.

الثانى: الكلمة الملفوظة المصوّتة.

الثالث: الوجود الذهنى فى الفكر للكلمة.

الرابع: الوجود العينى الخارجى لشىء دالّ على شىء آخر.

كما أطلق تعالى القرآن على عيسى عليه السلام فى قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» «۱»

، وقوله تعالى: «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ» «۲»

، وهذا الإطلاق ليس مجازياً، بل حقيقياً؛ لكون الأصل فى معنى الكلمة هو الشىء الموجود لأجل الدلالة على المعنى الخفى، وأى دلالة أعظم على صفات اللّه من أنبيائه ورسله والأوصياء والحجج، والكلمة مقاربة فى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۶۴

معناها لمعنى الآية، حيث إنّ معناها العلامة الدالّة على معنى ومدلول ما، وقد أُطلق لفظ الآية على الوجودات التكوينية فى كثرة كاثرة من الموارد فى القرآن الكريم.

منها: قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً» «۱»

، وقوله تعالى: «وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا» «۲»

، وقوله تعالى: «فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ» «۳»

، فأطلق على النبيّ عيسى عليه السلام كلًّا من (الكلمة والآية)، ويقرب لفظ (الاسم) من هذا المعنى من لفظ (الكلمة والآية) وإطلاقهما على الوجود التكوينى، حيث إنّ معناه من السمة وهو العلامة أيضاً الدالّة على شىء أو معنى ما. فهذه الألفاظ الثلاثة هى بدورها أيضاً- لها أربع وجودات، الأُوليان اعتباريان وهما الصوت الملفوظ والنقش المرسوم على الورق، والأُخريان تكوينيان:

الثالث: وجودها فى أُفق المعنى والفكر والذهن ومدارج المعانى.

الرابع: الوجودات العينية.

وعلى ضوء ذلك، فالكتاب الذى هو مجموع الكلمات أيضاً هو بدوره له أربع وجودات، اثنان اعتباريان وهما المنقوش والملفوظ، واثنان تكوينيان وهما الوجود فى أُفق الفكر والذهن والوجود العينى الخارجى.

وإذا كان عيسى بن مريم عليه السلام بما له من روح نبويّة كلمة من هذا الكتاب وآية من آياته، فكيف بك فى بقية الكلمات والآيات؟ بل ما هو الحال فى جملة الكتاب مع أنّه تعالى يقول فى عيسى بن مريم عليه السلام- الذى هو كلمة من هذا الكتاب- «وَآتَيْنَا

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۶۵

عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» «۱»

، فعبّر تعالى بتأييده بروح القدس، ممّا يفهم أنّ روح القدس أعظم من روح النبيّ عيسى عليه السلام؛ حيث قال تعالى فى عيسى عليه السلام: «وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ» «۲»

، وقال تعالى: «اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ» «۳»

، ومن ثمّ لم يكن للنبيّ عيسى العلم بالكتاب كلّه كما كان لسيد الأنبياء صلى الله عليه و آله؛ لقوله تعالى فى عيسى: «قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ» «۴»

، تبيّن الآية أنّه عليه السلام يبيّن بعض اختلاف بنى إسرائيل لا كلّه.

وكذلك الحال فى موسى عليه السلام حيث قال تعالى: «وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ» «۵»

فما كُتب لموسى ليس كلّ شيء وإنّما من كلّ شيء، بخلاف القرآن الكريم حيث وصف بالمهيمن وأنّه تبيان كلّ شيء.

فهذا الارتباط بين كون عيسى كلمة وآية وبين كونه مؤيد بروح القدس، لا أنّ عيسى هو روح القدس.

كما أنّ الارتباط والصلة التى تشير إليها سورة القدر والدخان والشورى والنحل وغافر كما تقدّم استعراض آيات السور- بين الروح الأمرى وروح القدس وبين نزول الكتاب المبين، يدلّ بوضوح أنّ الكتاب المبين حقيقته هو روح القدس، والذى يعبّر عنه فى بعض الروايات بالروح الأعظم، فهذا الروح الذى هو حقيقة وجود الكتاب المبين هو الذى أُوحى به إلى النبيّ صلى الله عليه و آله فى قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ..» «۶»

، فدراية الكتاب كلّه هو بإرسال هذا الروح إلى روح النبيّ، ومقتضى دراية النبيّ صلى الله عليه و آله بالكتاب كلّه هو

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۶۶

التحام الروح فى ضمن روحه صلى الله عليه و آله، وكذلك تنزّل هذا الروح فى الليلة المباركة وهى ليلة القدر والذى هو تنزّل لحقيقة الكتاب عليه صلى الله عليه و آله.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۶۷

نعوت حقيقة الكتاب وهى روح القدس ... ص: ۳۶۷

اشارة

منها: قوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا» «۱»

، فوصف القرآن بأنّه يسيّر به الجبال وتقطّع به الأرض ويُحيى به الموتى، ومن الواضح أنّ هذه الخواص ليست للكتابة المنقوشة التى هى بين الدفّتين للمصحف المقدّس، بل هى لحقيقة القرآن الموجودة فى الغيب وهى روح القدس.

ومنها: قوله تعالى: «يَمْحُواْ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» «۲»

، ومن الواضح أنّ لوح المحو والإثبات وما فوقه من أُمّ الكتاب ليس فى المصحف الورقى، بل هو فى نشأة الغيب.

ومنها: قوله تعالى: «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» «۳»

، ومن الواضح أنّ المصحف المقدّس المنقوش بين الدفّتين لو وُضع على جبل ما رأيناه ينهدّ متصدّعاً، إذن، المراد بذلك هو نزول روح القدس على ملكوت الجبل؛ لأنّ لكلّ شيء ملكوت كما قال تعالى: «فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ» «۴»

،

الامامهٔ الالهيهٔ(۵)، ج۳، ص: ۳۶۸

فملكوت الجبل ليست له تلك القابليـهٔ والظرفيـهٔ لنزول روح القدس عليه، بل لم تكن تلك القابليهٔ فى الأنبياء أُولى العزم كما تقدّمت الإشارهٔ إليه، بل هى خاصّهٔ بالنبىّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته المطهّرين، كما سيأتى بيان ذلك.

ومنها: قوله تعالى: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ» «۱»

، ومن الواضح أنّ تبيان كلّ شىء ليس فى ظاهر المصحف المنزّل، وإنّما فى الكتاب المبين فى النشأهٔ الغيبيهٔ أى روح القدس، ومن ثمّ تكرّر التعبير المشـابه للوصف فى سورهٔ النحل وفى سورهٔ الشورى، ونظير هـذا الوصف فى قوله تعالى: «وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» «۲»

، فـذكر أنّ فيه كلّ مغيّبات السـماء والأرض وتقـدير الحوادث، كما ذكر ذلك فى سورهٔ القـدر والدخان، ونظيره قوله تعالى: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» «۳»

، وقوله تعالى: «وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» «۴»

، وقوله تعالى: «عَالِمِ الْغَيْبِ لَايَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» «۵»

، وكذلك قوله تعالى: «مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» «۶»

، وقوله تعالى: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَايَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» «۷».

ومن الظاهر أنّ هذه الإحاطهٔ بتفاصيل كلّ الأشياء ليست فى تفاصيل ظاهر

الامامهٔ الالهيهٔ(۵)، ج۳، ص: ۳۶۹

التنزيل، وأنّما هو نعت للنشأهٔ الغيبيـهٔ لحقيقـهٔ الكتاب، ومن ثمّ هـذا الوصف بيّن ظرفه فى أرواح الـذين أوتوا العلم فى قوله تعالى: «بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» «۱»

، وهذا ممّا يدلّ على التحام روح القدس مع من يتنزّل الروح عليه ليلهٔ القدر، وهم الذين يؤتون علم الكتاب كلّه.

ونعوت الوجود التنزيلى للقرآن وصـفت فى الآيـات العديـدهٔ أنّه بلسان عربى مبين، كما فى قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ» «۲»

، فالتشـابه وصف لظاهر التنزيل، بينما المبين كلّه وصف للكتاب المكنون؛ وإلّا لو حُملت النعوت على مرتبـهٔ واحـدهٔ من وجود القرآن وهو ظاهر التنزيل لتناقض الوصفان، فكيف يكون فيه متشابه ويكون مبيناً كلّه وتبياناً لكلّ شىء؟

ومنها: وصفه بالكنّ والمجد، كقوله تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ» «۳»

، وقوله تعالى: «بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ* فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ» «۴»

، فوصف الكرامهٔ قريب من وصف المجد، ووصف المكنون قريب من وصف المحفوظ، ومعنى اللوح قريب من الكتاب.

ومن ثمّ وصف أيضاً «لَايَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» «۵»

أى لا يصل إليه إلّامن طهّره اللّه، لا المتطهّر بالوضوء والغسل. ومن ثمّ وصف أيضاً بتنزيل من ربّ العالمين أى له وجود علوى.

الامامهٔ الالهيهٔ(۵)، ج۳، ص: ۳۷۰

الثقل الأكبر هو القرآن الناطق ...: ص: ۳۷۰

إذا تبينت الأُمور الثلاثـهٔ المتقدّمـهٔ من أنّ حقيقـهٔ القرآن هى روح القـدس وتلك الحقيقهٔ هى عين ذواتهم عليهم السـلام، وأنّ للقرآن مـدارج ودرجـات، وأنّ المصـحف هو أنزل درجـات، فهو القرآن النـازل وهو تنزيل القرآن، وأمّا الـدرجات العليا فهى حقيقـهٔ القرآن

وهى أكثر عظمة وقدسية وبهاءً وسموّاً، وأنّ تلك الحقائق هى الثقل الأكبر، إذ كيف يكون الوجود النازل وهو المصحف أكبر من أُمّ الكتاب ومن الكتاب المبين الذى يستطرّ فيه كلّ شىء، ومن اللوح المحفوظ والكتاب المكنون الذى لا يمسّه إلّاالمطهرون.

وتلك الحقائق الغيبية التى هى روح القدس مرتبطة وملتحمة مع أرواح الأئمّة عليهم السلام حقيقةً لا تنزيلًا واعتباراً، فالارتباط الحى الحيوى بروح القدس هو ذات الإمام عليه السلام، فالثقل الباقى بعد النبىّ صلى الله عليه و آله الأكبر لا محالة يكون الإمام والمصحف هو الأصغر، وعلى ذلك جملة من الشواهد:

الأوّل: ما ورد بنحو مستفيض ومتواتر أنّهم عليهم السلام القرآن الناطق والمصحف هو القرآن الصامت، ولا ريب أنّ القرآن الناطق هو الثقل الأكبر؛ إذ الناطق أعظم شرافة من الصامت، بل أنّ ملحمة صفّين الكبرى تُسطّر ملحمة عقائدية للأئمّة أنّ القرآن الناطق هو علىّ عليه السلام، وأنّ المصحف قرآن صامت.

كما أنّ تلك الروايات المستفيضة فى كونهم القرآن الناطق دلالة واضحة على هيمنة حجّيتهم على حجّية المصحف الشريف، أى حجّية ذواتهم الناطقة لا كلامهم المروى فى الكتب الذى هو إمام صامت.

وفى الكافى روى فيما هو كالموثق عن مسعدة عن أبى عبد اللّه عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام فى حديث: «ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم أخبركم عنه ان فيه علم ما مضى وعلم ما يأتى إلى يوم القيامة وحكم ما بينكم وبيان ما أصبحتم فيه

تختلفون فلو سألتمونى عنه لعلمتكم» «۱».

الثانى: ما رواه الشريف الرضى فى كتابه خصائص الأئمّة بسند صحيح عن أبى موسى الضرير البجلى وهو عيسى ابن المستفاد وهو وإن ضُعّف من النجاشى إلّا أنّه مستند فى ذلك إلى تضعيف ابن الغضائرى المتسرّع، والحال أنّ مضامين رواياته عالية المعارف. عن أبى الحسن عليه السلام فى خطبة الرسول صلى الله عليه و آله التى خطبها فى مرضه، قال: «يا معاشر المهاجرين والأنصار ومن حضر فى يومى هذا وساعتى هذه من الأنس والجنّ، ليبلغ شاهدكم غائبكم، ألا وأنّى قد خلّفت فيكم كتاب اللّه فيه النور والهدى والبيان لما فرض اللّه تبارك وتعالى من شىء حجّة اللّه عليكم وحجّتى وحجّة وليّى، وخلّفت فيكم العلم الأكبر علم الدين ونور الهدى وضياءه وهو علىّ بن أبى طالب، ألا ـ وهو حبل اللّه «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» «۲».

أيّها الناس، هذا علىّ، من أحبّه وتولّاه اليوم وبعد اليوم فقد أوفى بما عاهد عليه اللّه، ومن عاداه وأبغضه اليوم وبعد اليوم جاء يوم القيامة أصمّ وأعمى لا حجّة له عند اللّه..

وكلّ سُنّة وحديث وكلام خالف القرآن فهو زور وباطل، القرآن إمام هادٍ، وله قائد يهدى به ويدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة وهو علىّ بن أبى طالب عليه السلام» «۳».

ودلالة الرواية على أنّهم الثقل الأكبر فى مواضع:

منها: وصف النبىّ صلى الله عليه و آله لعلىّ عليه السلام بأنّه العلم الأكبر، علم الدين فى مقابل المصحف الشريف، مع تكراره صلى الله عليه و آله للأوصاف التى ذكرها لنعت القرآن كأوصاف

لعلىّ أيضاً.

ومنها: تخصيصه صلى الله عليه و آله حبل اللّه بعلىّ مع أنّ المصحف الشريف حبل اللّه، كما فى الأحاديث الأُخرى إلّاأنّ هذا التخصيص فى هذه الرواية للتدليل على أنّه الحبل الأكبر.

ومنها: وصفه الكتاب بأنّه حجّة اللّه على الناس وحجّة الرسول وحجّة الوصىّ، فجعل المصحف الشريف حجّة لما هو مقام أعظم وهو

مقام اللَّه ورسوله ووليه.

ومنها: وصف عليّ عليه السلام بأنّه قائد للقرآن وأنّه الهادى به، مع أنّ القرآن إمام وهاد، فجُعلت القيمومة لعليّ على المصحف.

الثالث: إنّ المقابلة ليست بين كلام اللَّه تعالى وكلام المعصوم؛ إذ لا ريب أنّ كلام الخالق فوق كلام المخلوق، بل هى بين كلامَى الخالق، أى الكلام النازل وهو تنزيل الكتاب وكلامه تعالى فى الكتاب المكنون واللوح المحفوظ وأُمّ الكتاب.

ولك أن تقول: إنّ المقارنة ليست بين المصحف وكتب الحديث وروايات السنّة النبويّة وسنّة المعصومين؛ إذ لا ـ ريب فى عظمة المصحف على كتب الحديث فالحديث يُعرض على الكتاب، وإن كان متشابه المصحف يُعرض على محكمات كلّ من الكتاب والسنّة، فمتشابه السنّة يُعرض على محكمات الكتاب والسنّة، وكذلك الحال فى متشابهات العقل فى القضايا النظرية تُعرض على محكمات الكتاب والسنّة وبديهيات العقل.

فليس المقارنة بين الكتاب والمصحف العزيز وكتاب الحديث، وإنّما المقارنة هى بين المصحف وذات الإمام المعصوم نفسه عليه السلام، وقد وصف المصحف العزيز بأنّه القرآن الصامت أى الذى لا ينطق بنفسه فى مقام التطبيق وتفاصيل الوقائع ولا متشابه الأُمور، بخلاف ذات المعصوم فإنّها وصفت بالقرآن الناطق؛ لأن ذات

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۷۳

المعصوم تلتحم بذات الكتاب وأُمّ الكتاب والكتاب المبين.

فدرجات القرآن العليا التى هى جزء ذات المعصوم قرآن ينطق، فيرفع المتشابه فى الأُمور، ويكون تلاوة للكتاب حقّ تلاوته، أى يتلو الآية ويطبّقها وينزل تطبيقها فى حقّ المورد التى يجب أن تطبّق فيه.

وكذلك الحال فى المقارنة بين ذات الإمام وكتب الحديث، فإنّ ذات الإمام إمام ناطق وكتب الحديث إمام صامت، ومن ثمّ لا يُستغنى بتراث حديث النبىّ وأهل بيته عليهم السلام عن وجود الإمام المهدى (عج).

وبهذا يتّضح أنّ المقارنة ليس بين كلام اللَّه وكلام المعصوم، بل المقارنة بين كلامَى اللَّه، فإنّ ذات المعصوم هو كلام اللَّه حقيقة، ألا ترى الإشارة فى قوله تعالى:

«إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» «۱»

، وقوله تعالى: «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ..» «۲».

فأطلق على عيسى عليه السلام أنّه كلمة اللَّه. وأيضاً لاحظ التعبير فى قوله تعالى لزكريا:

«أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُکَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ» «۳»

، أى مصدّقاً بعيسى بن مريم، والتعبير فى قوله تعالى فى شأن مريم: «وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ» «۴»

، فقوبل هنا بين الكلمات والكتب.

رابعاً: قد يُعترض على جعل أهل البيت الثقل الأكبر فى مقابل المصحف الكريم، بأنّه مخالف للحديث النبوىّ المستفيض وهو الوصية بالتمسّك بالثقلين، فإنّ الحديث وإن كان متواتراً إلّاأنّ ما ورد فيه بلفظ الأكبر والأصغر هو فى جلّ الطرق لا كلّها.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۷۴

منها: ما رواه الشيخ المفيد فى المجالس بسنده عن أبى جعفر عليه السلام، عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «يا أيّها الناس، إنّى تارك فيكم الثقلين.. سببٌ طرفه بيد اللَّه وطرف بأيديكم تعملون فيه.. ألا وهو القرآن والثقل الأصغر أهل بيتى. ثمّ قال: وأيم اللَّه إنّى لأقول لكم هذا ورجالٌ فى أصلاب أهل الشرك أرجى عندى من كثير منكم» «۱».

وروى فى البحار أيضاً عن تفسير القمّى وغيره قول النبىّ صلى الله عليه و آله: «أما وأنّى سائلكم عن الثقلين كتاب اللَّه الثقل الأكبر، طرفٌ بيد اللَّه وطرفٌ بأيديكم فتمسّكوا به» «۲».

وروى أيضاً فى البحار عن تفسير العياشى: «قال صلى الله عليه و آله: الثقل الأكبر كتاب اللَّه سبب بيد اللَّه وسبب بأيديكم فتمسّكوا به لن تهلكوا أو تضلّوا، والآخر عترتى، وأنّه قد نبّأنى اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض» «۳».

وروى فى البحار أيضاً عن كتاب النشر والطى، عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «أيّها الناس، إنّى تارك فيكم الثقلين: الثقل الأكبر كتاب اللَّه عزّوجلّ طرفٌ بيد اللَّه تعالى وطرفٌ بأيديكم فتمسّكوا به، والثقل الأصغر عترتى أهل بيتى؛ فإنّه قد نبّأنى اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض، كاصبعى هاتين وجمع بين سبابتيه ولا أقول كهاتين وجمع بين سبابته والوسطى- فتفضل هذه على هذه» «۴».

وروى فى بصائر الدرجات عن النبىّ صلى الله عليه و آله، قال: «الثقل الأكبر كتاب اللَّه سببٌ طرفه بيد اللَّه وسببٌ طرفه بأيديكم» «۵».

وروى فى الخصال عنه صلى الله عليه و آله قوله: «أمّا الثقل الأكبر فكتاب اللَّه عزّوجلّ سببٌ ممدود

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۷۵

من اللَّه ومنّى فى أيديكم، طرفه بيد اللَّه والطرف الآخر بأيديكم، فيه علم ما مضى وما بقى إلى أن تقوم الساعة، وأمّا الثقل الأصغر فهو حليف القرآن وهو علىّ بن أبى طالب وعترته، وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض» «۱».

وتوضيح دفع الاعتراض:

أوّلًا: إنّ كلّ هذه الروايات قد وصفت الكتاب أو القرآن بالثقل الأكبر، فلم تأت بلفظ المصحف والكتاب، القرآن كما يطلق على المصحف يطلق على أُمّ الكتاب وعلى الكتاب المبين وعلى اللوح المحفوظ وعلى روح القدس، كما تقدّم ذلك مفصّلًا فى استعمالات آيات السور والاستعمال الروائى، فالكتاب أو القرآن ذو درجات ومقامات متعدّدة.

ثانياً: القرينة على إرادة تلك المقامات العالية من لفظ الكتاب والقرآن فى طرق حديث الثقلين الموصوف بالثقل الأكبر، وأنّه ليس المراد به مجرّد المصحف الشريف، وصف صلى الله عليه و آله القرآن بأنّه سببٌ أحد طرفيه بيد اللَّه والطرف الآخر بيد الناس، ومثله توصيفه بأنّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، ممّا يدلّل على أنّ الموصوف بالثقل الأكبر هو الدرجات الغيبية، كروح القدس وأُمّ الكتاب، وهى الطرف الذى بيد اللَّه، فتكرار هذا الوصف بأنّ له طرفان تأكيد على كون أنّ وصف الأكبرية هى بلحاظ الطرف الذى بيد اللَّه.

ثالثاً: إنّه ورد فى عدّة طرق من ألفاظ الحديث الشريف أنّهما لن يفترقا كاصبعى هاتين وجمع صلى الله عليه و آله بين سبابتيه، وليس كهاتين وجمع صلى الله عليه و آله بين سبابته والوسطى، وعلّل صلى الله عليه و آله ذلك لئلّا يفضل أحدهما على الآخر ممّا يقضى بالتساوى، وأنّ الأكبرية هى بلحاظ الطرف الذى بيد اللَّه.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۷۶

رابعاً: إنّه قد ورد فى ألفاظ الحديث وصف مجموع الثقلين بأنّه حبل اللَّه الممدود بينه وبين خلقه، ممّا يقضى بأنّ مجموع الثقلين هما حبل واحد باطنهما متّحد كحبل نورى واحد.

وقد تقدّم دلالة الآيات المتعرّضة لحقيقة ليلة القدر وإنزال روح القدس على العترة المطهّرة وتأييد أرواحهم به، كما فى قوله تعالى: «يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» «۱»

، وغيرها من الآيات.

ففى ما رواه النعمانى فى الغيبة من قوله صلى الله عليه و آله: «ألا وأنّى مخلّف فيكم الثقلين: الثقل الأكبر القرآن، والثقل الأصغر عترتى أهل بيتى، هما حبل اللَّه ممدود بينكم وبين اللَّه عزّوجلّ، ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا، سببٌ منه بيد اللَّه وسببٌ بأيديكم، إنّ اللطيف الخبير قد نبّأنى أنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض كاصبعى هاتين- وجمع بين سبابتيه- ولا أقول كهاتين وجمع بين سبابته والوسطى فتفضل هذه على هذه» «۲»

وصفٌ فى لفظ هذا الطريق لكلٍ من الثقلين بأنّهما حبل اللَّه الممدود، كما وصف صلى الله عليه و آله أنّ كلّاً من الثقلين طرف منه بيد اللَّه وطرف منه بيد الناس، كما أنّه صلى الله عليه و آله قرنهما بجمع السبابتين لا بجمع السبابة والوسطى؛ لئلّا تفضل هذه على هذه.

فكلّ ذلك يؤكّد أنّ الأكبرية هى بلحاظ الطرف الغيبى فى كلّ من المصحف والعترة ممّا ينتهى إلى يد اللَّه وقدرته، ويزيدك وضوحاً فى هذا المعنى أنّه قد ورد مستفيضاً وصف علىّ والعترة بأنّهم حبل اللَّه، نظير ما رواه النعمانى أيضاً وبسنده عن علىّ بن الحسين عليهما السلام قال: «كان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ذات يوم جالساً ومعه أصحابه فى المسجد، فقال: يطلع عليكم من هذا الباب رجل من أهل الجنّة يسأل عمّا يعنى. فطلع رجل طوال يشبه برجال مضر، فتقدّم وسلم على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فقال: يا رسول اللَّه، إنّى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۷۷

سمعت اللَّه عزّوجلّ صلى الله عليه و آله يقول فيما أنزل: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» «۱»

، فما هذا الحبل الذى أمرنا اللَّه بالاعتصام به وأن لا نتفرّق عنه؟ فأطرق رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ملياً ثمّ رفع رأسه وأشار بيده إلى علىّ بن أبى طالب عليه السلام وقال: هذا حبل اللَّه الذى من تمسّك به عُصم فى دنياه ولن يضلّ به فى آخرته. فوثب الرجل إلى علىّ عليه السلام فاحتضنه من وراء ظهره وهو يقول: اعتصمت بحبل اللَّه وحبل رسوله، ثمّ قام فولّى وخرج» «۲»

.وقد عقد النعمانى باباً خاصّاً «۳» فى ذلك، كما روى غيره من المحدّثين من الخاصّة والعامّة مثل ذلك. «۴»

وهذه الأحاديث المستفيضة أو المتواترة شاهدة على أنّ وصف الحبل فى حديث الثقلين هو لمجموع الثقلين، والحبل كناية أنّ الثقلين لهما امتداد ممدود من عند اللَّه فى النشأة الغيبية إلى أن يصل ممتدّاً إلى ما هو ظاهر بين يدى الناس وهو المصحف والعترة، كما أنّ توصيف جملة من الأحاديث فى الثقل الأصغر كالذى رواه فى العدد القوية من قوله صلى الله عليه و آله: «معاشر الناس، أنّ عليّاً والطيبين من ولده هو الثقل الأصغر، والقرآن هو الثقل الأكبر» «۵».

ومثل ما رواه ابن طاوس فى اليقين عن علىّ عليه السلام قوله: «يا ابن عبّاس، ويلٌ لمن ظلمنى ودفع حقّى وأذهب عنّى عظيم منزلتى، أين كانوا أولئك وأنا أُصلّى مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله صغيراً لم يكتب علىّ صلاة، وهم عبدة الأوثان وعصاة الرحمن ولهم يوقد

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۷۸

النيران؟! فلمّا قرب إصعار الخدود واتعاس الجدود أسلموا كرهاً وأبطنوا غير ما أظهروا؛ طمعاً فى أن يطفئوا نور اللَّه بأفواههم، وتربّصوا انقضاء أمر رسول اللَّه وفناء مدّته، لمّا أطمعوا أنفسهم فى قتله ومشورتهم فى دار ندوتهم قال اللَّه عزّوجلّ: «وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» «۱»

و: «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» «۲».

ولولا اتّقائى على الثقل الأصغر أن يُبيد فينقطع شجرة العلم وزهرة الدنيا وحبل اللَّه المتين وحصنه الأمين ولد رسول ربّ العالمين»... الحديث «۳».

وروى ابن طاوس فى التحصين بسنده.. قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «يا معاشر الناس، أمرنى جبرئيل عليه السلام عن اللَّه تعالى.. أن أعلمكم أنّ القرآن الثقل الأكبر، وأنّ وصيىّ هذا وابناى ومن خلفهم من أصلابهم حاملًا وصاياهم الثقل الأصغر، يشهد الثقل الأكبر للثقل الأصغر، ويشهد الثقل الأصغر للثقل الأكبر، كلّ واحد منهم ملازم للآخر..» «۴».

وأخرج فى البحار عن ... بسنده عن الكاظم، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن النبىّ صلى الله عليه و آله فى حال مرضه، قال ...: «أصحاب الكساء الخمسة، أنا سيدهم ولا فخر، عترتى أهل بيتى السابقون المقرّبون يسعد من اتّبعهم ... اسودّت وجوه قوم وردوا ظماء مظمّئين إلى نار جهنّم، مزّقوا الثقل الأوّل الأعظم وأخّروا الثقل الأصغر، حسابهم على اللَّه» «۵».

وما روى المجلسى فى البحار ... «قال أمير المؤمنين: يا كميل نحن الثقل الأصغر والقرآن الثقل الأكبر وقد أسمعهم رسول اللَّه..» «۶».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۷۹

وكذلك روى المجلسى فى البحار: «ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر وأترك فيكم الثقل الأصغر وركزت فيكم الإيمان؟» «۱».

وهذا النمط من ألفاظ حديث الثقلين هو الآخر فيه جملة من القرائن الدالّة على أنّ نعت الأكبر أو الأعظم هو ليس مقتصر على المصحف الشريف، بل هو نعت للكتاب والقرآن، وهو اسمان كما تقدّم- صادقان فى الدرجة الأولى على الوجود الغيبى للقرآن، وهو أُمّ الكتاب والكتاب المبين واللوح المحفوظ وروح القدس، ومن مراتبه النازلة المصحف الشريف، وهذه المراتب العالية كما هى متنزّلة فى ألفاظ المصحف الشريف بنحو الوجود اللفظى وفى معانيه بطور عالم المعانى، فهو متنزّل أيضاً أى روح القدس- بحقيقته ووجود التكوينى لا الاعتبارى على العترة كما تقدّم مبسوطاً فى دلالة الآيات والروايات من الفريقين على ذلك.

وهذا التنزّل يجعل من العترة قرآناً ناطقاً، بينما المصحف الشريف قرآناً صامتاً يستنطق أى فى مقام التطبيق للإرادات الإلهية فى الموارد والحوادث الواقعة حين بعد حين إلى يوم القيامة، وهو أحد معانى التأويل، ويكون تطبيق العترة بنطق قرآنى وإشراف من روح القدس الذى هو حقيقة القرآن، بخلاف المصحف الشريف فإنّ أخذ الأُمّة به لتطبيقه من دون العترة استنطاق منهم ظنّى، وتطبيق ظنّى أيضاً.

فنعت الأكبر صفة للحبل الممدود من اللَّه، طرفه بيده وتنزّله منشعب إلى المصحف والعترة الطاهرة. ومن القرائن التى تقدّمت من الروايات أيضاً أنّ أمير المؤمنين مع وصفه للعترة بالثقل الأصغر إلّاأنّه وصفهم أيضاً بشجرة العلم وحبل

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۸۰

اللَّه المتين، وهو تأكيد على أنّ التسمية بالثقل الأصغر هو فى مقابل الكتاب فى درجاته العالية، كأُمّ الكتاب واللوح المحفوظ وروح القدس، ولأجل تنزّله عليهم وراثةً عن رسول اللَّه وصفوا بأوصاف الثقل الأكبر، وهو كونهم حبل اللَّه المتين، مع أنّ الحبل ذو طرفين كما مرّ. وكذلك وصفهم بشجرة العلم فإنّه للدلالة على الامتداد من الأرض إلى سماء الغيب، فالنعت بالأصغر بلحاظ أنّهم أوعية لنزول القرآن، وهم قرآن ناطق بلحاظ أنّ النازل عليهم هو الأكبر.

ومن القرائن أيضاً: أنّ الثقل الأوّل الأعظم الذى مزّق ليس المراد منه مجرّد المصحف الشريف، إنّما يُراد منه عدم العمل بالكتاب، وقد تقدّم أنّ التطبيق الوحيانى للكتاب إنّما يحصل بتوسّط العترة بتنزّل روح القدس. نعم، يبقى لتطبيق المصحف بحدود دائرة المحكمات فى حال كون الموارد والحوادث بيّنة الوجه أنّه تطبيق يقينى.

روى العياشى عن إسحاق بن عمّار عن أبى عبد اللَّه عليه السلام، قال: «إنّما مثل علىّ عليه السلام ومثلنا من بعده من هذه الأُمّة كمثل موسى عليه السلام والعالم حين لقيه واستنطقه وسأله الصحبة، فكان من أمرهما ما اقتصّه اللَّه لنبيّه صلى الله عليه و آله فى كتابه، ذلك أنّ اللَّه قال لموسى: «إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ» «۱»

، ثمّ قال: «وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ» «۲»

، وقد كان عند العالم علم لم يُكتب لموسى فى الألواح، وكان موسى يظنّ أنّ جميع الأشياء التى يحتاج إليها فى تابوته وجميع العلم قد كُتب له فى الألواح، كما يظنّ هؤلاء الذين يدّعون أنّهم فقهاء وعلماء وأنّهم قد أثبتوا جميع العلم والفقه فى الدين ممّا تحتاج هذه الأُمّة إليه وصحّ لهم عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وعلموه وحفظوه.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۸۱

وليس كلّ علم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله علموه ولا صار إليهم عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ولا عرفوه؛ وذلك أنّ الشىء من الحلال والحرام والأحكام يرد عليهم فيُسألون عنه ولا يكون عندهم فيه أثر عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، ويستحون أن ينسبهم الناس إلى الجهل، ويكرهون أن يُسألوا فلا يجيبوا فيطلب الناس العلم من معدنه.

فلذلك استعملوا الرأى والقياس فى دين اللَّه، وتركوا الآثار ودانوا اللَّه بالبدع، وقد قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: كلّ بدعة

ضلالـة، فلو أنّهم إذا سُئلوا عن شـيء من دين اللّه فلم يكن عندهم منه أثر عن رسول اللّه ردّوه إلى اللّه وإلى الرسول وإلى أَولى الأمر منهم، لعلمه الذين يستنبطونه منهم من آل محمّد صلى الله عليه و آله.

والذى منعهم من طلب العلم منّا العداوة والحسد لنا. لا واللّه ما حسد موسـى عليه السـلام العالم، وموسـى نبىّ اللّه يوحى اللّه إليه حيث لقيه واستنطقه وعرفه بـالعلم، ولم يحسـده كمـا حسـدتنا هـذه الأُمّـة بعـد رسول اللّه صـلى الله عليه و آله على ما علمناه وما ورثناه عن رسول اللّه صـلى الله عليه و آله، ولم يرغبوا إلينا فى علمنا كما رغب موسـى عليه السـلام إلى العالم وسأله الصـحبة ليتعلّم منه ويرشده، فلمّا أن سأل العالم ذلك علم العالم أنّ موسـى عليه السـلام لا يستطيع صـحبته ولا يحتمل علمه ولا يصبر معه، فعند ذلك قال العالم: «كَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا» «۱».

فقال موسى عليه السلام له وهو خاضع له يستعطفه على نفسه كى يقبله «سَتَجِدُنِى إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِى لَكَ أَمْرًا» «۲»

، وقـد كـان العـالم يعلم أنّ موسـى عليه السـلام لاـ يصبر على علمه، فكـذلك واللّه يـا إسـحاق بن عمّـار حـال قضـاة هؤلاء وفقهائهم وجماعتهم اليوم لا يحتملون واللّه علمنا، لا يقبلوه ولا يطيقونه ولا يأخـذون به ولا يصبرون عليه كما لم يصبر موسـى عليه السـلام على علم العالم حين صحبه ورأى ما رأى من علمه، وكان ذلك عند

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۸۲

موسى عليه السلام مكروهاً وكان عند اللّه رضاً وهو الحقّ، وكذلك علمنا عند الجهلة مكروه لا يؤخذ وهو عند اللّه الحقّ» «۱».

يشير الإمـام عليه السـلام فى هـذه الروايـة إلى أنّ العلم بالكتـاب المبين ليس هـو مجرّد العلم بالمصـحف الشـريف كى يظنّ من ألمّ بالمصـحف الشـريف أنّه قـد اسـتغنى عن علم أهل البيت عليهم السـلام، مع أنّ الإحاطة بكلّ المصـحف ومحتملاته وتناسـبات الآيات مجموعها ضمن منظومة مترامية لا تقف عند حدٍّ مفاداً وعدداً.

وبعبـارة أُخرى: أنّه وصف القرآن فى أُمّ الكتـاب وفى اللوح المحفوظ والكتـاب المبين وروح القـدس بأوصـافٍ تختلف عن أوصاف المصـحف الشـريف، ومن ذلك يتبيّن أنّ نعت الأكبريـة للثقل إنّما هى بلحاظ الكتاب المبين وأُمّ الكتاب واللوح المحفوظ، لا بلحاظ مجرّد المصحف الشريف.

ومن الواضـح أنّه لاـ سبيـل للنـاس فى الوصول إلى مـا فى الكتاب المبين وأُمّ الكتاب واللوح المحفوظ إلّاعن طريق أهل البيت الـذين يحيطون بـذلك ويمسّونه، لا الاقتصار على مجرّد المصـحف الشـريف، وقد ذكر فى المصـحف الشـريف أوصاف الكتاب المبين كما ذكر نعت من يحيط به علماً.

أمّا النعت الأوّل كقوله تعالى: «مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ» «۲»

، ممّا يدلّ على إحاطة الكتاب بكلّ شـىء، وهذا وصف القرآن بالكتاب المبين. وكذلك قوله تعالى: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَايَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ» «۳»

، وقوله تعالى: «وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۸۳

السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ» «۱».

وقوله تعالى: «يَمْحُواْ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» «۲»

، وقوله تعالى:

«وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً» «۳»

، وقوله تعالى: «وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ» «۴»

، وقوله تعالى: «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» «۵»

، وأثر التصدع إنّما هو نعت لذلك الوجود من القرآن الكريم، وقوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى» «۶»

، فنعت قدرة تسيير الجبال وتقطيع الأرض وإحياء الموتى وصف للقرآن بلحاظ ذلك الوجود، ومن الواضح أنّ نعت الأكبر مناسب وأنسب لهذا المقام من القرآن، وأنّ المصحف الشريف والعترة الطاهرة هما السبب الذى بيد الناس من الحبل المتين الممدود، والطرف الآخر من هذا الحبل الذى بيد اللَّه هو أُمّ الكتاب والكتاب المبين واللوح المحفوظ وروح القدس، والنعت بالأكبر هو بلحاظ الطرف الذى بيد اللَّه، وبالأصغر الطرف الذى بيد الناس، ومن المعلوم تنزّل هذا الأكبر بنحوٍ ينطق فى الحوادث، ويكون نزولًا وتنزيلًا لكلّ مورد وحدث بنحو وحيانى لدنى لا- يحتمل الخطأ والزلل، إنّما هو بتوسّط العترة، وإن كانت محكمات المصحف باقية على وصف أنّها تنزّل لأُمّ الكتاب.

أمّا النعت الثانى وهو ورود القرآن بنعت من يحيط بأُمّ الكتاب والكتاب المبين واللوح المحفوظ وروح القدس، كما فى قوله تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِى كِتَابٍ

مَكْنُونٍ* لَايَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ* تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» «۱»

، والمطهّرون الذين شهد لهم القرآن بالطهارة وهم أهل آية التطهير «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً» «۲»

، وعرّفهم تعالى فى آية أُخرى حيث قال:

«بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» «۳».

وهذه الآية تفسّر قوله تعالى المتقدّم: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَىْءٍ» «۴»

، حيث إنّ الآية الكريمة تصرّح بأنّ الكتاب بجملته آيات بينات فى صدورهم، مع أنّ المصحف الشريف نعت بأنّ منه آيات محكمات وأُخر متشابهات، بينما وصف الكتاب الذى فى صدورهم بأنّه بتمامه آيات بينات.

وروى الكلينى بسند معتبر عن الحسن بن العبّاس بن الحريش، عن أبى جعفر الثانى عليه السلام، قال: «قال أبو عبد اللَّه عليه السلام: بينا أبى عليه السلام يطوف بالكعبة إذ رجل معتجر قد قيض له».

ثمّ ذكر مسائلة إلياس النبىّ للإمام الباقر عليه السلام عن حقيقة علم سيد الأنبياء وعلم أوصياءه، وحقيقة العلم المتنزّل ليلة القدر من أُمّ الكتاب والكتاب المبين، وأنّه يتنزّل على الوصىّ حجّة اللَّه فى أرضه، حيث قال الباقر عليه السلام: «أبى اللَّه عزّوجلّ بعد محمّد صلى الله عليه و آله أن يُترك العباد ولا حجّة عليهم، قال أبو عبد اللَّه عليه السلام: ثمّ وقف فقال:ها هنا يا ابن

رسول اللَّه بابٌ غامضٌ، أرأيت إن قالوا: حجّة اللَّه القرآن؟ أى المصحف قال: إذن أقول لهم إنّ القرآن ليس بناطق يأمر وينهى، ولكن للقرآن أهلٌ يأمرون وينهون، وأقول: قد عرضت لبعض أهل الأرض مصيبة ما هى فى السنّة والحكم الذى ليس فيه اختلاف وليست فى القرآن- أى المصحف- أبى اللَّه لعلمه بتلك الفتنة أن تظهر فى الأرض وليس فى حكمه رادّ لها ومفرّج عن أهلها، فقال:ها هنا تفلجون يا ابن رسول اللَّه الفتنة أن تظهر فى الأرض ... أشهد أنّ اللَّه عزّ ذكره قد علم بما يصيب الخلق من مصيبة أو فى أنفسهم من الدين أو غيره فوضع القرآن دليلًا قال فقال الرجل هل تدرى يا ابن رسول اللَّه دليل ما هو قال أبو جعفر عليه السلام نعم فيه جمل الحدود وتفسيرها عند الحكم فقال أبى اللَّه أن يصيب عبداً بمصيبة فى دينه أو فى نفسه أو فى ماله ليس فى أرضه من حكمه قاض بالصواب فى تلك المصيبة قال فقال الرجل أما فى هذا الباب فقد فلجتهم بحجة الا أن يفترى خصمكم على اللَّه فيقول ليس للَّهجلّ ذكره حجة» «۱».

فبين عليه السلام أنّ حجّية المعصوم الناطق مهيمنة رتبةً على حجّية المصحف.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۸۷

على مَنْ يتنزّل الروح والملائكة فى ليلة القدر ...؟ ص: ۳۸۷

اشارة

لا ريب أنّ ليلة القدر كانت تتنزّل على خاتم الأنبياء، كما هو نصّ القرآن الكريم فى قوله تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِی لَيْلَةِ الْقَدْرِ» «۱»

، أى أنزلنا القرآن، وكذا سورة الدخان من قوله تعالى: «حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِی لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ» «۲»

، وقوله تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ» «۳»

، وهو النزول لجملة القرآن وحقيقته كما تقدّم بيانه، والذى هو الروح النازل ليلة القدر روح القدس، كما أنّه بمقتضى روايات الفريقين التى مرّ استعراضها كانت تتنزّل على الأنبياء السابقين منذ آدم عليه السلام إلى نبيّنا صلى الله عليه و آله، وهو مقتضى الأدلّة العقلية، حيث إنّ عالم ولوح القضاء والقدر وإمضائه فى عالم الدنيا ونشأة الأرض وعالم المادّة الغليظة لابدّ أن يطوى هذه المراحل، فهذه السلسلة التكوينية من العوالم كما هو محرّر فى مباحث الحكمة الإلهية لا يختصّ بزمان دون آخر، بل هو من السنن الإلهية فى عوالم الخلقة، فمقتضاها الاستمرار من بدء الخلقة البشرية إلى يوم القيامة، فهذا الدليل العقلى يقضى‌باستمرار وجود من تتنزّل عليه ليلة القدر إلى يوم القيامة بعد سيد الأنبياء، وهذا المعنى هو الذى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۸۸

نشاهده بوضوح من دلالة النصّ والسور القرآنية العديدة كحقيقة قرآنية بيّنة، وكذلك فى روايات الفريقين كما مرّت الإشارة إلى ذلك.

أمّا الآيات القرآنية الدالّة على الاستمرار، فمضافاً إلى الضرورة بين المسلمين على استمرار ليلة القدر، يقع الكلام فى معرفة من تتنزّل ليلة القدر عليه بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟ فهنا جانبان من البحث:

الأوّل: فى استمرار ليلة القدر.

الثانى: على من تتنزّل ليلة القدر بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟

والآيات تفيد كلا الجانبين، كقوله تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِی لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ* تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» «۱»

، فالتعبير بتنزّل- جملة فعلية بالفعل المضارع الدالّة على الاستمرار، وكذا قوله فى سورة الدخان: «فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ* أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ» «۲»

، بنفس التقريب المتقدّم، فإنّه قد وصف الليلة المباركة التى يتنزّل فيها بالجملة الفعلية بالفعل المضارع، وإنّ شأن هذه الليلة على الدوام أن يُفرق فيها كل أمر حكيم، وأن يُرسل فيها الروح إلى من يصطفيه اللَّه من عباده فى الأرض.

نزول الروح وحىٌ ربانى ...: ص: ۳۸۸

وأمّا الثانى: كما أنّ نزول الروح والملائكة من كلّ أمر أى بكلّ أمر يقتضى وجود من تُرسل إليه تقادير الأُمور، إذ لا يعقل إرسال من دون مرسل إليه بعد تصريح سورة الدخان وغيرها بإنّه إرسال كما هو إنزال، وتصريحها بالمرسل به

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۸۹

والمرسل، فلابدّ من وجود مرسل إليه، مع أنّ الآيات الأخرى صرّحت بالمرسل إليه.

وبعبارة أُخرى: إنّ نزول الروح في استعمال القرآن هو نمط من الوحي الإلهي في القرآن الكريم ومصطلح قرآني دالّ على الوحي، وإن كانت أقسام الوحي الإلهي في القرآن الكريم غير منحصرة بالوحيّ النبوي، كما في مورد مريم وأُمّ موسى وذي القرنين وطالوت وصاحب موسى الخضر- وغيرها من الموارد، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: «وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ» «۱»

، فلم يخصّص التكليم الإلهي بالأنبياء والرُسل، بل عمّم إلى المصطفَين والحجج من البشر، كما هو الحال في مريم وأُمّ موسى، وقد عبّر عن الوحي بنزول الروح في قوله تعالى:

«قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ» «۲»

، وقوله تعالى: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ» «۳»

، وإن كانت هذه الآية تشير إلى النزول الثاني للقرآن وهو تنزيل المعاني والألفاظ، لكنّه تعبير عن الوحي، وكذا قوله تعالى: «قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ» «۴»

، فنزول الروح اصطلاح قرآني للوحي وإن لم يكن وحياً نبوياً.

وهذا يعني أنّ في ليلة القدر من كلّ عام يقع هذا الوحي الإلهي والنزول، ومن ثمّ عبّر تعالى في سورة الدخان: «حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ* أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ» «۵»

بالإرسال، أي أنّ هذا الروح الأمري مرسل من قبله تعالى إلى مُرسَل إليه من

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۹۰

البشر، كما في ذيل آية الشورى من قوله تعالى: «أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ» «۱»

، فسورة الدخان أيضاً تدلّ على أنّ في ليلة القدر هناك وحي إلهي عبّرت عنه بالقول: «إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ»، وكذلك في قوله تعالى في سورة النحل: «يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَاإِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ» «۲»

، فصرّحت الآية الكريمة بأنّ نزول الروح هو على من يشاء اللَّه أي من يصطفيه لذلك من العباد من دون التقييد بالنبوّة.

فهذا النزول للروح هو وحي وهو نازل على من يشاء ويصطفيه من عباده، وكذا قوله تعالى في سورة غافر: «ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» «۳»

، وإلقاء الروح الأمري عبارة عن نزوله وإرساله، نظير التعبير بقوله تعالى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا» «۴»

وجعل في الآية الملقى إليه الروح هو من يشاء ويصطفى من عباده من دون التقييد بعنوان النبوّة والرسالة والاصطفاء، فقد تعلّق بمريم، كما تعلّق بطالوت الإمام غير النبيّ في سورة البقرة في قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ» «۵».

قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا» «۶»

الضمير في (جعلناه نوراً) الظاهر عوده إلى الروح الأمري؛ إذ لو كان يعود إلى الروح الذي هو مبتدء الكلام في الآية ويكون المراد أنّ الروح الأمري يجعله اللَّه نوراً ويوحي ويهدي به من يشاء من عباده ويصطفيهم لذلك فيحصل لهم العلم ودراية الكتاب والإيمان.

والحاصل: أنّ تعميمه تعالى إلى من يوحى إليه الروح الأمري غير النبيّ صلى الله عليه و آله

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۹۱

يدلّ على عموم ظرف الإيحاء للحجج المصطفين من العباد الإيحاء والوحي به، وقد قرّر في روايات الفريقين كما هو ظاهر سورة القدر والدخان أنّ هذا الوحي غير مرتبط بوحي النبوّة والرسالة، وإنّما هو وحي إلهي مرتبط بتقدير الأُمور وقضائها وإبرامها الذي هو

من تأويـل الكتـاب، وقـد عبّر فى سورة النحـل بأنّ هـذا النزول والوحى الإلهى غير النبوىّ هو على من يشاء من عباده، فعبّر بلفظ عباده ولم يؤت بلفظ أنبيائه أو رسله؛ للدلالة على العموم عموم المصطفَين الذين اختارتهم المشيئة الإلهية لذلك.

ومقتضـى ذلك وجود ثلّة فى هـذه الأُمّة بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله تتنزّل عليهم الروح ليلة القدر، وقد أُشير إليهم فى سورة الواقعة والأحزاب حيث قال تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ* لَايَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ* تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» «۱»

، فأخبر أنّ القرآن الذى فى الكنّ محفوظ كما فى سورة البروج من قوله تعالى: «بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ* فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ» «۲»

، فـأخبر تعـالى أنّ القرآن الـذى فى اللوح المحفوظ والكتـاب المكنون لاـ يمسّه ولاـ يصـل إليه إلّاالمطهّرون، لا المتطهّرون بالوضوء والغسل بل المطهّرون من قبله تعالى بنصّ آيـة التطهير فى سورة الأحزاب: «إِنَّمَا يُرِيـدُ اللَّهُ لِيُـذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً» «۳».

فيتبيّن من ضمّ الآيـات بعضـها إلى بعض أنّ من يتنزّل عليه الروح الأـمرى من يشـاء اللّه ويصـطفيه من عباده كما فى سورة النحل وهم أهل آية التطهير، فإنّهم يمسّون الكتاب فى ليلة القدر فى الليلة المباركة.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۹۲

نسب النبىّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته هو سورة القدر ...: ص: ۳۹۲

حيث يتبيّن ممّا مضـى أنّ روح القـدس الـذى هو القرآن الكريم كما هو ملتحم بروح النبىّ صـلى الله عليه و آله كـذلك ملتحم بروح أوصـياء النـبىّ صـلى الله عليه و آله من بعـده واحـد بعـد آخر، حيث يتنزّل عليهم الروح ليلـة القـدر، بـل أنّ ظـاهر سـورة النحـل عـدم اختصاص التنزّل عليهم بليلة القدر، وقد أشارت إلى ذلك جملة من الروايات عنهم عليهم السلام، فهذا النزول والوحى بهذا الروح لهم هو المعرّف لهويتهم ونسبهم الروحى لشخصية ذواتهم ونسب مقام ذاتهم عليهم السلام.

فى صـحيحة ابن أُذينـة الـتى رواهـا الكـافى عن أبى عبـداللّه عليه السـلام فى صـلاة النبىّ صـلى الله عليه و آله فى السـماء فى حـديث الإسـراء، قال عليه السلام: «ثمّ أوحى اللّه عزّوجلّ إليه: إقرأ يا محمّد نسبة ربّك تبارك وتعالى: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* أَللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» «۱»

، وهـذا فى الركعـة الأُولى ... ثمّ أوحى اللّه عزّوجـلّ إليه إقرأ بالحمـد للّه، فقرأها مثل ما قرأ أوّلًا، ثمّ أوحى اللّه عزّوجلّ إليه إقرأ «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» فإنّها نسبتك ونسبة أهل بيتك إلى يوم القيامة» «۲»

، وروى مثله فى علل الشرائع، وغيرها من الروايات.

فهذا التعريف لهوية النبىّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام هو نظير تعريف الإنسان بالنطق الذى هو الروح العاقل، أى تمييز وتعريف الشـخص بالمراتب العاليـة الوجوديـة من ذاته، ونظير ذلك تعريف القرآن النبىّ عيسـى عليه السـلام بأنّه كلمـة اللّه وأنّه آيـة، لكن لا يخفى أنّ فى آيات خلقة النور فى سورة النور و روايات خلق النور يظهر أن أُصول ذواتهم خلقا ما هو أرفع من روح القدس.

وفى رواية بصائر الدرجات عن محمّد بن سليمان الديلمى، عن أبيه، عن أبى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۹۳

عبـداللّه عليه السـلام فى حـديث عن ولادة الإمـام عليه السـلام ومـا يرافق ذلك من مراسم ملكوتيـة وأنّ الإمام عليه السـلام يقول بعد ذلك: «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَاإِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَاإِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» «۱»

، فإذا قالها أعطاه العلم الأوّل والعلم الآخر، واستحقّ زيادة الروح فى ليلة القدر «۲».

وروى عن الحسن بن عبّاس بن حريش، قال: «قال أبوعبـداللّه عليه السـلام: إنّ القلب الـذى يعاين ما ينزل فى ليلـة القـدر لعظيم الشأن. قلت: وكيف ذاك يـا أبا عبـد اللّه؟ قال: يُشق واللّه بطن ذلك الرجل ثمّ يؤخـذ ويكتب عليه بمـداد النور ذلك العلم، ثمّ يكون القلب

مصحفاً للبصر، ويكون الأذن واعيةً للبصر، ويكون اللسان مترجماً للأذن، إذا أراد ذلك الرجل علم شيء نظر ببصره وقلبه فكأنّه ينظر فى كتاب».. الحديث «۳».

والمراد من شقّ البطن أى انفتاح نوافذ الروح، وقريب من ذلك ما روى فى معانى الأخبار بسنده إلى الأصبغ بن نباتة، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «يا على، أتدرى ما معنى ليلة القدر؟ فقلت: لا يا رسول اللَّه، فقال: إنّ اللَّه تبارك وتعالى قدّر فيها ما هو كائن إلى يوم القيامة، وكان فيما قدّر عزّوجلّ ولايتك وولاية الأئمّة من ولدك إلى يوم القيامة» «۴»

. وروى مثلها بإسناده المتّصل عن المفضّل بن عمر عنه عليه السلام.

فكون الروح النازل وهو روح القدس وهو أحد أرواحهم عليهم السلام يبيّن هوية ولايتهم والتى هى الكتاب المبين، وقد تقدّم نعوت الكتاب المبين وآثار القدرة والولاية التكوينية له، ووصفه بالمجد فى سورة البروج والكرامة فى سورة الواقعة، إشارة إلى آثار القدرة لحقيقة الكتاب التى هى روح القدس.

وفى صحيحة جابر الجعفى، قال: قال أبوعبداللَّه عليه السلام فى حديث عن أصناف

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۹۴

الخلق: «فالسابقون هم رسول اللَّه وخاصّة اللَّه من خلقه، جعل فيهم خمسة أرواح: أيدهم بروح القدس فبه عرفوا الأشياء، وأيدهم بروح الإيمان فبه خافوا اللَّه عزّوجلّ، وأيدهم بروح القوّة فبه قدروا على طاعة اللَّه، وأيدهم بروح الشهوة فبه اشتهوا طاعة اللَّه عزّوجلّ وكرهوا معصيته، وجعل فيهم روح المدرج الذى به يذهب الناس ويجيئون» «۱».

وفى رواية أُخرى لجابر عن أبى عبداللَّه عليه السلام، قال: «سألته عن علم العالم؟ فقال لى: يا جابر، إنّ فى الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس وروح الإيمان وروح الحياة وروح القوة وروح الشهوة، فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى. ثمّ قال: يا جابر، إنّ هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثان إلّاروح القدس فإنّها لا تلهو ولا تلعب» «۲».

وفى رواية المفضّل بن عمر عن أبى عبداللَّه عليه السلام: «سألته عن علم الإمام بما فى أقطار الأرض وهو فى بيته مرخى عليه ستره؟ فقال: يا مفضّل، إنّ اللَّه تبارك وتعالى جعل فى النبىّ صلى الله عليه و آله خمسة أرواح ...: وروح القدس فبه حمل النبوّة فإذا قُبض النبىّ صلى الله عليه و آله انتقل روح القدس فصار إلى الإمام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو، وروح القدس كان يُرى به» «۳».

وهذه النعوت لروح القدس المذكورة فيهم وهو النازل عليهم ليلة القدر، بل وفى غيرها أيضاً كما هو مقتضى سورة النحل «۴» وسورة غافر «۵»، حيث لم يقيّد إنزاله بوقت خاصّ، وروح القدس النازل الملتحم بأرواحهم المتّصل بها كما هو

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۹۵

معنى الوحى فى الحكمة والعلوم العقلية، قد عرّف وطوبق فى سورة الدخان بالكتاب المبين: «حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ* أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ» «۱»

، فجُعل الكتاب المبين هو الروح النازل فى ليلة القدر.

وقد تقدّم وصف الكتاب المبين بأنّه يُستطرّ فيه كلّ شيء وكلّ غائبة فى السماوات والأرض وكلّ صغيرة وكبيرة، وهو القرآن الكريم فى الكتاب المكنون والقرآن المجيد فى اللوح المحفوظ، وهذا معنى قوله عليه السلام: «فبه حمل النبوة»، وقوله عليه السلام: «كان يُرى به»، أى ما فى أقطار الأرض وما فى عنان السماء وما دون العرش وما تحت الثرى، وقوله عليه السلام: «فبه عرفوا الأشياء».

روح القدس وراثتهم عليه السلام للكتاب وعلوم النبىّ صلى الله عليه و آله ...: ص: ۳۹۵

فقوله عليه السلام فى الرواية السابقة للمفضّل عن أبى عبداللَّه عليه السلام: «إذا قُبض النبىّ صلى الله عليه و آله انتقل روح القدس

فصار إلى الإمام»، هو معنى وراثتهم عليهم السلام للكتاب أى لحقيقة الكتاب الذى هو مكنون ولوح محفوظ، لا للمصحف الشريف الذى هو الوجود المنقوش للقرآن الكريم، فقوله تعالى: «وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ* ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» «۲»

يشير إلى الوراثة التكوينية لحقيقة الكتاب بوجوده الوحيانى فى عالم الوحى، لا الكتاب بوجوده المنقوش فى المصحف، من هنا فإنّ تخصيص الوراثة بالمصطفَين من العباد، فإنّ الإصطفاء هو الطهارة الروحية الخاصّة اللدنية

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۹۶

التى يتأهّل بها المصطفون من العباد للوحى الإلهى الأعمّ من الوحى النبوىّ وغيره، كما فى تأهّل مريم لمحادثة الملائكة لها ووحى اللَّه لها مباشرة، كما فى سورة آل عمران.

ومن ثمّ ترى نسق التعبير والتركيب فى الآية الكريمة على نسق التعبير فى سورة النحل: «يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ» «۱»

، فالتعبير فيها على من يشاء من عباده أى من يختار ويصطفى، فوراثة الكتاب نزول الروح وهى وحى حقيقة الكتاب، كما فى سورة الشورى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ» «۲»

، وكذلك يتناغم التعبير بين كلّ من آية فاطر وآية النحل وآية الدخان وآية غافر حيث ذكر مع نزول الكتاب المبين ونزول روح القدس فى ليلة القدر وغيرها حصول الإنذار والإرسال، وقد أسند فعل الإنذار إلى غير الأنبياء وغير الأوصياء ممّن يجوز عليهم الخطأ فى موارد من القرآن الكريم، كما فى آية التفقّه فى سورة البراءة «۳»، فكيف يستبعد إطلاقه على كلام الأوصياء.

فإرسال الروح وحصول الإنذار لا يختصّ بالوحى النبوىّ، بل يعمّ الوحى غير النبوىّ وراثة بعد الأنبياء، كما تعلّق البعث الإلهى بطالوت الإمام مع عدم كونه نبيّاً فى قوله تعالى على لسان نبىّ من بنى إسرائيل: «قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا» «۴».

وأمّا التعبير بالآية: «فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ» «۵»

فالضمير ليس عائد إلى الذين اصطفينا بل إلى عبادنا، أى أنّ عبادنا بعضٌ ظالم

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۹۷

لنفسه وبعضٌ مقتصد وبعضٌ سابق بالخيرات، كما أنّ الذين اصطفيناهم بعضٌ من عبادنا، فلفظ (من) التى تكرّرت أربع مرّات فى الآية بمعنى بعض؛ وإلّا كيف يصطفى اللَّه الظالم لنفسه؟

ومنه يُعرف أنّ المراد من السابق بالخيرات هم الذين اصطُفوا من العباد، وأنّهم الأئمّة، وأنّ الإمامة وهى وراثة الكتاب هى الفضل الكبير، والتعبير بالسابق بالخيرات بإذن اللَّه يقرب من التعبير فى سورة الأنبياء فى قوله تعالى:

«وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ» «۱»

، فكما جعل فى آية فاطر السبق بإذن اللَّه اصطفائى لدنى، فكذلك فى آية الأنبياء جعل إبراهيم وإسحاق ويعقوب أئمّة يهدون بأمر اللَّه، وأنّ فعل الخيرات منهم بوحى تسديدى من اللَّه، وأنّ هذا الأمر ليس أمراً إنشائياً بل هو أمر تكوينى الذى أُشير إليه فى سورة النحل بقوله تعالى: «يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» «۲».

وكذلك فى سورة القدر قوله تعالى: «تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» «۳»

وكذلك فى سورة الشورى قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ» «۴»

، وهذا ممّا يشير أنّ روح القدس من عالم الأمر الملكوتى الابداعى.

وقد ذُكر عالم الأمر فى قوله تعالى «أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» «۵»

، وقوله تعالى: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» «۶»

،

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۹۸

وقوله تعالى: «وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ» «۱»

، أى أنّه من عالم الإبداع لا الخلق التقديرى، ومن ثمّ ورد أنّ تقدير السماوات والأرض أى عالم الملك والمادة أى ما يشمل عالم الدنيا وعالم البرزخ- كلّ ذلك قد قُدّر فى ليلة القدر.

وقد مرّ فى الروايات أنّ تقدير ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فى مقامها التكوينى قد قدّر فى ليلة القدر، فقد روى الصدوق فى معانى الأخبار بإسناده إلى المفضّل بن عمر، قال: «ذكر عند أبى عبد اللّه عليه السلام إنا أنزلناه فى ليلة القدر، قال: ما أبين فضلها على السور. قال: قلت: وأى شيء فضلها؟ قال: نزلت ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فيها. قلت: فى ليلة القدر التى نرتجيها؟ قال: نعم، هى ليلة قدّرت فيها السماوات والأرض، وقدّرت ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فيها».

ولا يخفى التعريض فى كلامه عليه السلام بين تقدير السماوات والأرض وتقدير ولاية أمير المؤمنين من الناحية الكونية التكوينية، ودور روح القدس، وتناسب سجود الملائكة كلّهم أجمعين، أى طاعتهم لخليفة اللّه فى الأرض كما فى سورة البقرة وغيرها من السور، سواء ملائكة الأرض أو ملائكة السماوات أو ملائكة الجنّة والنار.

وقد ورد أيضاً أنّ روح القدس أعظم خلقاً، ففى صحيح أبى بصير، قال:

«سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن قول اللّه تبارك وتعالى: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ» «۲»

؟ قال: خلق من خلق اللّه عزّوجلّ أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله يخبره ويسدّده، وهو مع الأئمّة من بعده» «۳».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۳۹۹

وفى صحيحه الآخر قال: «سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن قول اللّه عزّوجلّ «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى» «۱»

؟ قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله وهو مع الأئمّة وهو من الملكوت» «۲».

وفى معتبر أسباط بن سالم عنه عليه السلام: «منذ أنزل اللّه عزّوجلّ ذلك الروح على محمّد صلى الله عليه و آله ما صعد إلى السماء وإنّه لفينا» «۳».

وفى صحيح سعد الإسكافى، قال: «أتى رجلٌ أميرَ المؤمنين عليه السلام يسأله عن الروح أليس هو جبرئيل؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: جبرئيل عليه السلام من الملائكة والروح غير جبرئيل، فكرّر ذلك على الرجل، فقال له: لقد قلتَ عظيماً من القول ما أحد يزعم أنّ الروح غير جبرئيل، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إنّك ضالّ تروى عن أهل الضلال، يقول اللّه تعالى لنبيّه صلى الله عليه و آله: «أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ* يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ» «۴»

، والروح غير الملائكة صلوات اللّه عليهم» «۵».

وحيث كانت ليلة القدر وراثة الكتاب بنزول روح القدس الذى هو حقيقة الكتاب، ورد عن أبى جعفر عليه السلام قال: «يا معشر الشيعة خاصموا بسورة «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» تفلحوا؛ فواللّه إنّها لحجّة اللّه تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وأنّها لسيدة دينكم وأنّها لغاية علمنا، يا معشر الشيعة خاصموا ب «حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ» «۶»

، فإنّها لولاة الأمر خاصّة بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله» «۷».

ولا يخفى أنّ فى كلامه عليه السلام محطّات للتدبير والغور، منها: وصفه لسورة القدر

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۰۰

أنّها سيدة دينكم إي‌حقيقتها مرتبطة بإلامامة الالهية، وفيه إشارة لكون الامام الناطق ثقل أكبر مهيمن على حجّته المصحف.

ومنها: قوله (وأنّها لغاية علمناه) أي أنّ عمده ما ورثوه من العلم عن النبيّ صلى الله عليه و آله هو بتوسّط روح القدس، لا الطرق السماعية والرواية.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۰۱

حاضر المعرفة

الفصل الثامن: معتقدات الإمامة والمهدى (عج ...) ص: ۴۰۱

اشارة

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۰۳

المقالة الاولى العلم اللدنى والولاية الشريعة بحسب الظاهر وسنن النظام الكونى ... ص: ۴۰۳

العلم اللدنى المقوّم لماهية الإمامة ...: ص: ۴۰۳

وقبل الخوض في ذلك يجدر الإلفات إلى النقاط التالية:

۱- البحث يرتبط بصلة وثيقة بالفصول السابقة من الجزء الأوّل من كتاب الإمامة.

۲- غالب البحث سيكون ذا طابع قرآني، وذلك بعد التنبّه إلى نكات الظهور بتوسّط روايات أهل البيت عليهم السلام.

۳- تذكير بنقاط مستخلصة ممّا سبق:

أ- تعريف الإمامة: والذي تقدّم مفصّلًا في الفصل الثالث من الجزء الأوّل- باختصار: إنّ ما ذكره باقتضاب واختزال المتكلّمون- حتّى الشيعة منهم في تعريف الإمامة- موهم أنّ مقام الإمامة عبارة عن الزعامة والرئاسة الاعتبارية الاجتماعية فقط؛ لخلوّه من التنويه إلى ارتباط المعصوم بمقام الغيب، ومن ثمّ أوهم التعريف المزبور أنّ الإمام كأيّ عالم آخر، سوى أنّه في درجة متقدّمة، ممّا أوقع الكثير في شبهات حول الإمامة..

وذكرنا في الفصول السابقة المفهوم الذي اخترناه لمعنى الإمامة، وأنّ ما ذكره المتكلّمون وبعض الحكماء من الإمامية في تعريف الإمامة لا يستوعب جميع

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۰۴

جوانب الإمام. فالمتكلّمون اقتصروا على الرئاسة الدينية والدنيوية، وهذا قصر للإمامة على الزعامة السياسية والولاية التشريعية، بل إنّ البعض اقتصر على حفظ الدين، ومن الواضح أنّ هذا التعريف وأمثاله أهمل الإشارة إلى مقام الإمام ومنبع علمه هل هو القناة الحسيّة أم أُخرى غيبية يمتاز بها عن بقية البشر، وهذا الإهمال وقصر حقيقة الإمامة على الشأن الدنيوي هو الذي أوقع كثير من المتأخّرين في العديد من الإشكالات التي لم يجدوا لها جواباً شافياً على هذا التفسير للإمامة.

ومن هنا حدّدنا في الفصول السابقة الأركان والمحاور الأساسية التي تبتني عليها حقيقة الإمامة وماهيتها، وهي:

۱- الهداية الإرائية: ويقصد بها التبليغ والتشريع وإراءة الطريق للمؤمنين، وهذه تعتمد على أنّ للإمام علم لدني وقناة غيبية يستقي منها علومه، وهي ليست من سنخ النبوّة، بل هي وحي بالمعنى الأعمّ، كما ورد عنهم عليهم السلام في الزيارات ما مضمونه: «إنّ الإمامة سفارة إلهية».

۲- الهداية الإيصالية: وهی حيثية ولائية مولوية وقدرة، وقد عرّفها العلّامة الطباطبائی فی الميزان فی ذيل آية «وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ» «۱» ، «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا» «۲».

قيادة المعصوم للنفوس وإيصالها إلى المنازل المعنوية الكمالية، وهاتان النقطتان من المحاور الأساسية فی حقيقة الإمامة، وقد مثّلنا لهما بقوّة العقل النظری والعملی فی الإنسان الصغير، وبمقتضى التطابق بين الإنسان الصغير والكبير يمكن معرفة كثير من خصائص الإمامة فی مقام الهداية الإرائية والإيصالية.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۰۵

فالهداية الإرائية تتمّ عبر قناة التبليغ، وعبر قناة الاتّصال...

والهداية الإيصالية للمعصوم تتمّ كما فی قوّة العقل العملی «۱» من دون إلجاء وإجبار، حيث يشوّق ويحثّ ويجذب من دون قهر لقوى الإنسان الأخرى، فالهداية الإيصالية تتمّ من دون أن يكون هناك سلب للإرادة والاختيار.

۳- إنّ الأصل الاشتقاقی للإمامة هو من أمّ يؤمّ، وهی تتضمّن خاصّية المتابعة من المأموم للإمام، وهی تتضمّن استمرارية السير والحركة الشعورية الدائمة، وعدم التوقّف والجمود، فلا يكون صرف الإراءة محقّقاً للإئتمام، بل هی والإيصالية.

۴- لابدّ للسير والحركة من غاية، وبدون هذه الغاية لا تتحقّق ماهية الإمامة.

وكلّ هذا ممّا حدا بالمحدّثين والمفسّرين والفلاسفة لدفع الإيهام فی تعريف المتكلّمين بالإلفات إلى أنّ الإمامة سفارة إلهية..

ومن ثمّ ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا سفير السفراء» «۲»

، وكذا عبّر الإمام الهادی عليه السلام فی زيارته لجدّه أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير: «يا أمين اللّه فی أرضه

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۰۶

وسفيره فی خلقه»، وفی زيارته عليه السلام ليلة المبعث ويومه أوردها المفيد وابن طاووس والشهيد: «وعيبة علم اللّه وسفير اللّه فی خلقه»، وفی البحار: «سفير السفراء»، وفی زيارة الإمام الحسين عليه السلام الرجبية: «السلام عليك يا سفير اللّه وابن سفيره»، رواه المفيد وابن طاووس والشهيد.

فإنّها عبارة عن: الهداية الإرائية والإيصالية.

ومنبع الإرائية: الوحی والغيب، ولكنّه بالمعنى الأعمّ، وليس على حدّ النبوّة..

ومنبع الإيصالية: القدرة والولاية، كما ذكر ذلك الطباطبائی فی ذيل آية: «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» «۱»

، و «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً» «۲»

، أنّه: قيادة المعصوم للنفوس وإيصالها إلى المنازل المعنوية والكمالية..

علماً أنّه اقتصر على هذا البعد فی تعريفها، مع أنّ الصحيح أنّها هداية إرائية أيضاً؛ استناداً إلى مجموعة أدلّة سبقت الإشارة إليها.

وقال المحقّق الأصفهانی فی نهاية الدراية فی تعريف الإمامة: الرئاسة المعنوية الكبرى فی الدين والدنيا المنبعثة عن كمال نفسه المقدّسة التی من شؤونها الروحانية وساطتها للفيض وكونها مجرى الفيض النازل من سماء عالم الربوبية، وعليه ينطبق كمال الانطباق قولهم: «مجاری الأُمور بيد العلماء باللّه» دون الفقيه الذی هو بما هو فقيه- عالم بأحكام اللّه لا باللّه «۳».

وجعل قدس سره هذا التعريف من الرئاسة المعنوية، أی الروحية والتكوينية فی قبال الرئاسة الاعتبارية المجعولة تشريعاً من اللّه تعالى فی أُمور الدنيا والدين، وأنّها من المناصب المجعولة الاعتبارية «۴»، بخلاف المعنى الأوّل، فإنّه من المعانی

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۰۷

التكوينية. وجعل التقابل بين هذين المعنيين نظير التقابل بين معنى النبوّة، فإنّ المعنى التكوينی لها عبارة عن:

أوّلًا: إنّها من الصفات الواقعية ومرتبته عالية من الكمالات النفسانية، وهو تلقّی المعارف الإلهية والأحكام الدينية من المبادئالعالية بلا

توسّط بشر، وصيرورة نفسه المقدّسة مجلى المعارف والأحكام معنى بلوغها درجة النبوّة.

ثانياً: إنّها معنى إعتبارى من المناصب المجعولة، بمعنى جعله مخبراً ومبلّغاً عن اللّه تعالى وسفيراً تشريعاً- إلى خلقه «۱».

هـذا ويلاحظ على تعريفه قدس سره إنّما جعله منشأ الرئاسة التكوينية، كمال نفسه المقدّسة ووساطته للفيض على النفوس والأرواح ومجارى الأُمور هو الأولى أن يجعل أصلًا فى التعريف، وبجعل رئاسته التكوينية وقدرة تصرّفه فى الخارج شأن من شؤون حقيقة الإمامة فضلًا عن الرئاسة الاعتبارية القانونية فى الدين والدنيا، كما أشار هو قدس سره إلى خطأ جعل الرئاسة الاعتبارية هى الأصل فى تعريف الإمامة. كما أنّ هناك فارقاً آخر بين الإمام المعصوم والفقيه مضافاً إلى ما ذكره من الفارق الأول هو أنّ الفقيه لا يحيط بأحكام اللّه تعالى فى اللوح المحفوظ بتمامها، كما أنّ علمه بأحكام اللّه هو من وراء حجاب عالم دلالات الألفاظ وبتوسط تركيب الدلالة وتناسباتها، ومن ثمّ قد يصيب فى تأليف الدلالة باستكشاف الواقع وقد يخطئ، بل فى جملة من المواضع يغيب عنه شطر واسع من النصوص اللفظية، فهو لا يحيط بالأحكام الظاهرية فضلًا عن منظومة الأحكام الواقعية، بل قد يكون ما قد توصّل إليه حكماً تخيّلياً لا ظاهرياً كما نبّه على ذلك علماء الأُصول فى مبحث الأجزاء، إلى غير ذلك من الفوارق.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۰۸

هـذا وسيأتى فى كلام البياضى فى (الصراط المستقيم) وهو من علماء القرن التاسع ما يظهر منه التفطّن إلى هذه الجهات فى تعريف الإمامة الإلهية.

وقد مثّلنا هاتين الهدايتين بالعقل النظرى والعلمى، فالإمام هو العقل النظرى للإنسان الكبير وعالم التكوين، وهو العقل العملى كذلك.. وكلّما تدبّرنا فى خصوصيات العقلين نجدها فى الإمام، بما فى ذلك أنّهما لا يقهران الإرادة ولا يسلبان الاختيار، كذلك الإمام لا يقهر الإرادة ولا يسلب الاختيار، وإنما يُعلِّم ويشوّق فقط..

بل إنّ العقل مرتبط بالعلم الحصولى والإنسان يمتلك علماً آخر وهو العلم الحضورى، والذى ذكرت له مراتب تبدأ بالقلب فالسرّ والخفى والأخفى..

كذلك الإمام هو هادى فى رتبة العلم الحضورى أيضاً، علماً أنّ الهدايتين فى هذه المرتبة تندّكان بوجود واحد بسيط..

وعندما نرجع إلى اللغة حيث إنّ الأصل الاشتقاقى للإمامة هو من أمّ يأمُ نلاحظ أنّ الإمامة فى الوقت الذى تستبطن الخصوصيتين (الإراءة والإيصال)، تستبطن الحركة والسير والمتابعة للإمام نحو غاية ما عن شعور واختيار..

ومن ثمّ لم يكن صرف الإراءة محقّقاً للإئتمام، وصرف الإيصال كذلك؛ لأنّه سيكون لا عن شعور..

ب- البطون والتأويل فى تعريف جديد: إنّ السائد فى فهم البطون وتفسيره: أنّه التأويل الذى لا يمكن الوصول إليه عبر منصّة الظاهر ومن خلال موازين الظهور..

إلّا أنّ الاتّجاه المعاصر أخذ ينحو منحىً آخر فى فهم وتعريف البطون تبعاً للآيات وكثير من الروايات، وهو: المعنى الذى لا يمكن للذهن العادى غير المعصوم الوصول إليه بنفسه عبر منصّة الظهور.. أى أنّ البطون هو قسم من

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۰۹

الظهور لكن لا- يهتدى بغير المعصوم إلى تأليف موازين اللفظ والدلالة من مختلف القرائن والمناسبات ونضد المقدّمات الدقيقة لتحصيل مفاده من منصّة الظهور الأوّلى.

وهو يعنى أنّه ليس هناك باطن غير ظاهر، سوى أن استنطاقه من النصّ غير متاح لكلّ أحد، وإنّما هو خاصّ بالمعصوم..

وعلى ضوء هذا يفهم قول الصادق عليه السلام: «قد ولدنى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وأنا أعلم كتاب اللّه وفيه بدء الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة وفيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر الجنّة وخبر النار وخبر ما كان وخبر ما هو كائن أعلم ذلك كما أنظر إلى كفى ان اللّه يقول: «تِبْيانًا لِكُلِّ شَيْءٍ» «۱»» «۲».

ويفهم حثّه عليه السلام أصحابه كما فى موثق أبى الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إذا حدّثتكم بشيء فاسألونى من كتاب اللّه، ثمّ قال فى بعض حديثه: إنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله نهى عن القيل والقال وفساد المال وكثرة السؤال، فقيل له: يا ابن رسول اللّه أين هذا من كتاب اللّه؟ قال: إنّ اللّه عزّوجلّ يقول: «لَاخَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ» «۳»

وقال: «وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً» «۴»

وقال: «لَاتَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ» «۵»

» الحديث «۶».

وهذا طبيعى بعد أن كان مصحف الكتاب العزيز نسخة من لوح التكوين وتنزيلًا له..

فيوجد تعريفان للباطن:

أحدهما: هو الذى يعتبر من التأويل الذى لا يمكن الوصول إليه عبر منصّة

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۱۰

الظاهر وموازينه، وهذا هو التعريف المشهور على ألسنة الكثير من المحقّقين.

والثانى: هو نحو من الظهور الذى لا يمكن للأذهان العادية الوصول إليه إلّا عبر تعليم المعصوم، فهو ليس فى قبال الظاهر، بل هو قسم من الظاهر، وهو غير ممتنع على أحد بل هو مفتوح، إلّاأنّ الوصول إليه يتمّ عبر مناسبات وتأليف للمقدّمات الدقيقة العميقة التى لا تهتدى الأذهان العادية إلى الوصول إليها، وهذا لا يجعله خفياً بل يكون حاله حال علم الرياضيات الذى يعتمد على الأوّليات البديهية ومع ذلك ما زالت ما لا تحصى من المسائل الرياضية متعسّرٌ على الذهن العادى حلّها، وهو لا يخرجها عن حدود علم الرياضيات.

والذى نختاره هو المعنى الثانى؛ لأنّا نراه أقرب إلى مسلك الأئمّة عليهم السلام، حيث كانوا يحثّون أصحابهم على استنطاق القرآن الكريم بإرشادهم إلى أوجه الدلالة، وترغيبهم فى السؤال عن مصدر الحكم، والإشارة إلى المناسبات المتعدّدة والقرائن التى تكون محفوفة بالآيات، وتجميع الآيات المتفرّقة بنحو برهانى، وما استدلال الإمام بالقرآن على روايات الطينة إلّامن هذا القبيل. وبناءً على هذا نقول:

أ- إنّ روايات الأئمّة عليهم السلام فى ذيل الآيات لا- تكون أمراً مستقلّاً عن الآيات ومخالفة للظاهر، بل يجب اعتمادها كملاحق وتبصرات للأُصول القانونية ولأُسس المعارف، وهذا من الناحية العلمية له فوائد جمّة.

ب- إنّ التعامل مع الروايات الواردة فى تفسير الآيات لا يكون على أساس مجرّد التعبّد فقط، بل يكون على أساس الإرشاد والإشارة أيضاً إلى كيفية سلوك موازين الظاهر، وإيجاد المناسبات للوصول إلى البطون. وهذا التفسير فى كلّ آية آية لا يمكن للعقول الاهتداء إليه إلّابهداية المعصوم، ومن ثمّ التنبّه إلى إعمال الموازين الدلالية فى الوصول إليه.

وهذه الطريقة هى التى يجب اتّباعها فى استخلاص هذه البطون، وسوف

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۱۱

تكون مرتبة من مراتب الظهور، وسوف يكون هذا المنهج برهاناً دلالياً لمذهب أهل البيت عليهم السلام، وقد ورد عنهم عليهم السلام: «من أخذ دينه من كتاب اللّه وسنّة نبيّه صلى الله عليه و آله زالت الجبال قبل أن يزول» «۱».

د- إنّ الطريقة التى نريد تطبيقها فى فهم الآيات القرآنية تعتمد على الظهورات الابتدائية للآيات، وتكون نقطة الانطلاق فى أىّ فهم آخر.

ه- إنّ الإعتماد على القرائن العقلية يكون تامّاً بشرط أن تعتمد على العقل البيّن، وكلّما أمكن تقليل الاعتماد على العقل النظرى يكون أجدر وأصحّ.

وهذا لا ـ يعنى أنّه على التفسير الأوّل للباطن يتمّ التسليم بتهمة الباطنية أو عدم وجوب الإيمان به؛ لأنّه ليس من الظاهر؛ وذلك لأنّ الإيمان بالظاهر دون الباطن الذى هو الغيب والتأويل – كفر، والإيمان بالباطن دون الظاهر هو كفر أيضاً، بل يجب الإيمان بهما معاً. وعليه، فإنّ الذى يقع مورد الثواب والعقاب هو الشريعة الظاهرة ومدى العمل بواجباتها ومحرّماتها، وعدم الالتزام بها والالتفات إلى الباطن فقط زيغ. ومن الجهة الثانية أيضاً إن الاقتصار على الظاهر فقط يكون تركاً للتأويل الحقّ الذى هو الباطن الخفى، ويصبح من الشاذّ والنادر مع مرور الزمن، فلذا يجب الالتزام بهما معاً، والدمج بينهما.

ومن ثمّ تجد أنّ المعصوم عليه السلام فى أخبار الطينة الغامضة يستنطقون فيها ألفاظ القرآن، وبالتأمّل نلحظ أنّ القرآن ظاهر فى ذلك لنكات كانت خفية علينا، لا أنّه من باب الجرى وذكر المصداق..

بل ظاهرة البطون أى المعانى الغامضة المعقّدة الخفية – ليست خاصّة بالمعارف الدينية، بل نجد ذلك فى مثل علم الرياضيات، فإنّه فى حين كونه

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۱۲

بديهياً وتقلّ إن لم تنعدم – فيه الفرضيات، إلّاأنّه ما زالت هناك مجهولات لم يوفّق لحلّها كبار العلماء مع قبولهم وجود الحلّ فى داخل البديهيات الرياضية، سوى أنّهم لم يتمكّنوا من التفطّن لكيفية تنظيم المعادلات بحيث يتوصّل بها لحلّ المجهول «۱»، وكذلك نجدها فى مسابقات الأدب، فإن مهرة الأدب يخوضون فى التحليل الأدبى إلى درجات عميقة فى النصّ يعجز كثير من أبناء اللغة بل بقية

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۱۳

الأدباء فى الوصول إليها، نظير ترسيم شخصّية صاحب النصّ وبيئته وخلفيته العلمية وخلقه وتاريخه، إلى غير ذلك من العوامل والبيئات التى ترتبط بصاحب النصّ، كلّ ذلك من خلال مقطوعة لفظية يدرسها ويحلّلها الأديب البارع. ولقد كانت المسابقات الأدبية معهودة عند عرب الجاهلية حيث كانوا يتعاطون فى سوق عكاظ حول القصائد الشعرية والمقطوعات النثرية عند من برز نجمه فى الأدب.

والنتيجة: أنّ الروايات التفسيرية ليست مجرّد تعبّدية إجمالية محضة، بل مدلّلة مُبيّنة على التفسير الثانى للبطون التأويلى الخفى لأنّ فيها إرشاداً إلى كيفية الاستفادة من الظهور القرآنى، بخلافه على المعنى الأوّل؛ فإنّها لا تعدو التعبّد بمعنى الذى لا نعرف موازينه ولم نتعرّف عليها..

فى حين أنّها على الفهم الثانى للبطون ستكون شرحاً وتفصيلًا للقرآن الذى هو بمثابة الدستور كما ذكر السيد البروجردى تبعاً لمنهج العلّامة المجلسى فى البحار.

وبهذا الفهم يتمّ القضاء على الشبهة الموجّهة للشيعة الإمامية بأنّها فرقة باطنية غنوصيّة لا تعلن عن أفكارها ومتبنياتها؛ إذ عرفت أنّ الشيعة لا تعتقد ولا تتبنّى فكرة إلّاوهى ظاهرة مآلًا من القرآن والسنّة «۱».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۱۴

وعلى أساس هذا الفهم يمكن الدعوة إلى تأسيس تفسير جديد يعتمد الكشف عن خفايا الظهور ومعادلاته وتناسباته بتوسّط روايات أهل البيت عليهم السلام بإضافة الاعتماد على العقل البديهى، وإن كانت نقطة الانطلاق هى من الظهورات الابتدائية للآيات.

وستظهر النتيجة فى واحدة من صورها بالشكل التالى: «من عرف حقّنا من الكتاب زالت الجبال ولم يزل إيمانه».

ج – وغاية البحث فى هذا الرافد: أنّ القرآن ينوّه ويشير إلى حجج غير الأنبياء والرسل، وأنّهم يقومون بدورهم فى الأرض بتوسّط وبركة العلم اللدنى كالأنبياء والرسل، مع بيان لحدود هذا العلم بحيث يفرزه عن علم النبوّة والرسالة.

د – (منهج البحث) خطوط البحث: سيتمّ الحديث فيما سيأتى ضمن التسلسل التالى: بعد التذكير أنّ سمة الحديث ستكون قرآنية:

۱– استعراض الآيات المستعرضة لنماذج الإمامة والأئمّة الذين قاموا بدورهم

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۱۵

الملقى على عاتقهم فى الأرض بعلمهم اللدنى.

۲- إرسال الرسول يؤدّى إلى ثمرة وهى الإمامة، وأنّ القرآن يثبت أنّ الغاية هى الإمامة الثابتة لجملة من الرسل وأبنائهم؛ فإنّ جملة من الأنبياء كانوا أئمّة أيضاً:

«وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ» «۱»

، وقوله تعالى:

«إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا..» «۲»

، وكذلك الحال فى سيد الرسل، بل هو صلى الله عليه و آله إمام الأئمّة.

۳- استعراض الآيات المبينة للسيرة النبويّة فى إمامة المجتمع البشرى، أو السيرة الإلهية التى أمر اللَّه تعالى نبيّه بها فى الحكم وقيادة الناس وأنّها تقتضى مقام الإمامة له صلى الله عليه و آله، وهو يغاير مقام النبوّة.

۴- الشرح القرآنى لماهيات المناصب الإلهية وأقسام الحجج الإلهية.

۵- بيان القرآن للمعاد والسير إلى اللَّه واستلزامه لوجود منصب الإمامة.

ه- (فوارق النبوّة والإمامة): قبل الدخول فى صلب البحث، لابدّ من الوقوف على حقيقة العلم اللدنى المقوّم لماهية الإمامة وما ينتج عن هذا من معرفة حقيقة الشريعة فى مقابل ظاهر الشريعة، وهو ما قد يعبّر عنه بالشريعة التكوينية والسنّة الإلهية الكونية، كما ذُكر فى قصّة الخضر عليه السلام مع موسى عليه السلام فى سورة الكهف، وكقضاء داود من غير بيّنة، وكحكومة سليمان وذى القرنين عليه السلام بتوسّط الأسباب اللدنية.

وقد يعبّر عن الشريعة التكوينية والسنّة الإلهية الكونية بالولاية الشاملة للطريقة والحقيقة، كما جاء فى تفسير قوله تعالى: «وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۱۶

مَاءً غَدَقًا» «۱»

بأنّ الطريقة هى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وعن الشريعة الظاهرة بالنبوّة، وإن كان سيد الأنبياء صلى الله عليه و آله قد جمع أعظم مقامات الولاية والنبوّة.

ولابدّ من الالتفات إلى أنّ الشريعة واحدة حدوداً وموازيناً، إلّاأنّ الفرق هو آلة التطبيق، ولا يخفى أنّ البطون والباطن يطلق على عدّة معانٍ كالتأويل والغيب، وفى مقابل ذلك قد يطلق على التخليط والخبط والنزوع الروحى والنفسانى والإيحائى، أو الغرائب مع عدم التقيّد بالموازين والأدلّة والحجج ونحو ذلك. وقد يطلق على المعانى الغامضة الخفية أو الحقائق المستورة، والمراد فى المقام ما يقرب من المعنيين الأخيرين، والتفرقة بينه وبين العلم المقوّم لماهية النبوّة (الوحى)، وما ينتج عنه من الشريعة الظاهرة.. فوارق مع التنبيه على أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله هو إمام الأئمة أيضاً إلّاأنّ الكلام فى بيان الفارق بين مقامه من حيث النبوّة ومقامه من حيث الإمامة- فى تميّز المراد من العلم اللدنى.

من الأُمور المهمّة التى يجب تسليط الضوء عليها قبل الشروع فى بيان أصل البحث، هو المائز بين العلم اللدنى والعلم النبوّى، أو ما يمكن تسميته الفرق بين الشريعة الظاهرة والشريعة التكوينية (أى السنّة الإلهية الكونية)، ويمكن إيجاز الفرق فى أُمور:

۱- إنّ تطبيق وتنفيذ أحكام العلم النبوىّ هو من سنخ الاعتبارات الكلّية الإنشائية القانونية تُبنى على العلم الحصولى، بينما فى العلم اللدنى هى من سنخ تكوينى وتعتمد على العلم الحضورى.

ومن الأمثلة على ذلك: أنّ القرآن الكريم والروايات تثبت أنّ للملائكة أوامر

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۱۷

إلهية متوجّهة إليهم وهم لا يعصونه، وهذه الأوامر هى ليست من سنخ الاعتبارات والأحكام الظاهرية، فهى من سنخ آخر مع المحافظة على أنّها موجودات شاعرة مختارة، فهذه الأوامر إرادات إلهية تكوينية من سنخ الشريعة التكوينية والسنّة الإلهية الكونية، حيث إنّ الملك مزوّد بالعلم اللدنى، وتصوير الأوامر والإرادات التكوينية لا ينافى إختيارية الملك.

۲- إنّ الأحكام الواقعية فى الشريعة الظاهرة نابعة من أغراض وملاكات، وتحقيق الأحكام لهذه الأغراض يكون غالبياً لا دائمياً، أمّا فى العلم اللدنى فالإصابة تكون دائمية كلّية ولا تحتمل الخطأ.

۳- إنّ الشريعة الظاهرة لها موازين خاصّة بها، حيث إنّها تعتمد فى تطبيقها على العلم الحسّى الحصولى، بخلاف الشريعة التكوينية والسنّة الإلهية الكونية، فهى لها موازين خاصّة من حيث اعتمادها على علم القضاء والقدر.

ويجب التنبّه إلى عدم الخلط بين الموازين، فاستخدام موازين الشريعة التكوينية والسنن الإلهية الكونية فى الشريعة الظاهرة قد تؤدّى إلى الخروج عن الدين، أو العكس بأن يستخدم موازين الشريعة الظاهرة فى الشريعة التكوينية والسنّة الإلهية الكونية، وكثير من الإشكالات والشبهات تنشأ من الجهل والغفلة بين هذه الموازين، حيث يستخدم موازين الظاهر فى فهم مفادات هى من سنخ الشريعة والسنّة الإلهية الكونية.

ولهذا السبب وبسبب الغفلة والخلط نشأت الفرق المنحرفة عن خطّ أهل البيت، فهى من هذا القبيل، حيث إنّهم أَسْرَوا وعمّموا أحكام الشريعة والسنّة الإلهية الكونية التى اطّلعوا عليها على الشريعة الظاهرة التى هم مخاطبون بها أيضاً، فيجب التنبّه إلى وضع هذا الحاجز بين الموازين فى كلا الدرجتين من الشريعة، درجة الظاهر ودرجة السنّة الإلهية الكونية.

ومن صور الخلط الذى يحصل: إلغاء الشريعة الظاهرة بحجّة الوصول إلى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۱۸

أهداف وأغراض الشريعة بدعوى السفارة والنيابة، الأخبار والرواية عنه مع انقطاع الطريق الرسمى بيننا وبينه (عج).

وإحدى التفسيرات لما ورد من أنّ صاحب الأمر عليه السلام عند ظهوره سوف يأتى بدين جديد أنّه سوف تقترن موازين الشريعة الظاهرة بالسنن الإلهية الكونية، وهو ليس من باب النسخ، بل هو من باب أنّ الشريعة هى الظاهرة إلّاأنّ تطبيقها سوف يكون بموازين الشريعة والسنّة الإلهية الكونية.

وليتنبّه إلى أنّ عموم الناس غير مكلّفين إلّابالشريعة الظاهرة، ولا يمكن لهم العمل بالدرجة الخفية، كما أنّه ليس هناك شريعتان، بل شريعة واحدة لا تختلف وإنّما تطبيقها تارةً بموازين الظاهر وأُخرى بآليات تصيب الواقع ولا تخطئه، وهى موازين خفية باطنة، وسيأتى بيان حقيقة الشريعة بحسب السنن الإلهية الكونية.

ومن هنا نعرف كيف يتمّ الملائمة بين معرفة الإمام بأنّه سوف يُقتل على يد ابن ملجم، وأنّ الإمام الحسين عليه السلام يعلم أنّه مقتول لا محالة، وذلك عن طريق العلم اللدنى طبقاً لموازين الشريعة والسنّة الكونية، لا بتوسّط العلم من الأسباب العادية طبقاً لموازين الشريعة بحسب الدرجة الظاهرة. بل إنّ موازين الظاهر فى باب التزاحمات تطبّق على الأحكام الفعلية، أمّا فى الشريعة والسنّة الإلهية الكونية فإنّها تلاحظ بما لها من لوازم ومصالح حتّى فى الحقب التاريخية التالية، فلا يقصر الحدث على أهمّيته فى حقبة زمنية معينة، بل يلاحظ عموم التاريخ، ومن هنا فإنّ أثر شهادة الحسين عليه السلام على حفظ الدين والشريعة والتزام الناس على مرّ الزمان، وعدم الرضوخ للظلم والطغيان، وسنّ هذه السنّة هى إحدى الملاكات التى نشأت من شهادته عليه السلام، والتى ما كان لها أن تظهر لو قصرنا النظر فى حادثة الاستشهاد على الفترة الزمنية الخاصّة.

ويمكن بيان الفوارق كالتالى:

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۱۹

الفارق الأوّل: إنّ النبوّة لإبلاغ الأحكام الإعتبارية الإنشائية القانونية، بما يشمل الآداب والعلوم الحصولية كالمعارف، فى حين أنّ نفس تلك الشريعة للإمام من سنخ تكوينى لا ـ اعتبارى ومعلومة حضوراً لا حصولًا، وشاملة كالأولى، ومن الأمثلة على ذلك أنّ القرآن الكريم والروايات تثبت أنّ للملائكة أوامر إلهية متوجّهة إليهم وهم لا يعصونه.

الفارق الثانى: إنّ إصابة الشريعة الظاهرة أى الأحكام الاعتبارية القانونية الواقعية للواقع أى الملاكات والمصالح والمفاسد وللأغراض- غالبية لا كلّية دائمية، نظير الحكم الظاهرى الأُصولى بالنسبة للحكم الواقعى، وإن كان بين النسبتين فرق جلى، كما أنّ هناك فرق فى المعنى بين الشريعة الظاهرة والحكم الظاهرى، بينما الإصابة فى الشريعة بحسب الدرجة الواقعية والسنّة الكونية دائمية كلّية.

الفارق الثالث: إنّ تطبيق الشريعة الظاهرة يرتكز على العلم الحسّى وموازين هذه النشأة، نشأة الظاهر «يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» «۱»

، وتطبيق الشريعة بحسب السنّة الكونية الإلهية يرتكز على علم القضاء والقدر والمشيئة والإرادة وآثار الأفعال بحسب النشآت الأُخروية.

علماً بأنّ الكثير من الخلط والشبهات والجهالات نشأت نتيجة الخلط بين نحوين من مفادات القرآن والسنّة، حيث إنّ قسماً منها مفاده الأوّل، والآخر الثانى.

وواحدة من عوامل الانحراف فى هذا المضمار: وزن الظاهر بموازين السنن الكونية أو العكس، فالخطابية والمغيرية حكّمت موازين السنن الإلهية الكونية على الظاهر، وقد مرّ أن إحدى التفسيرات لما ورد من أنّ صاحب الأمر المهدى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۲۰

(عج) يأتى بدين جديد أنّه سوف تقترن موازين الشريعة بحسب الدرجة الظاهرة بالسنّة الكونية، وهو ليس من باب النسخ، بل هو من باب تطبيق الشريعة الظاهرة بموازين الشريعة التكوينية «۱».

فالتساؤل المتوهّم حول الشجاعة فى مبيت علىّ عليه السلام فى فراش النبىّ صلى الله عليه و آله، هل هى مع علمه أنّه لا ـ يقتل؟ ثمّ كيفية كونها منقبة عظيمة مدحه بها القرآن المجيد، وكيف يقدم الإمام عليه السلام على الصلاة فى جامع الكوفة أو دخول الإمام الحسين عليه السلام فى معركة كربلاء مع علمه بقتله؟ يرجع التساؤل إلى معالجة التكوين بموازين الظاهر، بل إنّ موازين الظاهر فى باب التزاحمات تطبّق على الأحكام الفعلية، أمّا فى الشريعة بحسب السنّة الكونية الإلهية- فإنّها تلاحظ بما لها من لوازم ومصالح

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۲۱

حتّى فى الحقب التاريخية التالية، فلا يقصر الحدث على أهميته فى حقبة زمنية معينة، بل يلاحظ بحسب عموم التاريخ.

ومن هنا فإنّ أثر شهادة الحسين عليه السلام على حفظ الدين والشريعة إلتزام الناس على مرّ الزمان وعدم الرضوخ للظلم والطغيان، وقد سنّ (صلوات اللَّه عليه) هذه السنّة فى الدين التى هى إحدى الملاكات المتولّدة من شهادته عليه السلام، والتى ما كان لها أن تظهر لو قصرنا النظر على زمن الحادثة والاستشهاد فى تلك الفترة الزمنية الخاصّة، وكذلك الحال فى جملة سيرة الرسول صلى الله عليه و آله وسيرة أمير المؤمنين عليه السلام.

الفارق الرابع: النسخ فى الشريعة بحسب الدرجة الظاهرة اعتبارى، علاوة على وجود مرتبة الظاهر الكاشف عن الدرجة الظاهرة التى هى واقعية بحسبها، وظاهرة التقييد بالمعنى العامّ من تخصيص وحكومة وورود- وتقييد الأدلّة والدلالة على الشريعة الظاهرة لا فى متنها.. بينما النسخ فى الولاية والشريعة بحسب السنن والنظام الكونى تكوينى وهو المعروف بالبداء، وبمعرفة الناسخ تتفاوت مراتب الأولياء والحجج..

الفارق الخامس: لم يُستثن أحد من التكليف بالشريعة الظاهرة، فالتدين بها فى عهدة الجميع من جنّ وإنس بما فى ذلك الأولياء والحجج، أمّا فى الشريعة الكونية فهى وظيفة خاصّة بحجج اللَّه وملائكته.

ومن ثمّ ينبثق سؤال: إنّ ما عدا المذكورين- وهم غير المعصوم- قد يصلون بالرياضات الشرعية إلى مقامات عالية حيث تتفتّح قلوبهم

على عوالم الغيب، فلم لا يكونون مكلّفين بالولاية وبالشريعة الكونية الإلهية بعد أن تمّ وصولهم إلى أسافل تلك المنازل؟

الجواب: إنّ رقيهم هذا محمود حيث يزيد من علمهم وإيمانهم، ولكنّهم لم يُكلّفوا إلّابالشريعة الظاهرة؛ لعدم حجّية ما يتلقّونه بقنواتهم الروحية لعدم

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۲۲

عصمتهم.

الفارق السادس: (حقيقة الشريعة الإلهية الكونية). إنّ أحكام الشريعة الكونية بحسب الدرجة الواقعية والتكوينية لا تعدو كونها إلّاتطبيقاً للشريعة الظاهرة وسوى أنّه تطبيق بعلم لدنى لا بوسيلة الحسّ والعلم الحصولى؛ لأنّ الشريعة واحدة لا تختلف بحسب الظاهر الواقعى ولا ـ الكونى ولا ـ حدودها وأحكامها، كما استعرض القرآن الكريم لنا قصّة الخضر مع موسى التى كانت يُتراءى فيها فى بادئ الأمر الخلاف، ثمّ آل الأمر إلى الوفاق بعد وضوح رجوع التأويل إلى تطبيق خفى لظاهر الشارع، وهذا التعريف أضبط وأصلح التعريفات للشريعة الإلهية فى النظام الكونى.

وتوضيح ذلك يتمّ بالالتفات إلى هذه الزاوية: أشرنا فى الفصول السابقة إلى أنّ أصل الولاية للّه‌تعالى «إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ» «۱» و «هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ» «۲»

أعمّ من التشريع والحكم القضائى والحكم التنفيذى، وعندما نطالع القرآن نجد أنّه يلفت إلى الأصل المذكور وتفاصيله، بل فى الآيات المرتبطة بالمسائل العامّة الحكومية كآيات الجهاد والأنفال وأمثالها، هى تشريعية بلحاظ تنظيرها الكلّى، وحكم تنفيذى ولوى بلحاظ مواردها التطبيقية الجزئية، وهذه قراءة ثانية لأسباب النزول، لا يقرّ بها ولا يتفطّن إليها أهل سنّة الخلافة وجماعة السلطان، لعدم تصويرهم لولاية اللّه تعالى السياسية فى الأحكام التنفيذية الجزئية زيادة على ولايته تعالى فى التشريع الكلّى.

وكذلك فى القضاء كما يلحظ ذلك بوضوح فى حكومة الرسول صلى الله عليه و آله التى يستعرض لنا القرآن الكريم سيرتها، فإنّ فى المنعطفات الخطيرة فى الأحداث

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۲۳

السياسية أو القضائية أو العسكرية والمالية نرى فى الآيات أنّ الحاكم الأوّل هو البارى تعالى فى تلك الأحداث، والحاكم الثانى هو الرسول صلى الله عليه و آله، وأهل سنّة الخلافة وجماعة السلطان يخشون هذا التصوير لحاكمية اللّه تعالى السياسية على البشر؛ لأنّهم لا يمكنهم تصوير ذلك بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله على ما ذهبوا إليه من انقطاع الاتّصال بالغيب وعدم إمكان إستعلام الإرادة الإلهية الجزئية فى الأحداث.

ومن ثمّ فالولاية فى هذا المضمار للرسول صلى الله عليه و آله ومن بعده للمعصومين عليهم السلام هى فى طول ولاية اللّه تعالى وبإذنه، وليست مستقلّة، خلافاً لإطروحة المعتزلة وغيرهم من المذاهب الأُخرى، ومن قبل اليهود حيث قصروا ولاية اللّه تعالى على التشريع دون مباشرة القضاء وسلطة التنفيذ حينما قالوا: «يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ..» «۱»

.فالرئيس والحاكم السياسى الأوّل والمشرّع الأصلى والقاضى الفعلى هو اللّه سبحانه وتعالى، ومَن ثبتت له الولاية وهو الرسول صلى الله عليه و آله والإمام، فهى فى ظلّ تلك الدولة والولاية المباشرة للّه‌تعالى لا بالاستقلال عنها، فكلّ ما يصدر عنهم فهو يصدر عن اللّه حقيقة.

بل تلك الحاكمية تجلّت بوضوح فى القرآن الكريم بمعنى الحكم المسند إليه تعالى خاصّة من دون نسبته إلى الرسول صلى الله عليه و آله أو الإمام «۲» على صعيد التنفيذ والفصل القضائى والحكم التنفيذى، وبالتالى يصحّ القول بأنّ حكم وحاكمية اللّه تعالى ليست بالقوّة فى عهد حكومة المعصومين عليهم السلام، بل هى حكومة فعلية للّه تعالى فى الجوانب الثلاثة. أمّا أمثلة التشريع الصادرة مباشرة منه تعالى فكثيرة، وهكذا فى القضاء فينشئ تعالى حكماً فاصلًا للنزاع كما فى قصّة البقرة فى بنى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۲۴

إسرائيل، وموارد أُخرى استعرضها القرآن الكريم فى الحكم الولوى (التنفيذى)، نظير أوامر الجهاد النازلة فى موارد معينة وإن استفيد منها تشريعاً كلّياً أيضاً، وكحكمه تعالى بزواج النبىّ صلى الله عليه و آله من زينب وزواج علىّ عليه السلام من فاطمة عليها السلام، إذ حكمه تعالى الولوى شامل للوظائف العامّة للدولة والأُمور الخاصّة للبشر.

وهذا النمط ثابت طولًا للمعصومين عليهم السلام، وهذا أحد تفاسير قوله تعالى: «.. أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ..» «۱»

، وهذا معنى كون حكومة المعصوم إلهية أى لا- يقتصر فى أحكامها وتشريعاتها على كلّيات الأحكام فى الدين، بل إنّ الحاكمية بالفعل فى الجوانب الثلاثة هى للّهسبحانه، وهذا غير متوفّر فى غير حكومة المعصوم وإن كانت بالرسم الدينى، وسيأتى توضيحه مبسوطاً فى سيرة الرسول على صعيد الدولة فى القرآن الكريم.

وبضمّ هذا الفرض إلى ما ذكرناه فى الأُصول والفصول السابقة من أنّ الحكم التنفيذى تطبيق للحكم التشريعى فهو حكم جزئى وذلك كلّى يتبلور: أنّ أحكام الشريعة الكونية الإلهية بحسب الدرجة الواقعية التكوينية ليست إلّاأحكاماً تطبيقية للشريعة الظاهرة بعلم لدنى على حدّ الحكم الولوى «۲»، وأنّ الولاية إقامة وتحقيق وإنجاز لأغراض النبوّة.

الفارق السابع: إنّ منظومة إقامة أحكام الشريعة بحسب المنظومة الظاهرة تخضع للأسباب الطبيعية الظاهرية، وفى باب ومقام الولاية والواقع الخفى الباطن، وشريعة السنّة الإلهية الكونية تخضع للّهتعالى وتتسلسل تبياناً وبلاغاً

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۲۵

وتطبيقاً وتنفيذاً وإقامةً وتشييداً إلى الأوصياء والملائكة، وقد يستعان بغير المعصوم بشكل قسرى لا جبرى.

ويمكن بيان الفوارق الأخيرة بصياغة أُخرى:

*- إنّ العلم اللدنى والشريعة الكونية خاصّية بأولياء اللّه- حججه وملائكته- وليست هى وظيفة عموم البشر الآخرين مهما بلغوا من العلم، وحتّى لو استطاعوا الوصول إلى نفحة ورشحة يسيرة من بحار محيطات العلوم والشريعة.

*- يوجد فى الشريعة الظاهرة نسخ هو نسخ اعتبارى وهو المبحوث عنه فى الأُصول، بينما فى الشريعة الكونية الإلهية يوجد نسخ تكوينى وهو البداء المعروف، وتختلف مراتب أصحاب العلم اللدنى فى ذلك، فبعضهم له علم بالمنسوخ فقط وبعضهم له علم بالناسخ والمنسوخ.

*- ذكرنا فى الفصل الثانى أنّ الولاية المطلقة للّهسبحانه وتعالى، ومنها تتفرّع إلى النبىّ الخاتم ومن ثمّ للمعصومين من ولده، فولايتهم فى التشريع والقضاء والتنفيذ هى متشعّبة عنه جلّ وعلا، إلّاأنّ هذا لا يعنى عدم تدخّله المباشر فى صياغة كلّ منها فى بعض الأحيان. وبالتالى لابدّ من القول إنّ حكومة اللّه ليست بالقوّة الشأنية فى زمن حكومة المعصومين، بل هى حكومة فعلية للّهتعالى، فهو يكون مشرّعاً ويكون حاكماً، ويكون مصدراً للحكم الولوى (التنفيذى) فى زمن حكومة المعصومين، وهذا يجعل حكومته فعلية.

ومن أمثلة التشريع كثير، إذ فى كثير من الأحيان يصدر التشريع منه مباشرة، ولا يكون الاعتبار صادراً من الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، وهكذا فى القضاء إذ يحكم هو كما فى قصّة البقرة. وموارد أُخرى يكون الحكم والفصل فيها للّهسبحانه، وفى الحكم الولوى كذلك كما فى آيات الجهاد، وزواج النبىّ من زينب وزواج علىّ من الزهراء سلام اللّه عليهما، ويفترق الحكم الولوى هنا عن غيره بأنّه ليس فى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۲۶

وظائف الدولة العامّة بل فى الأُمور الخاصّة، وهذا النمط ثابت للّهوالمعصومين دون النوّاب من الفقهاء.

فالحقّ تعالى يتصرّف مباشرةً فى التطبيق بموازين العلم الإلهى، أى تطبيق الشريعة الظاهرية بما له من موازين العلم الإلهى، ولن يكون التطبيق بموازين ظنّية حسّية، والعلم اللدنى يختلف درجاته، وبالنسبة للّهالمحيط له أعلى الدرجات، فهو: «أَصْدَقُ قِيلًا»، وهو «أَحْكَمِ

الْحَاكِمِينَ»، فعندما يقال إنّ حكومة المعصوم إلهية لا يعنى أنّ أحكامها وتشريعاتها دينية فقط، بل يعنى أنّ الحاكمية هى للّهسبحانه بالفعل، وهذا غير متوفّر فى حكومة غيرهم وإن كانت دينية. وبناءً عليه نقول: إنّ الشريعة الكونية الإلهية هى عبارة عن تطبيق للشريعة الظاهرة بعلم لدنى، فتطبيق اللّه تعالى دوماً يكون بالعلم اللدنى، أمّا فى تطبيق المعصوم فهو فى الجملة لا بالجملة بحسب الوظيفة المأمور بها.

أمّا الشريعة الظاهرة فهى التنظير فى الأُمور الكلّية، والتطبيق يكون بالشريعة الكونية «۱».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۲۷

*- إنّ منظومة الشريعة الظاهرة والارتباطات بين حلقاتها خاضع لآليات النشأة الدنيوية أى الأسباب الظاهرية، أمّا فى منظومة الشريعة الباطنة من اللّه عزّوجلّ والنبىّ والرسل والأوصياء، فهم مزودون بالعلم اللدنى، وقد يستعان بغير المعصوم كما فى تسخير الآخرين ويكون الفاعل بالقسر والفاعل بالجبر، وآلياته تكون غير ظاهرية، وقد تكون ظاهرية.

بعد استعراض هذه المقدّمات ندخل فى صلب البحث وذلك باستعراض مجموعة من النماذج القرآنية:

۱- استعراض الآيات المرتبطة بالحجج الذين قاموا بدورهم الملقى على عاتقهم فى الأرض بالعلم اللدنى.

۲- بيان غاية إرسال الرسل، وسنرى أنّ القرآن يثبت أنّ الغاية هى الإمامة.

۳- استعراض الآيات المبينة للسيرة النبويّة، أو السيرة الإلهية التى أمر اللّه تعالى بها.

۴- الشرح القرآنى لماهيات المناصب الإلهية.

۵- بيان القرآن للمعاد والسير إلى اللّه.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۲۹

الأمر الأول استعراض نماذج الإمامة فى القرآن ... ص: ۴۲۹

اشارة

ونستعرض فيها قائمة لأولياء اللّه الحجج، وكيفية توفّرهم على العلم اللدنى وتصرّفهم على طبقه، ومنه سوف ينكشف لنا جوانب هذا العلم.

النموذج الأوّل: قصّة الخضر وموسى ... ص: ۴۲۹

والتى تناولها القرآن الكريم فى سورة الكهف من الآية ۶۰ وحتّى الآية ۸۲.

وقبل استعراض الآيات يجب أن نلقى الضوء على الجوّ العامّ الحاكم على سورة الكهف، فالآيات التى ابتدأت بها السورة تستعرض حرص الرسول الكريم صلى الله عليه و آله على قومه لعدم استجابتهم وأسفه عليهم لعنادهم، حيث قال تعالى:

«فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا» «۱»

، فنزلت هذه السورة لتسلية فؤاده صلى الله عليه و آله من خلال استعراض ثلاث وقائع هى: أصحاب الكهف، الخضر وموسى، ذو القرنين، وكأنّها تسلّى قلب النبىّ الخاتم صلى الله عليه و آله بأنّ الإرادة الإلهية لا تتخلّف، وأنّ الهداية الإيصالية تتحقّق، وأنّ هناك منظومة من رجال الغيب الذين يقومون بحماية الشريعة من الانحراف والأخذ بيد الناس فى أحلك الظروف والمحن بتدبير النظام العامّ

بنحوٍ خفى.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۳۰

استعراض تفصيلى للآيات ...: ص: ۴۳۰

اشارة

«وَإِذْ قَالَ مُوسَى» «... ۱»

أى واذكر أيضاً قصّة موسى، ممّا يدلّل على ما ذكرناه من أنّ القصص الثلاث أتت فى سياق واحد ومن أجل هدف واحد.

وفى أسباب النزول: أنّ موسى عندما أنزل اللَّه عليه الألواح رجع إلى بنى إسرائيل وصعد المنبر وأخبرهم أنّ اللَّه قد أنزل عليه التوراة وكلّمه، فقال فى نفسه:

ما خلق اللَّه خلقاً أعلم منّى، فأوحى اللَّه إلى جبرئيل أدرك موسى فقد هلك، واعلمه أنّ عند ملتقى البحرين عند الصخرة رجلًا أعلم منك، فسر إليه وتعلّم منه.

أى أنّ للخضر علم مغاير لعلم موسى، وهذا مع التسالم على أنّ موسى أفضل من جميع من سواه فى عصره.

«لَاأَبْرَحُ» «... ۲»

ظاهر فى وجود أمر بالمجىء إلى هذا المكان وبالتالى وجوده فيه ضرورة.

«ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ» «۳»

يدلّ على تحديد المكان بالعلامة. والآيات اللاحقة تبين أنّ موسى قد لقى الخضر نائماً ولم يلتفت إلى أنّه هو الذى يجب أن يتبعه فسار قليلًا، فارتدّا على آثارهما بعد أن التفتا إلى ذلك.

«فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا» «۴»

، وهذه الآية تبين لنا صفات الخضر:

أ- الإضافة التشريفية للَّهجلّ وعلا، حيث عبّر عنه أنّه من عبادنا، ممّا يدلّ على الحظوة والانتساب.

ب- إنّ التتبع فى استخدامات (عبادنا) يفيد أنّه لم يُستخدم إلّافى الأنبياء

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۳۱

والمرسلين والأولياء، ولم يستخدم هذا التعبير لجميع العباد.

ج- إنّه مشمول بالرحمة الخاصّة.

د- إنّه متّصل بالغيب من خلال العلم الذى أوتى من الذات المقدّسة، وإنّ هذا العلم من لدن العليم الخبير، ففيه إشارة إلى عدم كون علمه كسبياً بل إفاضياً، وأنّه علم يفاض من لدن الذات.

«قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا» «۱»

، يذكر الشهيد الثانى فى منية المريد جملة دلالات فى هذه الفقرة على التواضع، إنّ فى هذه الجملة الوجيزة اثنى عشر فائدة من فوائد الآداب، منها: التواضع فى الطلب، فقوله: (هل) تفيد الاستيذان منه قبل الالتحاق به، والتعبير ب (أتّبعك) ولم يقل أرافقك أو أماشيك، ممّا يفيد معنى التبعية وما فيه من معنى المتابعة المطلقة، وهى الإتيان بمثل فعل الغير لأنّه فعله، لا لوجه آخر، ولا يخفى ما فيها من الخضوع للخضر، وهو فى هذه المتابعة مأمور بالكون معه، وفى هذه كمال التواضع والتفخيم للخضر، والتعبير (على أن تعلّمنى) أى لا- يشترط أن تعلّمنى، فيدلّ على الرجاء، والتعبير بتعلّمنى ولم يقل أعلم، والتعبير (ممّا علمت)، أى ليس هو كلّ ما عُلّمت

وهو تفخيم ودليل أنّه تعليم إلهى.

وهذا خضوع وتواضع من قبل النبىّ موسى للخضر عليه السلام مع أنّه من أولى العزم ومن الأئمّة، حيث إنّ بعض الأنبياء من غير أولى العزم وصفوا بأنّهم أئمة، فكيف بأولى العزم، مضافاً إلى أنّه كان حاكماً على بنى إسرائيل، والحكومة من شؤون الإمامة لا من شؤون النبوّة، لكنّ الإمامة لها درجات مختلفة فى الكمال والفضيلة الكونية كاختلاف النبوّة فى الدرجات.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۳۲

كما أنّ هذا التواضع ليس من باب الخلق الحسن، بل هو من باب ما يقتضيه حقيقة العلم الذى يمتلكه الخضر والذى امتاز به عن النبىّ موسى.

الواضح من هذه الآيات أنّ العلم الذى كان لدى الخضر هو من الشريعة الكونية والسنن الإلهية فى نظام التكوين؛ وذلك لأنّه لو كانت من الظاهرة لعلم بها موسى، وإنّما سميت شريعة لأنّ فيها أوامر وإرادة إلهية كونية، وعدم تزويد موسى بها دليل على أنّها خاصّة بالبعض.

والعامّة لجمودهم وابتعادهم عن بيت الوحى والعصمة تراهم وقعوا فى حيص وبيص فى كيفية تصوير اختلاف العلم الذى لدى الخضر مع العلم الذى لدى نبىّ اللّه، وهل هو من سنخ النبوّة أم غير ذلك؟ وما ذلك إلّالأنّهم لم يذعنوا بالإمامة والعلم اللدنى ولم يعترفوا بمقام الولاية الذى يطّلع على المشيئة الإلهية والإرادات الإلهية، والذى يعرّف الشريعة بحسب السنن الإلهية التكوينية، وجمدوا على منصّة الشريعة الظاهرة.

«قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا» «۱»

، دلالة على أنّ الصبر يتصوّر مع العلم، وأنّ العلم التشريعى والنبوّة لم يُحيطا إحاطة تامّة، وأنّه لابدّ أن يزوّد الحجّة بالعلم اللدنى والشريعة الكونية وهى الولاية؛ إذ لو كانت ظاهرة لما افتقدها موسى عليه السلام وشريعته عامّة، وهو وإن كان إماماً أيضاً إلّاأنّ الإمامة درجات، وكذلك اختلاف العلم اللدنى الذى يزوّد به الإمام.

ويدلّ هذا المقطع على اختصاص الشريعة بحسب الدرجة الواقعية الكونية بالأولياء المصطفين المعصومين، حيث لم يزوّد بها بتمامها حتّى موسى عليه السلام فضلًا عن عموم المكلّفين.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۳۳

«قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا» «۱»

، إشارة إلى نظير وما فعلته عن أمرى، الدالّ على أنّه أمر إلهى وارادة كونية، إلّاأنّه ليس من الشريعة الظاهرة، وهو إشارة إلى ما يأتى من قول الخضر.

«قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا» «۲»

ففيه أيضاً- إشارة إلى تأدّب الخضر مع النبىّ، فلم يأمره بالاتّباع بل علّقه على مشيئته وإرادته، كما أنّ الاستعلام العلمى عن حكمة فعل من الأفعال لا ينافى الائتمام؛ وذلك لأنّ التبعية ليست معلّلة أو موقوفة على حكمة الفعل.

إنّ هذه الآداب بين الحجج تشير إلى مطلب مهم وهو اعتقادهم بالمناصب الإلهية لكلّ منهما، وقد ورد فى حديث المعراج: أنّ النبىّ فى أحد المواقف تقدّم على الأنبياء وأمّهم للصلاة، ولم يكن لديه خشية وخوف مع إذعان جميع الأنبياء لهذا التقدّم.

وقد أثار علماء المعارف مدى الارتباط بين الفروع والعقائد، وأنّ الأفعال لها مناشئ وعلل خلقية، ففى قوس النزول نرى أنّ العقيدة تولّد صفات وهى تكون مصدراً لعدد من الأفعال، بينما فى قوس الصعود الأفعال تولّد صفات وهى تولّد ملكات جوهرية أى عقائد.

كما يدلّ هذا المقطع على أنّ المأموم تابع لإمامه إمامةً تعبّدية، فلا يحقّ له تعليق تبعيته على معرفة الحكمة والمصلحة فى أوامر إمامه، نعم، له الحقّ أن يسأل إمامه عن وجه الحكمة، ولكن كما ذكرنا أنّ منشأ المتابعة ليس معرفة الحكمة وإنّما الإمامة، فالآداب المتبادلة

بين الخضر وموسى ذات منشأ وبذر عقائدى.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۳۴

«لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا» «۱»

، اعتراض من موسى بحسب الشريعة الظاهرة؛ لأنّ خرق السفينة تصرّف فى ملك الغير.

«قَالَ لَاتُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا» «۲»

، ليس المقصود من النسيان المعنى المصطلح وهو المنفى عن مقام العصمة للنبىّ، كما سيتّضح ذلك فى الآيات القادمة، بل إنّ عدم اعتراض موسى سوف يكون نقصاناً فى علمه النبوىّ، وإنّ من الكمال لموسى هو الاعتراض، فالمعنى المراد من النسيان هاهنا ضرب من المعنى لا ينافى العصمة، نظير المعنى المجازى فى قوله تعالى: «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ» «۳»

، إذ النسيان هو بحسب مقام الولاية الذى كان عند الخضر المطّلع على الشريعة بحسب الواقع الكونى، وهو لا ينافى عصمة موسى بحسب الشريعة الظاهرة، كيف والنسيان ليس أسوأ من عدم علمه بما يعلمه الخضر، ومع ذلك لم ينافِ عصمته.

والمفاد المطابقى لكلام النبىّ موسى عليه السلام ليس كلاماً واستفهاماً وإنّما هو اعتراض بمقتضى الشريعة الظاهرة واستنكار للفعل. نعم، يقتضى بالتلازم العقلى الدفاع والجواب من الخضر، فمحور التجاذب فى الكلام هو عمّا لم يطلع عليه موسى، ومن ثمّ كانت إجابة الخضر: «قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا» «۴»

، وهو يشير إلى ما قاله لموسى فى بدء لقائهما: «وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا» «۵»

، أى ما لم تعلمه، ومن ثمّ لم يقل له إنّك لم تفِ بما تعهّدت به، فالموازين بحسب الشريعة الظاهرة هى السبب فى اعتراضه الموجب لترك الشرط فيما بينهما، إذ الشرط لا يغير الحكم الأوّلى عمّا هو عليه.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۳۵

«فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا» «۱»

، وهذه هى الحادثة الأولى، والتى رأى فيها موسى تصرّفاً فى ملك الغير وتعريض الآخرين للغرق، كما يُلاحظ أنّ موسى استخدم تعبير (إمراً) أى مستقبح، بينما فى قتل الغلام كما سترى- يستخدم نكراً وهى أشدّ من الأولى؛ لشدّة قباحة الفعل ظاهراً.

«فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا» «۲»

، وهو قتل الخضر للطفل الصغير الذى لم يبلغ الحلم، وفى هذا تعدّيان فى نظر موسى: أحدهما هو القتل من دون سبب مجوّز له، والآخر أنّه ما زال صغيراً ولا يؤاخذ بما يفعل فضلًا عمّا لم يأت به.

«فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا» «۳»

، فالفعل هنا ليس كسابقه؛ إذ ليس فيه تعدّى، بل عمل تبرّعى محض لمصلحة الآخرين، كما يظهر أنّ إقامة الجدار قام بها الخضر بنفسه من دون موسى، وأنّه كان دفعياً بنحو التصرّف التكوينى لا تدريجياً، لذا كان اعتراض موسى عليه بعد انتهاء العمل.

«قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا» «۴».

إنّ هذه الآية الكريمة توضّح لنا أنّ للخضر نوع من العلم الذى ليس لدى النبىّ موسى؛ وذلك لأنّ العلم النبوىّ هو العلم بإرادات اللَّه التشريعية، وهذا بخلاف العلم اللدنى الذى يكون لدى أولياء اللَّه الحجج، ونحن فى نفس الوقت نثبت أنّ كلّ نبىّ من حيث نبوّته قد يكون مطّلعاً على العلم اللدنى من بعض جوانبه.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۳۶

ومن امتيازات الشريعة فى تطبيقها بدرجتها فى سنن نظام الكون والعلم اللدنى، أنّ الواجبات والأحكام يمكن تطبيقها فى دائرة واسعة

زمنية، أى يقع التزاحم بين الفعلى والمستقبلى حيث يعلم به، وكذا تشخّص الأهمّية فى الملاك بعد ملاحظة تداعياته وما يترتّب عليه. وهذا هو سرّ الفرق بين حكومة المعصوم عليه السلام وحاكميته بتوسّط ما يتنزّل عليه كلّ عام فى ليلة القدر من مقدّرات كلّ شىء، وبين حكومة غير المعصوم وحاكميته حيث يجهل كلّ ذلك، بل فى حكومة المعصوم يُتفادى ذات التزاحم نفسه، لما فيه من التفريط ببعض المصالح الشرعية، بخلاف حكومة غير المعصوم فإنّه لعدم إحاطته بتداعيات الأحداث والحوادث يفرط وينفرط عليه زمام الحفظ للملاكات والحدود الشرعية، ويقع فى سلسة من التفويت للأغراض الشرعية تحت ضغط ظروف التزاحم المفاجئ والتدافع التى تفرض عليه بسبب عدم قدرته على الإحاطة بخفايا الأُمور الراهنة والمستقبلية.

وعلى ضوء ذلك تتبلور فظاعة الطغيان والكفر، كما فى مَن أحيا نفساً فقد أحيا الناس جميعاً، كما ورد عن الصادق عليه السلام: «ذلك تأويلها الأعظم» «۱»

الإحياء بالمعرفة..

وهو قد ينطبق ويلتئم مع تداعيات الفعل فى سلسلة ممتدّة، كما فى إعزاء كلّ ذنوب الأُمّة إلى الأوّل والثانى.

وهناك مقولة تقول: إنّ الفقه بمعنى الكلمة- مَنْ يتوصّل إلى أغراض الشرع بدون تزاحم، ومن بعد الدرجة اللاحقة مَنْ يصل إليها بالتزاحم، ولا تصل النوبة إلى التعارض، ومن بعد مَنْ يتوصّل إليها بالجمع العرفى، فالتعارض هو الخيار الأخير لمن يعجز عن الإحاطة بالدرجات السابقة.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۳۷

وهذه المقولة تؤشّر على أنّ كثيراً من التزاحمات المتصوّرة هى وهم تزاحم لا حقيقة، ومع تحقّقه فلا طريق إلّاالتعامل مع الملاك بشكل مقطعى، وهذا ليس إلّا لفقدان الوسيلة، لا لاختلاف التزاحم بين الشريعة بحسب درجة تطبيقها فى النظام الكونى والظاهرة.

نعم، لا يحيط غير المعصوم بالإرادات الكلّية حضوراً، وإنّما هو مختصّ بمن له الهداية فى الإراءة، كما أنّه لا قياس ولا مقارنة بين علم المعصوم بالشريعة الظاهرة وما يتوصّل إليه الفقيه بالظنّ القاصر عن الإحاطة بكلّ الشريعة الظاهرة، بل القاصر عن الوصول إلى متن الشريعة، بل من وراء حجاب دلالة الألفاظ مع عدم إحاطته أيضاً بكلّ الدلالة ولا بكلّ تناسباتها، فمن ثمّ يقع الخطأ حتّى فى هذا المقدار المحدود من النزر اليسير، فضلًا عن عدم إحاطته بتنزّلات الإرادات الكلّية ومنظوماتها.

وبالجملة لا محلّ لقياس الثرى من الثريا والتراب من فلك عالم الإمكان، وقد روى العياشى عن إسحاق بن عمّار، عن أبى عبد اللَّه عليه السلام، قال: «إنّما مثل علىّ عليه السلام ومثلنا من بعده من هذه الأُمّة كمثل موسى عليه السلام والعالم حين لقيه واستنطقه وسأله الصحبة، فكان من أمرهما ما اقتصّه اللَّه لنبيّه صلى الله عليه و آله فى كتابه، وذلك أنّ اللَّه قال لموسى: «إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِى وَبِكَلَامِى فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ» «۱»

، ثمّ قال: «وَكَتَبْنَا لَهُ فِى الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ» «۲»

، وقد كان عند العالم علم لم يُكتب لموسى فى الألواح وكان موسى يظنّ أن جميع الأشياء التى يحتاج إليها فى تابوته وجميع العلم قد كتب له فى الألواح، كما يظنّ هؤلاء الذين يدّعون أنّهم فقهاء وعلماء وأنّهم قد أثبتوا جميع العلم والفقه فى الدين ممّا تحتاج هذه الأُمّة إليه وصحّ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۳۸

لهم عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وعلموه وحفظوه، وليس كلّ علم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله علموه ولا صار إليهم عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ولا عرفوه، وذلك أنّ الشىء من الحلال والحرام والأحكام يرد عليهم فيُسألون عنه ولا يكون عندهم فيه أثر عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، ويستحيون أن ينسبهم الناس إلى الجهل، ويكرهون أن يُسألوا فلا يجيبوا فيطلب الناس العلم من معدنه، فلذلك استعملوا الرأى والقياس فى دين اللَّه، وتركوا الآثار ودانوا اللَّه بالبدع وقد قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: كلّ

بدعة ضلالة.

فلو أنّهم إذا سُئلوا عن شيء من دين اللّه فلم يكن عندهم منه أثر عن رسول اللّه ردّوه إلى اللّه وإلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم من آل محمّد صلى الله عليه و آله، والذى منعهم من طلب العلم منّا العداوة والحسد لنا، لا واللّه ما حسد موسى عليه السلام العالم وموسى نبىّ اللّه يوحى اللّه إليه، حيث لقيه واستنطقه وعرفه بالعلم، ولم يحسده كما حسدتنا هذه الأُمّة بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله على ما علمنا وما ورثنا عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله، ولم يرغبوا إلينا فى علمنا كما رغب موسى عليه السلام إلى العالم وسأله الصحبة ليتعلّم منه ويرشده، فلمّا أن سأل العالم ذلك علم العالم أنّ موسى عليه السلام لا يستطيع صحبته ولا يحتمل علمه ولا يصبر معه، فعند ذلك قال العالم: «وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا» «۱»

، فقال موسى عليه السلام له وهو خاضع له يستعطفه على نفسه كى يقبله: «سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا» «۲».

وقد كان العالم يعلم أنّ موسى عليه السلام لاـ يصبر على علمه فكذلك- واللّه يا إسحاق بن عمار- حال قضاة هؤلاء وفقهائهم وجماعتهم اليوم لاـ يحتملون واللّه- علمنا ولا يقبلونه ولا يطيقونه ولا يأخذون به ولا يصبرون عليه، كما لم يصبر موسى عليه السلام على علم العالم حين صحبه ورأى ما رأى من علمه وكان ذلك عند موسى عليه السلام مكروهاً وكان عند

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۳۹

اللّه رضاً وهو الحقّ، وكذلك علمنا عند الجهلة مكروه ولا يؤخذ وهو عند اللّه الحقّ» «۱».

والهداية الإيصالية شيء وراء الوساطة فى الفيض فى قوس الصعود أو هى، ومع كونها هى هل هى مختصّة بالمؤمن أو تعمّ الكافر حيث إنّ الوساطة لم يُستثن منها أحد؟

بل هى مع خصوصيات تذكر فى محلّها، والوساطة لم يُستثن منها أحد سوى أنّ الكافر لا فيض إليه وإنّما حرمان، فالوساطة وساطة فى الحرمان من تحصيله على كمالات، والواسطة فى مثل هؤلاء أئمّة الشرّ والضلال كإبليس والجبت والطاغوت.

وباختصار: إنّ السورة المباركة (الكهف) فى صدد بيان قصّة الإمامة، وإنّها ظاهرة مستمرّة لا تنقطع، وإنّ إكمال الدين ليس بالنبوّة المجرّدة عن الولاية والإمامة، فإنّها ليست الغرض الأقصى، وإنّما التمام بالهداية الإيصالية، والمتمثّلة بإمام له الولاية وإدارة جماعة خفية مهمّتهم حفظ أغراض الشريعة الظاهرة بتحقيقها سواء المرتبطة بنظام المجتمع أم المرتبطة بالفرد.

ثمّ إنّ الظاهر أفضلية موسى على الخضر من بعض الجهات؛ بقرينة تبعية الثانى لشريعة الأوّل، المستفاد من بيانه لشرعية أفعاله بموازين شريعة التوراة، وإن كان يمتاز على موسى بالعلم اللدنى للوصول إلى أغراض الشريعة.

وبيانه بشكل مفصّل يعتمد الالتفات إلى هاتين النقطتين:

النقطة الأولى: يذكر فى علم أصول الفقه أنّ القضية الشرعية الحقيقية التى ينشأها الشارع ويعتبرها، لها بعد تكوينى وهو الإرادة التشريعية، وحقيقة هذه الإرادة تكوينية تتعلّق باعتبار الحكم الذى هو فعل الشارع.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۴۰

والإرادة التكوينية هذه كلّية من جهة أنّ متعلّقها هو الاعتبار الكلّى. بل العراقى ومن قبل النهاوندى افترضا أنّ حقيقة الحكم هى هذه الإرادات والإنشاء والاعتبار مجرّد وسيلة تخبر عن حكم اللّه الذى هو الإرادة.

ومن ثمّ سواء قلنا إنّ حقيقة الحكم الاعتبار والإرادة مبدأه كما هو الحقّ، أم قلنا إنّ حقيقته الإرادة والاعتبار مبرز وكاشف ومخبر، فالنتيجة المتوخاة واحدة، وهى أنّ التكوين ذو صلة بالاعتبار، وأنّ غطاء الاعتبار أو محكيه هو الإرادات الإلهية التكوينية الكلّية، وهذه الإرادات بحكم نظام الوسائط تتنزّل حتّى تنتهى بنفس الوحى ومن قبل النبىّ.

هذا ويذكر فى علم الأُصول أيضاً أنّ الحكم الكلّى ينحلّ عقلًا إلى أحكام جزئية شرعية اعتبارية، وكذا الإرادات الكلّية تنحلّ إلى إرادات جزئية تكوينية، وقد نبّه إلى ذلك العرفاء أيضاً، وهو الحقّ.

النقطـة الثانيـة: إنّ تنزّل الأمر والشأن منه تعالى على عالم مثل الـدنيا يتمّ عبر مراحل ولوائـح تكوينية ونشآت متعدّدة، وكلّما كان العالم والنشأة أكثر علوية كلّما كانت المتنزّلات أكثر بساطة، وكلّما توغّل فى التنزّل كلّما كان أكثر تقديراً ومحدودية وتضيّقاً.

وعلى هـذا الأسـاس نقول: إنّ النبىّ الحامل لشـريعة الظاهر تتلقّى نفسه الشـريفة التشـريع فى لوائـح عاليـة فى النشآت الغيبيـة، فهو يعلم بالاعتبارات وموجبها وهى الإرادات الكلّية التكوينية.

وأمّا حامل الولاية والشريعة فى السنن الكونية فيتلقّى الإرادات الإلهية التكوينية الجزئية فى نشآتها النازلة، كما يتلقّى الإحاطة بالإرادات الكلّيـة عن المقام الروحى للنبىّ عن مقامه الغيبى ومن ذلك يظهر اسـتحالة النبوّة مجرّدة عن الولاية كاسـتحالة تجرّد الحكم الاعتبارى الشرعى وانفكاكه عن الإرادة الشرعية،

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۴۱

فكما أنّ الحكم الشـرعى من دون إرادة إلهية مستبطنة خلفه محال، فكذلك استحالة النبوّة والرسالة من دون تعقّبها بما يليها فى المقام الغيبى وهى الولاية والإمامة.

ومنه يتّضح أنّ الشريعة لو اقتصر فيها على سطح العلم الظاهر من فقه المعارف والأحكام وهو العلم الحصولى الكسبى بالشريعة الظاهرة من دون عمق العلم اللدنى بالحقائق والإرادات الإلهية التكوينية وهو الولاية والإمامة الإلهية، لكان ذلك من قيام الاعتبار من دون نشأة الحقيقة التكوينية، وكان خيال وسراب محض، ولكن مثل الخضر عليه السلام من أقسام الولى الحجّة، وكذا مريم عليها السلام.

كما تقـدّم له الهداية الإراءية فهو محيط بالإرادات الكلّية حضوراً فكيف كان موسـى أفضل منه؟ فهو باعتبار أنّ الولى الحجّة مع النبىّ صلى الله عليه و آله المتبوع له يتلقّى فى القنوات الروحيـة عن ذلـك النبىّ يتبعه، فـالزهراء عليهـا السـلام تتلقّى فى البـاطن الروحى عن المقام الروحى لسيـد الأنبياء صلى الله عليه و آله. وعلى أساس هذا الفرق يتبين أكملية النبىّ حامل الشريعة الظاهرة على التابع له الولى الحجّة الحامل للولاية وللشريعة بحسب الدرجة فى النظام الكونى.

ثمّ إنّنـا نلحـظ فى قضـية الخضـر أدبـاً إلهياً بعـد الالتفات إلى أنّه أسـند الأفعال تارةً إلى نفسه فى: «أَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا» لا إلى اللَّه تعالى، وأُخرى إلى اللَّه فى: «فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا» «۱»

، وسرّ الاختلاف كما تبينه الروايـة عن الصادق عليه السـلام أنّ فى القول الأوّل حيث كان الفعل معبّراً عن نقص فلم ينسب إليه تعالى تأدّباً، بخلاف الثانى، فلمّا لم يكن إلّاأمراً خيرياً نسب إلى اللَّه تعالى.

وبهذا يمكن أن نفهم الفرق بين موسى والخضر وأكملية الأوّل على الثانى من

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۴۲

بعض الجهات.

كمـا يمكن على هـذا الأسـاس أن نسـجّل تعريفـاً دقيقـاً لكلّ من شـريعة الظاهر ونظام التكوين، فالأُولى هى الإرادات الكلّيـة التكوينية الإلهيـة المتعلّقـة بأفعـال المختـار بتوسّـط تعلّقها بفعل الشارع، وهو الأمر والإنشاء والاعتبار، والثانيـة هى الإرادات الجزئيـة المنحلّـة من الإرادات الكلّية.

وهـذه القضّيـة فى واقعهـا أحـد أوجه الفرق بين العلم النبوىّ والعلم اللـدنى والتى سـبق أن أشـرنا إليها، وهى أنّ العلم اللـدنى له مجال أوسع؛ إذ يشـمل أولياء اللَّه الحجج وهو نوع من الاصـطفاء، ويكون مقاماً أعمّ من الإمامة وأعمّ من النبوّة، فيشـمل الزهراء عليها السلام ومريم عليها السـلام التى لها نوع من الولايـة، وبقيـة أولياء اللَّه الحجج التى تشـير إليهم الآيات القرآنيـة، لـذا فهو يشـمل النبىّ والإمام والحجّة الولى.

أمّا العلم النبوىّ فإنّه يختصّ بالأنبياء، وهـذا لا يعنى التقاطع بينهما، بل إنّ النبوّة تلازم وجود شـعبة من العلم اللدنى للنبىّ دون العكس، ومن هنـا قيـل إنّ كـلّ نـبىّ ولىّ وليس كـلّ ولىّ نـبىّ؛ إذ لاـ يمكن للنبىّ أن يصـل لنبوّته من دون أن تكون له شـعبة من شـعب العلم

اللـدنى، ومن هنا قيل إنّ ولايـة النبىّ أرفع من نبوّة نفس ذلك النبىّ، ويـدلّلون فى علوم المعارف أنّ الولاية هى غيبية دائماً وتكوينية، والنبوّة وإن لم تكن ظاهرية تماماً، إلّاأنّها بالإضافة إلى ولاية ذلك النبىّ تعتبر ظاهراً.

وبتعبير آخر: أنّ النبىّ بولايته يتلقّى من البارى ويعلم بالإرادات التكوينيـة ثمّ فى تنزّلها تكون ظاهراً ورسالـة، وهـذا العلم اللـدنى هو المنشأ للظاهر ولا يشمل كلّ الإرادات التكوينية، كما يأتى الإشارة مفصّلًا فى حقيقة التشريع.

أمّا التأويل الوارد ذكره فى الآية الكريمة؛ فإنّ التأويل عموماً ورد فى القرآن بعدّة استعمالات:

۱- فى سورة يوسف، تأويل الأحاديث والرؤيا، وأنّه لديه علم التأويل، وهذا

لا يخصّ الرؤيا كما قد يبدو لأوّل وهلة، بل يعمّ كلّ ما يرتبط بالنشأة ما قبل الدنيا.

۲- فى قوله تعالى: «يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ» «۱»

بلحاظ نفس الوجود الخارجى لحقيقة القرآن.

۳- التأويل بلحاظ الوجودات والنشآت المختلفة، ومنه ما ورد أنّ الآخرة تأويل للدنيا.

۴- التأويل الوارد فى آية المحكم والمتشابه.

۵- التأويل الوارد فى هذه السورة، وهو تأويل ببيان الشريعة بحسب السنن الكونية الإلهية.

والتأويل مأخوذ من الأول والأوب وهو الرجوع والانتهاء، والغايـة تأويل المغيا، وغايـة الغايـة تأويل الغايـة، وهذا هو المعنى الجامع بين هـذه المعـانى، وهو مـا يعنى تعـاقب النشـآت لبعضـها البعض وجعل التاليـة غايـة للسابقـة، فما قبل النشأة الـدنيا غايتها النشأة الدنيويـة، والبرزخ والآخرة هى غايـة للـدنيا، وعليه لا تكون التأويلات محصورة بل تتعـدّد بتعـدّد النشآت، وقـد يحظى الأولياء الحجج ببعض أو كلّ هذه التأويلات حسب مقاماتهم.

فى تفسير الخضر أفعاله لموسى، وقبل ذلك نعرض لنقطتين:

النقطة الأولى: على صعيد التعليلات التى ذكرها الخضر لموسى يجب التوجّه إلى:

أ- إنّ مقام التعليل الغرض منه هو إقناع الطرف الآخر، ولذا يجب أن يذكر فيه علّة مشتركة على مبنى المتكلّم والسامع.

ب- إنّ فعل الخضر كان على أساس مقام الولاية من الشريعة بحسب السنن

الإلهية الكونية، واعتراض موسى كان على أساس الشريعة الظاهرة من مقام النبوّة، ممّا يعنى وجود مشترك بين درجتى الشريعة بحسب الظاهر ونظام التكوين؛ وإلّا لما كان تعليل الخضر مفهوماً لموسى، مع أنّا نلحظ أنّ موسى اقتنع بل انجلى له فظاعة ما تقدّم.

ج- يستنتج من هاتين النقطتين أنّ ما علّل به الخضر هو القاسم المشترك بين الشريعة الظاهرة والشريعة فى السنّة الإلهية الكونية.

د- إنّ موسى اقتنع بما ذكر له الخضر وانجلى له صحّة الأفعال التى قام بها الخضر حتّى على مستوى الشريعة الظاهرة.

ه- ومن هنا نستنتج حقيقـة مهمّـة فى النسبـة بين درجتى الشـريعة، وهى أنّ السـنّة الإلهية الكونية تطبيق للظاهرة، وأنّ النظام الكونى لا يلغى الظاهر بل هما متلاحمان، وأنّ الولاية إنجاز لأغراض النبوّة.

ومن هذه النتيجة يمكن أن نؤشّر على ظواهر انحرافية هى تلك التى ألغت الظاهر بالنظام الكونى الإلهى، أو افترضت أنّ السنن الكونية لا تفهم بالظاهر أبداً ولو بتوسّط المعصوم، أو أنكرت العلاقة بينهما وأنّها مفترضة أجنبية ومغايرة، بل ناسـخية الشريعة الكونية للظاهرة، وأنّ الولاية فى الإمامة ناسخة للنبوّة بتوهّم أنّها نبوّة أُخرى، وأنّ كلّ مقام غيبى فهو نبوّة.

النقطـة الثانيـة: من القواعـد المهمّـة الـتى تحكم الشـريعة الظـاهرة والتى تحتـاج من الفقيه إلى تـدبّر وتمعّن فى الموازنـة بين الأحكـام الظاهريـة، هى حالـة التصادم بين الأحكام المختلفـة وأى حكم يجب تقـديمه فى هذا المقام، وهو المعروف بين الفقهاء بالتزاحم، وقد

ذكرنا مفصّلًا فى بحث علم أصول الفقه التزاحم فى الملاكات وفى مقام الامتثال والضوابط التى يجب مراعاتها فى تقديم أى الملاكين، وقد أشرنا هناك إلى أنّ ما ذهب إليه العامّة من بحث المصالح المرسلة

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۴۵

وسدّ الذرائع ما هو إلّانوع من التطبيق لمبدأ التزاحم، واختلافنا معهم فى كيفية استكشاف الملاكات وفى طريقة التقديم، فهم قد اكتفوا بالملاكات الظنّية والتقديم الظنّى أو جعلوا ذلك ضابطة للتشريع الثابت.

وسوف نلاحظ أنّ الأفعال التى قام بها الخضر هى من باب التزاحم والسعى إلى حفظ الملاكات الواقعية التى خفيت عن النبىّ موسى، والتى لو كان قد علم بها لما اعترض عليه:

أوّلًا: خرق السفينة ... ص: ۴۴۵

وهاهنا سؤالان:

الأول: كيف ينسجم التعليل مع موازين الظاهر؟

الثانى: مع الانسجام ما هو الواقع فى السنن الإلهية الكونية الذى اختصّ به الخضر؟

ففى هذا الفعل كان هناك ملاكاً مهمّاً سعى الخضر إلى المحافظة عليه؛ وهو حفظ مال المساكين من سطوة الحاكم الظالم، وهذا لم يكن موسى على علم به، ثمّ فى مقام التطبيق كان الأمر يدور بين عطب السفينة وبين تعييبها؛ إذ فى كلاهما يتحقّق الغرض، ومن الواضح أنّ المحافظة على الكلّ أولى من المحافظة على البعض، فالخضر عمل بقاعدة التزاحم وهذا من موازين الظاهر أيضاً، لكنّه اختصّ بعلم وجود مصاديق التزاحم من اغتصاب الملك الظالم لكلّ سفينة.

ثمّ فى كيفية التصرّف الذى قام به الخضر من دون إذن أصحابها، فيمكن القول فيه: إنّ التصرّف العقدى يحتاج إلى إذن صريح ورضا بالإنشاء، أمّا التصرّف المجرّد غير العقدى كالأكل والشرب- فلا يحتاج إلى ذلك بل يكتفى فيه بالعلم بطيب النفس وإن لم يكن المالك ملتفتاً، ومن هنا تظهر النكتة فى أنّ إذن الفحوى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۴۶

لا يحتاج إلى إبراز إنشائى، ومن الواضح أنّ المالك لو خير بين تلف العين أو صفة العين فإنّه سوف يختار الثانى.

فنلاحظ أنّ الخضر بالعلم اللدنى علم أنّ الملك سوف يأخذ كلّ سفينة غصباً، فهو إعمال للعلم اللدنى فى تطبيق الشريعة الظاهرة، وهذا هو الحدّ الذى تعطيه الآية فى العلقة بين الشريعتين، أو بتعبير أدق بين درجتى الشريعة، أى أنّ الشريعة بحسب السنّة الإلهية الكونية ومقام الولاية تسعى إلى التحفّظ على الملاكات فى الشريعة الظاهرة ومقام النبوّة بنحوٍ لا يقبل الخطأ، وتكون مصيبة دائماً.

ثانياً: قتل الغلام ... ص: ۴۴۶

والإشكال فيه كما ذكرنا سابقاً من جهة الاقتصاص قبل الجريمة، وكونه غلاماً لم يبلغ الحلم.

والجواب عنه نقضاً وحلّاً:

أمّا النقض فبوجود موارد يوجد فيها جواز للقتل من دون جرم، كما فى حالات تترّس الكفّار بالمسلمين فى الحرب فيجوز عند استهداف الكفّار للقتل حينئذٍ قتل المسلمين. وكما فى حالات الدوران- على بعض الأقوال الفقهية وإن لم يكن تامّاً عند المشهور المنصور من الرأى الفقهى- بين حفظ النفس ونفس أُخرى أهمّ ملاكاً من الأُولى، فيرفع اليد عن وجوب حفظ أحد النفسين، ويحافظ على النفس الأهمّ.

أمّا الحلّ: إنّ قوانين التزاحم التى تحكم الشريعة الظاهرة هى مختصّة فى الحكمين الفعليين، أمّا فى شريعة السنن الإلهية الكونية فإنّ

التزاحم يطبّق حتّى فی موارد الشیء الفعلی والآخر المستقبلی، وهذا ما یحدث فی العلم اللدنی حیث یری أنّ الملاک الأهمّ بمراتب وإن کان لیس بفعلی یتصادم مع الملاک

الامامهٔ الالهیهٔ(۵)، ج۳، ص: ۴۴۷

الفعلی، وهذا وإن لم یکن میزاناً فی ظاهر الشریعهٔ لعدم حصول العلم بالشیء المستقبلی لاسیما إذا کان متمادیاً فی طول الزمان.

والروایات تشیر إلی أنّ اللَّه أبدلهما ببنت تزوّج منها نبیّ من أنبیاء اللَّه وتسلسل منه سبعون نبیّاً، فلو بقی هذا الغلام لکان سبباً فی کفر الأب، وبالتالی انقطاع النسل النبویّ، وهذا لا یمکن استعلامه بالشریعهٔ الظاهرهٔ، بل یتمکن منه من أُوتی العلم اللدنی.

ثالثاً: الجدار ... ص: ۴۴۷

إنّ إشکال موسی هنا لم یکن فی مؤاخذهٔ إلزامیهٔ، بل کان لترک ما هو الأولی والأرجح.

ویلاحظ من التعلیل الوارد فی هذه الآیهٔ الشریفهٔ أمران:

أ- إنّ الإرادهٔ الإلهیهٔ لیست من سنخ إرادهٔ اللَّه (کن فیکون)، بل إرادهٔ فی واقعها تتحقّق بالاختیار البشری، وبتوسّط البشر لا بتوسّط الملک أو مخلوقات أُخری.

ب- إنّ الملاک الأهمّ الذی أراد اللَّه عزّوجلّ حفظه هو ملاک ندبی، وهو کون أبیهما صالحاً، فأراد الحقّ تعالی إکراماً لهذا الأب الصالح أن یحفظ بصلاحه ذرّیته.

وهنا ننتقل للقول بأنّ الإرادهٔ الإلهیهٔ کان لها هذا الدور من خلال هذه المنظومهٔ فی حفظ هذه الأغراض التی لیس لها تلک الأهمّیهٔ الإلزامیهٔ وتتّصف بالشخصیهٔ، فکیف بتلک الأغراض الجادّهٔ المهمّهٔ التی تؤدّی إلی انعطافات مهمّهٔ فی الدین والشریعهٔ، فهذا یدلّنا علی وجود مجموعهٔ من الأولیاء ورجال الغیب الذین لهم تلک الخصوصیهٔ من الاطلاع علی العلم اللدنی وتکون وظائفهم حفظ الأغراض التی یولیها الشارع تلک العنایهٔ، وأنّ الحقّ تعالی لا یوکل الأمر إلی مجموع

الامامهٔ الالهیهٔ(۵)، ج۳، ص: ۴۴۸

الاختیار البشری، بل إنّ هذه المجموعهٔ هی التی تسعی بالمجموع للوصول إلی مقاصد الشریعهٔ.

والأمر المهمّ الذی نستفیده من هذه التعلیلات أنّ الشریعهٔ الکونیهٔ والسنن الإلهیهٔ التکوینیهٔ تطبیق للشریعهٔ الظاهرهٔ، وأنّ الهدایهٔ الإیصالیهٔ فی الشریعهٔ الکونیهٔ هی إقامهٔ خفیهٔ للشریعهٔ الظاهریهٔ، فلا یُکتفی بالهدایهٔ الإرائیهٔ، بل تکون إلی جنبها الهدایهٔ الإیصالیهٔ، وأن لا تترک الأُمور إلی الصدف، بل تکون هناک ید غیبیهٔ لأجل المحافظهٔ علی تحقیق الأهداف والأغراض.

وقوله تعالی «عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا»، یؤکّد أنّ الخضر لیس وحید سنخه، وإنّما هنالک منظومهٔ من الأبدال والأوتاد والأولیاء قد زوّدوا بالعلم اللدنی، وأنّ من جملهٔ وظائفهم تحقیق الأغراض التی هی الملاکات وغایات الشریعهٔ الظاهرهٔ.

الامامهٔ الالهیهٔ(۵)، ج۳، ص: ۴۴۹

فوائدالفائدهٔ الأُولی: حقیقهٔ التشریع ... ص: ۴۴۹

اشارهٔ

إنّ قضیهٔ الخضر مع النبیّ موسی وما اختصّ به کلّ منهما من الکمالات یستدعی التعمّق قلیلًا فی بیان حقیقهٔ التشریع السماوی الذی أوتیه النبیّ موسی علیه السلام وحقیقهٔ العلم الذی أوتیه الخضر، وأنّ هذه القصّهٔ لا تدلّ علی أفضلیهٔ الخضر علی النبیّ موسی من کلّ

جهة، بل هو تابع له فى شريعته السماوية.

لقد سعى الأصوليون خلال سنين متعدّدة إلى تركيز النظر فى حقيقة الحكم الشرعى والمراحل التى يمرّ بها، وإذا كان تسليط الضوء على أحكامه فى الفترة التى تعقب صدوره من الناحية المقدّسة عن طريق الرسول صلى الله عليه و آله، فإنّ المراحل التى تسبق مرحلة الإنشاء كانت أيضاً محلّ بحث وتأمّل بين العلماء، وكان السؤال الذى دار فى أذهانهم ما هو الارتباط بين عالم الاعتبار وعالم التكوين؟ وهل هما منفصلان بعد المفروغية من أنّ الاعتبار يستتبعه التكوين والفعل الخارجى لكنّ الكلام فى المرحلة السابقة؟

* فذهب جمهرة من الأصوليين إلى أنّ الإرادة الإلهية التكوينية هى الأساس لهذا التشريع والاعتبار، بمعنى أنّ وراء الاعتبار إرادات تكوينية متعلّقها ليس الفعل الخارجى، بل متعلّقها إنشاء الحكم واعتباره، وهى بالتأكيد تسبق الاعتبار والحكم التشريعى، وكلّيتها متعلّقها هو الاعتبار والإنشاء أو جعل حكم كلّى.

وذهب المحقّق النهاوندى فى تشريح الأصول إلى أنّ الأحكام الشرعية ليست

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۵۰

أحكاماً اعتبارية، بل هى إرادات تكوينية تشريعية، ومتعلّقة بفعل المكلّف، وتبعه المحقّق العراقى. وأنّ الأحكام الشرعية التكليفية إرادات تكوينية سابقة على النشأة الأرضية، والإنشاء مجرّد وسيلة تخبر عن حكم اللّه الذى هو الإرادة.

وعلى كلّ حال، فسواء جعلنا الإرادة التكوينية هى منشأ الشريعة الظاهرة أو أنّها هى، فإنّ هذه الإرادات ليست حالة فى الذات، بل هذه الإرادات بحكم نظام الوسائط تتنزّل من اللوح والقلم. حتّى تصل إلى نفس النبىّ أو الوصىّ أو الولىّ الحجّة، وأن إراداتهم هى إرادة اللّه ومشيئاتهم مشيئات اللّه.

* نبّه الأصوليون إلى أنّ الأحكام قسمان: الشرعية الاعتبارية والأحكام التكوينية. فالأُولى تكون على صيغة القضايا الحقيقية، وهى تنحلّ إلى قضايا جزئية فى موارد عديدة، وبالمقابل فى الأحكام التكوينية، أى أنّ الأحكام التكوينية الكلّية تنحلّ إلى أحكام تكوينية جزئية تكون وراء كلّ حكم شرعى جزئى، وقد نبّه أهل المعرفة على ذلك.

* وقد أشارت الروايات وفسّرها أهل المعرفة والحكمة- إلى أنّ الأمر والشأن من اللّه فى تنزّله إلى العوالم السفلية يتمّ عبر مراحل، ويعبّرون أنّها تتمّ عبر لوائح تكوينية وأقلام تكوينية، وكلّما كانت النشأة أكثر علوية كانت الإرادات الإلهية فيها كلّية، وكلّما تنزّلت هذه الأوامر الإلهية فى اللوائح النازلة كلّما ضيّقت وقدّر وصارت ليلة القدر أى ليلة التحديد.

* إذا التفتنا إلى النكات السابقة نستطيع معرفة الفارق المحورى بين الشريعة فى الدرجة الظاهرة والكونية ونظام التكوين، وبين مقام صاحب الشريعة بالدرجة الظاهرة، وبين مقام صاحب شريعة السنن الكونية الإلهية.

فإنّ النفس النبويّة تتلقّى الإرادات الكلّية التشريعية الإلهية فى لوائح ونشآت عالية، ويكون لها علم بتلك الإرادات التكوينية الكلّية، أمّا صاحب النفس الولوية

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۵۱

والشريعة الكونية فإنّه يتلقّى الإرادات الإلهية الجزئية التكوينية فى اللوائح والنشآت النازلة.

وبناءً عليه نرى أنّ الذى يطّلع على تلك الإرادات الكلّية يكون أفضل مقاماً من الذى يطّلع على الإرادات الجزئية فقط، ولا يكون له اطّلاع على تلك الكلّيات إلّا من خلال الإرادات التشريعية الواردة عن طريق النفس النبويّة، ومن هنا نقول إنّ هؤلاء الأولياء الحجج يكونون تابعين لصاحب الشريعة النبىّ الذى فى زمانهم؛ وذلك لأنّ تلك الإرادات الكلّية تكون عن طريق تلك النفس النبويّة فى عهده.

ومن ثمّ إنّ النبىّ الخاتم صلى الله عليه و آله يكون واسطة فى تلقّى الأئمّة عن طريق الملكوت والأرواح التى هى مرتبطة بعالم الأمر والملكوت، لا عن طريق الحسّ والظاهر.

وبتفاوت النبوات وأفضليتها تتفاوت مقامات التابعين والأولياء، ويمكن أن نفهم الفرق بين موسى والخضر وأكملية الأوّل على الثانى، مع عدم علم موسى ببعض ما عند الخضر.

كما يظهر تعريف آخر للشريعة الظاهرة: أنّها الإرادات الكلّية الإلهية ومتعلّقها أفعال المكلّفين المختارين بتوسّط تعلّقها بفعل الشارع وهو الأمر والإنشاء والاعتبار. والشريعة فى السنن الإلهية الكونية: أنّها الإرادات الجزئية المنحلّة من تلك الإرادات الكلّية «١».

الامامة الالهية(۵)، ج٣، ص: ۴۵۲

كما يعلم الحال فى غير المعصومين وأنّ فقهاء الشريعة إنّما يصلون إلى الحكم الظاهرى فى الشريعة الظاهرة عن طريق الطرق والإمارات الشرعية، بينما النبىّ يكون له اطّلاع مباشر على الإرادات التكوينية الكلّية، أمّا الفقيه فلا يحيط بذلك فضلًا عن الاطّلاع على الإرادات الجزئية، ويفهم من ذلك أنّ مجرّد الحصول على الملكة الكسبية لا يعنى الاطّلاع والوصول إلى تلك الإرادات الكلّية ولا الجزئية، فلابدّ أن يكون تابعاً إلى صاحب الولاية.

الفائدة الثانية ...: ص: ۴۵۲

وتتضمّن تحليل أدبى لغوى فلسفى لأدب من الآداب الإلهية، أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام فى رواية ذكرها صاحب نور الثقلين، وهى تتعلّق بملاحظة طريقة تفسير الخضر لأفعاله واختلاف نسبة الأفعال فى الوقائع الثلاث، ففى قصّة السفينة قال: «فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا»، وفى قضية القتل قال: «فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا* فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا» «١»

، وفى واقعة الجدار قال: «فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا»....

فنلاحظ أنّه تارةً يسنده إلى نفسه، وتارةً للمجموع، وثالثةً للَّهعزّوجلّ، والملاحظ أنّه فى الأفعال الخيرة يسند الفعل للَّهعزّوجلّ، وفى الأفعال التى ظاهرها النقص يسندها إلى نفسه أو إلى من هو مثله. فالإعابة والقتل والخشية من أفعال الآدميين، والإرادة والإبدال هى من أفعال اللَّه عزّوجلّ، فمع أنّ الكلّ من عند اللَّه عزّوجلّ إلّاأنّه فى مقام التأدّب معه تعالى لا يسند ما ظاهره النقص له

الامامة الالهية(۵)، ج٣، ص: ۴۵٣

تعالى.

أمّا المجموع فى (فخشينا) فلا يمكن أن يريد الخضر نفسه، والجمع بلحاظ التفخيم؛ وذلك لأنّ الخضر لا يفخّم نفسه فى قبال اللَّه تعالى، ولا أيضاً فى قبال موسى، مضافاً إلى أنّه فى الشريعة للسنن الكونية الإلهية يُراعى دقّة الحقائق لا المجازات، وإذا أخذنا فى عين الاعتبار ما ورد فى صدر القصّة من عبادنا، فنعلم أنّ المراد من الخشية هنا هو مجموع رجال الغيب، وهى مجموعة تسالمت المذاهب المختلفة على وجودها وإن اختلفت تسميتها من الأبدال والأوتاد والسياح والأركان، وأنّ هذا العلم لا يختصّ بالخضر بل إنّ تلك العلوم يزوّد بها رجال هذه المنظومة، فهم وإن كانوا غير موكّلين كلّهم بهذه المهمّة إلّاأنّ العلم بهذا العلم يولد خشية لدى الجميع، وإن كان التنفيذ مختصّاً بواحد منهم، وكأنّه ينوب عنهم فى تأدية هذا الفعل.

إنّ هذا الأدب الإلهى الذى أشرنا إليه فيما مضى أيضاً فى طلب موسى من الخضر وإجابة الخضر له، إنّما يدلّ على جذر عقائدى يدعم ويولّد تلك المعرفة التى يكون تلفّظ الإنسان بها وخطابه مع الذات المقدسة بما يتلاءم مع مقام الذات وتنزّهها عن المعايب والنواقص، وقد أشار علماء المعرفة إلى هذه النكتة فى موارد عدّة، مثلًا فى صفة الكرم يرجعونها إلى أنّ الاعتقاد بحسب الفطرة بأنّ فيض وجود اللَّه عزّوجلّ وكمالاته غير متناهية، فالرزق والعطاء لا يكون محدوداً، ومنه ينشأ صفة الكرم.

وهكذا صفة الشجاعة فهى تعود إلى مقام توحيدى بالاعتقاد بأنّ القدرة الحقيقية كلّها ترجع إليه سبحانه، وبالتالى لا يكون هناك أحد مالكاً للقدرة إلّا بإقدار منه، فينشأ من هذا الاعتقاد عدم خشية الإنسان من أحد، وإذا شاهدنا أمثال هذه الصفات من أحد فإنّها تنمّ عن

مقدار من التوحيد بنحو الإجمال البسيط في

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۵۴

فطرته، بل ما ورد في سورة البلد يدلّ على أنّ الصفات الحميدة دالّة على الإيمان:

«فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ* فَكُّ رَقَبَةٍ* أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ* يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ* أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ* ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ» «۱».

ولا يخفى أنّ هذا الأدب ليس مجرّد مجاملات شكلية، وإنّما يعتمد أساساً على قاعدة تمّ مراعاتها من قبل الخضر، وهو ما أشار إليه القرآن من نسبة السيئة إلى العبد ونسبة الحسنة إلى اللَّه مع كون كلّ منهما من عند اللَّه.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۵۵

المقالة الثانية التصدّي الفعلي الخفيّ للإمام في عصر الغيبة لإدارة وتدبير النظام الاجتماعي البشري ... ص: ۴۵۵

اشارة

وهذا التصدّي الفعلي الخفي السريّ المستتر ليس خاصّاً بعصر الغيبة وليس خاصّاً بالإمام المهدي (عج)، بل هو من لدن إمامة آدم عليه السلام وأوصيائه، وإمامة نوح وإبراهيم إلى إمامة سيد الأنبياء صلى الله عليه و آله قبل بعثته وأثناء حكومته الظاهرية، وأمير المؤمنين عليه السلام قبل حكومته الظاهرية وأثناءها أيضاً، وكلّ الأئمّة عليهم السلام إلى عهد إمامة المهدي (عج) في عصر غيبته، ونلحظ هذه الحقيقة في شؤون الإمامة الإلهية من خلال نموذج الخضر.

فنلحظ أنّ الخضر قد نسب ثالثة الفعل إلى المجموع في قوله (فخشينا، فأردنا)، وهو ينسجم مع قوله: «عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا» الظاهر في أنّ الخضر واحد من مجموعة قد زوّدوا بالعلم اللدني وكُلّفوا للمحافظة على أغراض الشريعة الظاهرة بتطبيقها، فالخشية هي خشية المجموع، وإرادة الجميع تدلّ على أنّ ما قام به الخضر واجب كفائي قد انبرى الخضر لأدائه.

بعد كلّ هذا. يمكن أن يسجل هذا السؤال معترضاً على فكرة الولاية و (النزعة الملكوتية والخفاء) في الإمامة، وفكرة الجماعة المزوّدة بالعلم اللدني الموظّفة بما ذكرناه والتي يديرها الإمام عليه السلام، وفكرة أنّ قوام الإمامة المقوّم لها هو الهداية الإيصالية.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۵۶

والسؤال: إنّ ما ذكر لا يظهر من الكتاب والسنّة المستفيضة، وهو لا يعدو تنظير الصوفية، والذي خلاصته: تشابك الأرواح والنفوس على شكل منظومة هرمية تستبطن عدة خلايا ترتبط جميعها بالإمام، والذي اختلفت تعبيراتهم عنه بين القطب والغوث والإمام.

وقد جاء ما يوازي هذا الفهم في تعبير الفلاسفة والذي برهنوه عقلًا- بسلسلة الارتباط العلي الوجودي.

ومعه لا يمكن أن تأخذ هذه الأُطروحة مجالها في الفكر الشيعي ما لم تصبغ بصبغة دينية وتكون ذات غطاء قرآني روائي، وهو مفقود.

ومن ثمّ لابدّ من الاقتصار على أنّ الإمامة منصب إلهي يعني المرجعية الدينية (الهداية الإرائية) والزعامة السياسية، مع قبول ارتباطه بالغيب وتزويده بالعلم اللدني؛ فإنّ هذا القدر هو الظاهر من القرآن والسنّة.

والجواب: إنّ الموجود عند الصوفية لا- يتجاوز بذوره ومبدأ نشأته القرن الثالث، بل بلورته كنظرية جاءت في أواخر القرن السابع وبدايات القرن الثامن، مع أنّ الروايات في هذا المجال أسبق بكثير من هذا التاريخ فضلًا عما في القرآن وكلمات الرسول صلى الله عليه و آله والأمير عليه السلام وبقية الأئمّة عليهم السلام بل إنّ معظم ما لدى الفرق الصوفية والعرفاء هو طفيل ووليد عن فرق الغلاة الشيعية التي ظهرت في النصف الثاني من القرن الأوّل وفي القرن الثاني والثالث الهجري، بينما فرق الصوفية متأخّرة زمناً عن فرق الغلاة، بل إنّ

سلسلة مشايخ الصوفية جلّها تنتهى إلى غلاة الشيعة وجملة من هؤلاء الغلاة لا كلّهم- كانوا أصحاب سرّ فى المعارف لدى أئمّة أهل البيت عليهم السلام- غاية الأمر لم يحالفهم الحظ أن يبقوا على الاستقامة، كما حصل مع بلعم بن باعورا حيث آتاه البارى تعالى بعض حروف الاسم الأعظم: «آتَيْنَاهُ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۵۷

آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا» «۱».

فلم يكن خلاف الحكمة الإلهية إعطاءه الآيات من الاسم الأعظم مع علم البارى فى الغابر أنّه لن يستقيم، ولكن الإعطاء الغيبى من البارى لبلعم بن باعورا حجّة عليه بعد استحقاقه فى ظرف الاستقامة للعطية الغيبية الإلهية، وفى ذلك حكم أُخرى منه تعالى، مثل تنبيه البشر على أنّ من يتّق اللّه يجعل له فرقاناً، واتّقوا اللّه يعلمكم، أى تنبيههم على وجود علوم غيبية ليست فى متناولهم.

وأنّ نشأة الغيب نشأة لا تنزف ولا تنفذ كما ورد فى الحديث القدسى:

«لأعطين الحكمة من زهد فى الدنيا، فأمّا المؤمن فهى حجّة له، وأمّا الكافر فهى حجّة عليه» «۲».

هذا وغيره هو وجه الحكمة فى تربية أهل البيت عليهم السلام بعض أصحاب السرّ أيام الاستقامة مع علمهم بما سيؤول حال أُولئك الأصحاب، هذا مع أنّ جملة كثيرة أُخرى من أصحاب السرّ بقوا على الاستقامة، كسلمان الفارسى وكميل بن زياد النخعى وميثم التمّار ورشيد الهجرى وحبيب بن مظاهر وجابر بن يزيد الجعفى ويونس بن عبد الرحمن وذريح المحاربى، وغيرهم.

وعلى أى تقدير، فما عند الصوفية من سمن إذا فصل عن الغثّ، أو صواب أسرار المعرفة فإنّما تلقوا وأخذوا جذوره من فرق الشيعة، ومن ثمّ قالت أهل سنّة الخلافة وجماعة السلطان عن الصوفية والتصوّف إنّه قنطرة التشيع.

وبالإضافة إلى أنّ الصوفية لا يعدون ذلك من مبتدعاتهم أو ما ثبت لهم بالمكاشفة فقط، وإنّما ينسبون ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۵۸

وبالتالى فما ذكرناه لا يمثّل اختراقات الفكر الصوفى السنّى للفكر الشيعى، وإنّما هو تأثيرات الفكر الشيعى على الفكر السنّى المتمثّل بهذه الطبقة.

ومن ثمّ نفهم الحسّاسية البالغة عند فقهاء السنّة ومحدّثيهم من صوفيتهم، حيث تجرّ أطروحة الصوفيين الفكر السنّى إلى الفكر الشيعى، وتجعل من مبدأ الإمامة الشيعى ضرورة، فحاولوا الطعن عليهم بأنّهم متأثّرون بالاتّجاه الباطنى وهو الشيعة، مستهدفين بذلك تجريد الأُطروحة من الدليل والشرعية.

فقد جاءت الباطنية فى كلماتهم فى سياق الذمّ وأنّها منقصة، ومن ثمّ نسبوها إلى أئمّة أهل البيت، حتّى قال بعضهم: إنّ نسبة الباطنية إلى علىّ عليه السلام لها وجه، وأمّا نسبتها إلى جعفر بن محمّد فلا ريب فيها.

وقد غفل هؤلاء عن أنّ ما ذكر مديح للأمامية بأنّهم يؤمنون بالغيب، وأنّ فكرة الباطنية بمعنى الاعتقاد بعالم ونشأة الغيب والارتباط به واشرافه على عالم الشهادة من دون التنكّر لعالم الغيب، كما هو مذاق المادّيين الحسّيين، هى أطروحة الشيعة لا من مستورداتهم، سوى أنّ هذه الفكرة قبلتها الشيعة بالشكل الذى مرّ، وهو حفظ التوازن بين البطون والظهور وعدم تغليب أحدهما على حساب الآخر، وبين التأويل كحقيقة قرآنية بيد الراسخين فى العلم وهم أهل آية التطهير وبين ظهور الكتاب وبين تنزيل الكتاب فى المصحف الشريف بين الدفّتين وبين القرآن المجيد فى نشأة اللوح المحفوظ والكتاب المكنون الذى لا يمسّه إلّا المطهّرون والكتاب المبين الذى يستطرّ فيه كلّ شىء الذى هو حقيقة قرآنية يجب الإيمان بها على حدّ الإيمان بالمصحف بين الدفّتين، وإلّا لكان من الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض الآخر.

فالباطن والبطون هو الغيب الذى ليس منالًا لكلّ أحد كما يدّعيه الصوفية، بل هو فى موقعه القطبى المركزى خاصّ بعترة النبىّ

المطهّرة، فالإيمان بالظاهر دون الباطن كالإيمان بعالم الشهادة والكفر بعالم الغيب ومن الإيمان بالحسّ والإنكار

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۵۹

بما وراء الحسّ كما يصنع أصحاب مدرسة الحسّ والمادّة، غاية الأمر أنّ البطون وورود هذه العوالم الغيبية لا تتسنّى إلّالمن شهد له القرآن بالقدرة على ذلك، وهم المطهّرون أهل آية التطهير، وأمّا غيرهم فلابدّ من إقامة البرهان وميزان الدلالة فى الوصول إلى بعض المعانى المحدودة اليسيرة من التأويل.

وأمّا دلالة الكتاب والسنّة على ما ذكر من معنى الإمامة الإلهية مضافاً إلى ما تقدم فى الفصل الثالث من الجزء الأوّل من شواهد قرآنية من الكتاب والسنّة القطعية والأدلّة العقلية والفطرية، نشير إلى شواهد أُخرى على هذا التوسّع والإضافة فى معنى الإمامة الإلهية الذى نحن بصدده فى هذا الفصل.

الشاهد الأوّل: قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ»... «۱»

، فإنّ الخليفة عنوان من عناوين الإمام المدبّر المتصرّف فى الأرض وبجعل تكوينى إلهى، كما تقدّم فى الفصل الثالث شرح هذه الآيات مبسوطاً. وموضع الاستشهاد فى المقام يتبين عبر النقاط التالية:

الأولى: هو أنّ أوّل تعريف ذكره البارى للخليفة هو ذكر اعتراض الملائكة (الافساد فى الأرض، وسفك الدماء) بمثابة الجنس والفصل لتعريف الخليفة، فما هى الصلة الوثيقة بين تعريف الخليفة والإمام فى الأرض وبين هذين الاعتراضين؟ فلابدّ ثمّة من ارتباط وثيق بينهما أراد أن يتبّه البارى تعالى عليه حيث إنّ القرآن الكريم فى مقام تعريف الخليفة والإمام.

الثانية: إنّ اعتراض الملائكة بالإفساد فى الأرض وسفك الدماء لابدّ أن يراد منه المقدار الغالب من الافساد وسفك الدماء بمقدار أكثرى؛ وذلك لأنّ الفساد الأقلّ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۶۰

فى مقابل الإصلاح والصلاح الأكثر ليس مذموماً بل راجح، كما أنّ سفك الدماء القليل بالقياس إلى مجموع عدد البشرية الكبير وبنحو مانع عن انقراض النسل ليس قبيحاً، بل حسن، فلابدّ أن يكون مصب الاعتراض هو بالفساد الكثير وسفك الدماء الأكثر، أى الشرّ الكثير فى مقابل الخير القليل، لا الاعتراض بالشرور القليلة فى مقابل الخيرات الكثيرة، فهذا المعنى هو الذى اعترض به الملائكة على جعل الخليفة.

الثالثة: إنّ من الواضح أنّ المجىء بالاعتراض الملائكى والمحذور الذى تخوّف منه الملائكة فى أصل سياق تعريف خليفة اللّه فى الأرض هو لبيان أنّ هذا الخليفة من أبرز خواصه ومهامه وآثاره أنّه بوجوده دارئ ممانع عن وقوع هذا المحذور، وذلك عبر عملية استخلافه وتصرّفه من قبل اللّه أى قيامه بالتدبير فيما استخلف فيه، فبتدبيره وتصرّفه فى الأُمور يحول دون انفراط النظام الفطرى الإلهى للنظام الاجتماعى البشرى، وبذلك يحول دون وقوع الفساد والإفساد فى الأرض فى كلّ المجالات، سواء البيئى والصحّى والزراعى والاقتصادى والأخلاقى والأمنى والعسكرى والتجارى، وكذلك يحول دون وقوع سفك الدماء الغالب المبيد للنسل البشرى.

فهو بتدبيره فى النظام العام يقوم بمهمّة الاستخلاف وهى حكومة النظام العالمى البشرى فى ضمن حكومة موحّدة تدفع بالنظم البشرية فى البلدان إلى تقارب نظام عالمى موحّد على أساس الفطرة البشرية والرعاية الإلهية والعناية السماوية، ومن ذلك يظهر سرّ نزول كلّ ملفّات التقدير والقضاء سنوياً فى ليلة القدر على صاحب الأمر، والذى قد تقدّم مفصّلًا بيانه فى الرافد الخامس، فإنّ هذا الكم المعلوماتى الهائل عن وضع البشرية السنوى فى كل عام الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّاأحصاها فى جدول إحصائى لسياسات الحكومة الإلهية يقوم

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۶۱

برئاستها ولی الأمر فی لیلة القدر.

من ذلک یتّضح أنّ الملف القرآنی للیلة القدر بمجموع السور والآیات المتعرّضة لحدث لیلة القدر فی کلّ عام وما یتنزّل فیها هو دلیل مستقلّ برأسه علی هـذه المهمّة الخطیرة الموکلة لولیّ الأمر الإمام المعصوم عبر الاسـتخلاف الإلهی، إذ إرسال هذا الحجم الخطیر من المعلومات الحسّاسة عن الوضع البشـری فی کلّ شؤونه لکلّ سـنة مسـتقبلة فی لیلة القدر هو عمل من الاستراتیجیات الأوّلیة فی الحکم والحکومة للنظام البشری، وبنیة ضروریة أساسیة من أرکان الحکومة فی منظومة الاجتماع البشری.

وبتوسّط ذلک الملف من المعلومات وعبر المنظومة الخفیة لجهاز الحکم یتمّ إنجاز وإنقاذ السیاسات الإلهیة فی حکم والحکومة علی النظام البشری بحیث یحول دون وقوع الفساد والإفساد الغالب فی شتّی مجالات النظم البشریة.

وربما یُطرح فی المقام تساؤلان:

الأوّل: إنّنا نری ونشاهـد فی طیلـة التاریخ البشـری مظاهر وأنظمة من الفساد والافساد فی الأرض وأنواع الظلم العاتی والحروب المبیدة للنسل البشـری، وفی عصـرنا الراهن البشـریة فی شتّی البلـدان قابعـة تحت أنظمـة الظلم والجور والعـدوان، إضافـة إلی تحریف الأدیان وابتداع المذاهب والسنن الباطلة، وتفشّی الزیغ والأهواء، فأین هذا الحائل، وأین الطامس لآثار الزیغ والعدوان وأین المبید للظلمة وأین صاحب رایة الهدی؟

الثانی: إنّه علی ضوء وجود مثل هـذا التصـدّی من قبله (عـج) لتدبیر أُمور البشـریة فما الفرق بین التدبیر الخفی فی الغیبة وبین حکومته المبارکة بعد الظهور، لاسیما أنّ ظهوره بعد أن تُملئ الأرض ظلماً وجوراً، وذلک یعنی وقوع المحذور الذی تخوّفت منه الملائکة ولو فی برهة من الزمن؟ کما أنّه مع وجود هذا التدبیر

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۴۶۲

الخفی من قبل جمیع الأئمّـة علیهم السـلام فأی معنی لإزوائهم عن سدّة الحکم والتصـرّف فی الأُمور؟ ولماذا لم یسـتطیعوا بهذا التدبیر الخفی إرجاع الأُمور إلی نصابها؟

والجواب: إنّما یُلاحظ فی تاریخ البشـریة إلی عصـرنا الحاضـر رغم کلّ سلسـلة الطغیان وسفک الدماء والعدوان والجور فی المجالات العدیدة والبقاع المختلفة، إلّا أنّه لم یکن بطابع الحالة المسـتمرّة، بل نری الإصـلاح ینقض علیه وإن کان نسبیاً فلا یبقیه، کما لا یدع له مجالًا لأن یکون غالباً، وکذلک الحروب التی اصطلت بها البشریة ما کانت تتمادی لتفنی النسل البشری.

بل إنّ سلسـلة وقافلة ومسار الرقی الفطری البشری وحاکمیة القیم الفطریة علی العقل والوعی البشری آخذة فی الازدیاد جیلًا بعد جیل، وإن کانت ممارسة أصـحاب القدرة والحکومات الوضـعیة یزداد بها المارد الشـیطانی عتوّاً وفساداً ویعیثون فی الأرض عدواناً وفجوراً، وبـذلک نلحظ أنّ الفسـاد لیس هو الأـغلب؛ فقـد مرّت البشـریة فی عصور مظلمـة مدلهمـة لکن لاـ یتمّ لها الإصـلاح والتطوّر الشامل الکامل والمدینـة الفاضـلة المثالیـة إلّابتسـلّم خلیفـة اللّه فی أرضه زمام کافّة مقالید القدرة والإدارة فی کلّ مراتبها وشؤونها ولا تقتصـر علی المرتبة الخفیة، وستأتی الإشارة فی الروایات المرویة من الفریقین إلی ذلک وتتمّة إیضاح لهذا الأمر.

الشاهد الثانی: مجموع السور والآیات التی سبق استعراضها فی الفصل السابق حول ما ینزل فی لیلة القدر، والتی ینزل فیها ملفّات تدبیر للنظام البشـری وصـلة ذلک فی التدبیر الخفی لولی الأمر فی النظام البشری الذی تتنزل علیه الروح والملائکة کلّ عام، کما ألمحنا إلی ذلک فی الشاهد الأوّل.

الشاهد الثالث: قوله تعالی للنبیّ إبراهیم علیه السلام: «وَإِذِ ابْتَلَی إِبْرَاهِیمَ رَبُّهُ بِکَلِمَاتٍ

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۴۶۳

فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّی جَاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» «۱»

، وصـریح الآیـة هو أنّ الجعـل فعلی منه تعـالی للإمامـة الفعلیـة لإـبراهیم، مع أنّه فی الظاهر المعلن من التاریـخ لم یتقلّـد النبی إبراهیم

حکومة معلنة وسلطة رسمية فی بلد من البلدان، فهذه الإمامة للبشر لابدّ أن یکون تدبیرها الفعلی للنظام البشری لا یقتصر علی السلطة الرسمیة المعلنة، بل یشمل التدبیر السیاسی الاجتماعی الخفی، مضافاً إلی هدایة الأرواح والنفوس لإیصالها إلی المنازل المعنویة فی الکمال، وکذلک قوله تعالی: «وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ* وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكوةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ» «۲»

، وقوله تعالی: «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ» «۳».

فهذا الوصف للجعل الإلهی الفعلی لإمامتهم بالفعل إمامة إسحاق ویعقوب- مع أنّهم لم یتقلّدوا زمام أی سلطة رسمیة فی التاریخ، وقد ورد فی روایات الفریقین حول حیاة النبیّ إبراهیم من لقائه أولیاء اللَّه فی شتّی أقطار الأرض، وأنّه کان علی اتّصال وارتباط معهم.

هذا مضافاً إلی النقلة الحضاریة التی أحدثها النبیّ إبراهیم فی الخطّ الأدیانی والقانونی للبشر فی العراق وبلاد الشام وأرض الحجاز ومصر، کما هو الحال فی دور أئمّة أهل البیت علیهم السلام فی إرساء رحی عقائد الإیمان ومعالم الدین وما نشروه

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۶۴

وشیدوه من معارف وأحکام الدین والتی کانت مجهولة لدی المسلمین فی عصر النبیّ صلی الله علیه و آله، حیث لم یتلقّها عن النبیّ إلّاالعترة بالعلم اللدنی لا مجرّد السماع الحسی.

الشاهد الرابع: قصّة الخضر فی سورة الکهف والتی تقدّم بیان جملة من شؤونها، وتأتی تتمّة ذلک.

الشاهد الخامس: جملة النماذج القرآنیة الأُخر التی سیتمّ استعراضها لاحقاً، وموضع الاستشهاد فیها من إحدی زوایاها المبینة لنحو التدبیر الخفی لنماذج الإمامة فی النظام البشری وتأثیرهم فی المنعطفات الحضاریة فی المسار البشری.

أمّا الشواهد الروائیة فنذکر نبذة من الروایات یتفطّن منها المتتبع للوقوف علی جملة وافرة متکاثرة متضمّنة لنفس المعنی:

منها: ما ورد فی دعاء رجب الذی رواه الشیخ الطوسی، من التوقیع من الناحیة المقدّسة علی ید الشیخ الکبیر أبی جعفر محمّد بن عثمان أبی سعید (رضوان اللَّه تعالی علیه)، حیث فیه: «صلّی علی محمّد وآله وعبادک المنتجبین وبشرک المحتَجِبین وملائکتک المقرّبین والبهم الصافین الحافین..» «۱»

، فوصف أنّ هناک جماعة من البشر مُحتَجبین ومستترین عن الأنظار، بمعنی أنّ الناس لا تعرفهم.

ومنها: ما رواه الشیخ فی المصباح فی دعاء أُمّ داود: «صلّ علی الأبدال والأوتاد والسیاح والعباد والمخلَصین» «۲».

ومنها: ما ورد فی زیارته (عج) فی سرداب الغیبة: «اللّهمّ صلّی علیه وعلی خدّامه وأعوانه علی غیبته، ونأیه واستره ستراً عزیزاً، واجعل له معقلًا حریزاً» «۳».

ومنها: ما ورد فی دعاء زیارة العسکریین علیهما السلام فی زیارة الإمام أبی محمّد الحسن العسکری فی الدعاء عقبها، حیث فیه: «وأتوسّل إلیک یا ربی بإمامنا ومحقّق

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۶۵

زماننا الیوم الموعود والشاهد المشهود والنور الأزهر والضیاء الأنور المنصور بالرعب والمظفر بالسعادة ... اللّهمّ واحشرنا فی زمرته واحفظنا علی طاعته واحرسنا بدولته وأتحفنا بولایته وانصرنا علی أعدائنا بعزّته» «۱».

فیشیر الدعاء إلی طلب الحراسة الفعلیة منه تعالی من قبل کلّ مؤمن وذلک بتوسّط الدولة الفعلیة الخفیة له (عج)، وطلب النصرة علی الأعداء بتوسّط عزّته، أی بطلب قدرته الفعلیة.

ومنها: الدعاء المعروف للحجّة (عج): «اللّهمّ کن لولیک الحجّة بن الحسن العسکری صلواتک علیه وعلی آبائه فی هذه الساعة وفی کلّ ساعة، ولیّاً وحافظاً وقائداً وناصراً ودلیلًا وعیناً، حتّی تسکنه أرضک طوعاً وتمکّنه فیها طویلًا» «۲»

. فإنّ الدعاء بالنصرة فی هذه الساعة الفعلیة وطوال فترة الغیبة حتّی الظهور یقضی بوجود کیان فعلی یتجاذب مع القوی الراهنة فی

الأنظمة البشرية، وكذلك الدعاء بالقيادة الإلهية يقضى بوجود حركة فعلية تحتاج إلى الدلالة الإلهية.

ومنها: ما رواه المجلسى فى البحار عن مؤلّفات أصحابنا، بسنده عن المفضل بن عمر فى حديث قال: قال الصادق عليه السلام: «أحسنت يا مفضل فمن أين قلت برجعتنا؟

ومقصرة شيعتنا تقول معنى الرجعة أن يردّ اللَّه إلينا ملك الدنيا وأن يجعله للمهدى (عج)، ويحهم متى سُلبنا الملك حتّى يردّ علينا.

قال المفضل: لا واللَّه وما سلبتموه ولا تسلبونه لأنّه ملك النبوّة والرسالة والوصية والإمامة» «۳».

ومنها: ما رواه فى البحار من زيارة طويلة لأئمّة البقيع وفيها: «اللهمّ صلِّ على

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۶۶

الإمام الوصىّ والسيد الرضى والعابد الأمين، علىّ بن الحسين زين العابدين إمام المؤمنين ووارث علم النبيين، اللهم اخصصه بما خصصت به أوليائك ... وسلك بالأُمّة طريق هداك، وقضى ما كان عليه من حقّك فى دولته، وأدّى ما وجب عليه فى ولايته، حتّى انقضت أيّامه وكان لشيعته رؤوفاً وبرعيته رحيماً» «۱».

ومنها: ما رواه الصدوق فى الفقيه فى استحباب الجماع ليلة الجمعة من الحديث النبوىّ: «وإن جامعتها فى ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة فإنّه يرجى أن يكون الولد من الأبدال إن شاء اللَّه تعالى» «۲».

ومنها: ما رواه الصدوق فى عيون أخبار الرضا بسنده عن عمر بن واقد فى حديث استشهاد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ووصيته للمسيب بن زهير ومجىء الإمام الرضا عليه السلام لتغسيل والده من المدينة إلى بغداد بطىّ الأرض، قال: «فواللَّه لقد رأيتهم بعينى وهم يظنّون أنّهم يغسلونه أى السندى بن شاهك وجماعته من جلاوزة النظام العباسى- فلا تصل أيديهم إليه، ويظنّون أنّهم يحنّطونه ويكفّنونه وأراهم لا يصنعون به شيئاً، ورأيت ذلك الشخص أى الإمام الرضا عليه السلام- يتولّى غسله وتكفينه وتحنيطه وهو يظهر المعاونة لهم وهم لا يعرفونه، فلمّا فرغ من أمره قال لى ذلك الشخص: يا مسيب مهما شككت فيه فلا تشكنّ فىّ؛ فإنّى إمامك ومولاك وحجّة اللَّه عليك بعد أبى، يا مسيب مثلى مثل يوسف الصديق عليه السلام ومثلهم مثل أخوته حين دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون. ثم حُمِل عليه السلام حتّى دفن فى مقابر قريش» «۳».

ونظير ذلك ورد فى الإمام المهدى (عج) أنّه يقوم بدوره فى تدبير الأُمّة

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۶۷

والبشرية كما كان يقوم يوسف عليه السلام بذلك من حيث لا يعرفونه، ممّا يدلّل على وجود التدبير الخفى عند الأئمّة عليهم السلام، وأنّ هذا التدبير مصيرى فى بقاء نظام الملّة والدين والأُمّة، فقد روى النعمانى بسند قريب من الاعتبار عن سدير الصيرفى، قال: سمعت أبا عبد اللَّه الصادق عليه السلام يقول: «إنّ فى صاحب هذا الأمر لشبهاً من يوسف ۷. فقلت: إنّك لتخبرنا بغيبة أو حيرة؟ فقال: ما ينكر هذا الخلق الملعون أشباه الخنازير من ذلك أنّ أُخوة يوسف كانوا عقلاء ألبّاء أسباط أولاد أنبياء، دخلوا عليه فكلّموه وخاطبوه وتاجروه وراودوه، وكانوا أخوته وهو أخوهم لم يعرفوه حتّى عرّفهم نفسه وقال لهم: أنا يوسف، فعرفوه حينئذٍ.

فما تنكر هذه الأُمّة المتحيّرة أن يكون اللَّه جلّ وعزّ يريد فى وقت من الأوقات أن يستر حجّته عنهم؟ لقد كان يوسف إليه ملك مصر وكان بينه وبين أبيه مسير ثمانية عشر يوماً، فلو أراد أن يعلّمه بمكانه لقدر على ذلك، واللَّه لقد سار يعقوب وولده عند البشارة تسعة أيام من بدوهم إلى مصر، فما تنكر هذه الأُمّة أن يكون اللَّه يفعل بحجّته ما فعل بيوسف، وأن يكون صاحبكم المظلوم المجحود حقّه صاحب هذا الأمر يتردّد بينهم ويمشى فى أسواقهم ويطأ فرشهم ولا يعرفونه حتّى يأذن اللَّه له أن يعرّفهم نفسه، كما أذن ليوسف حين قال له أخوته: إنّك لآت يوسف؟ قال: أنا يوسف» «۱».

ومنها: ما روى فى قصّة شقيق البلخى المعروفة مع الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، حيث شاهد منه العجائب فلمّا رأى منه ذلك قال: «إنّ هذا الفتى لمن الأبدال، لقد تكلّم على سرّى مرّتين» «۲».

وهذا يدلّل على أنّ مقولة الأبدال والأوتاد حقيقة مسلّمة فى أذهان المسلمين،

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۶۸

مصدرها الأحاديث النبويّة، وقد أطلق عنوان الأبدال والأوتاد فى الروايات على الأئمّة المعصومين عليهم السلام، ولكن الإطلاق بمعنى آخر، بمعنى أنّهم عليهم السلام بدل الأنبياء إذ رفع الأنبياء وختمهم محمّد صلى الله عليه و آله، كما جاء فى الحديث عن الرضا عليه السلام، روى فى الاحتجاج عن خالد بن الهيثم الفارسى، قال: «قلت لأبى الحسن الرضا عليه السلام: إنّ الناس يزعمون أنّ فى الأرض أبدال، فمن هم هؤلاء الأبدال؟ قال: صدقوا، الأبدال هم الأوصياء جعلهم اللّه فى الأرض بدل الأنبياء، إذ رفع الأنبياء وختمهم محمّد صلى الله عليه و آله» «۱».

وعلّق عليها المجلسى رحمه اللّه بأنّه يظهر من دعاء أُمّ داود فى النصف من رجب مغايرة الأبدال للأئمّة عليهم السلام، وقال: ليس بصريح فيها فيمكن حمله على التأكيد، ويحتمل أن يكون المراد به فى الدعاء خواصّ أصحاب الأئمّة عليهم السلام، والظاهر من الخبر نفى ما تفتريه الصوفية من العامّة كما لا يخفى على المتتبع العارف بمقاصدهم عليهم السلام «۲».

ويشير قدس سره إلى اقتباس الصوفية هذا المعنى ممّا ورد فى أئمّة أهل البيت عليهم السلام وزعمهم هذه المقامات لأنفسهم، كيف لا وهم متأخّرين عن أهل البيت عليهم السلام ورواياتهم بقرون.

ومنها: قال الشيخ الكفعمى رحمه اللّه فى هامش جنّته عند ذكر دعاء أُمّ داود:

قيل إنّ الأرض لا ـ يخلو من القطب وأربعة أوتاد وأربعين أبدالًا وسبعين نجيباً وثلاثمائة وستّين صالحاً. فالقطب هو المهدىّ عليه السلام، ولا يكون الأوتاد أقلّ من أربعة؛ لأنّ الدنيا كالخيمة والمهدى كالعمود وتلك الأربعة أطنابها، وقد يكون الأوتاد أكثر من أربعة والأبدال أكثر من أربعين والنجباء أكثر من سبعين والصلحاء أكثر من ثلاثمائة وستّين، والظاهر أنّ الخضر والياس من الأوتاد؛ فهما ملاصقان

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۶۹

لدائرة القطب.

وأمّا صفة الأوتاد فهم قوم لا يغفلون عن ربّهم طرفة عين، ولا يجمعون من الدنيا إلّاالبلوغ، ولا تصدر منهم هفوات الشرّ، ولا يشترط فيهم العصمة من السهو والنسيان بل فى فعل القبيح، ويشترط ذلك فى القطب، وأمّا الأبدال فدون هؤلاء من المراقبة، وقد تصدر منهم الغفلة فيتداركونها بالتذكّر، ولا يتعمّدون ذنباً.

وأمّا النجباء فهم دون الأبدال، وأمّا الصلحاء فهم المتّقون الموفون بالعدالة، وقد يصدر منهم الذنب فيتداركونه بالاستغفار والندم، قال اللّه تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ» «۱»

، جعلنا اللّه من القسم الأخير؛ لأنّا لسنا من الأقسام الأُول، لكن ندين اللّه بحبّهم وولايتهم، ومن أحبّ قوماً حشر معهم.

وقيل: إذا نقص أحد من الأوتاد الأربعة وضع بدله من الأربعين، وإذا نقص أحد من الأربعين وضع بدله من السبعين، وإذا نقص أحد من السبعين وضع بدله من الثلاثمائة وستّين، وإذا نقص أحد من الثلاثمائة وستّين وضع بدله من سائر الناس «۲».

ومنها: ما رواه ابن شهرآشوب فى المناقب بسند عن على بن أبى حمزة، قال:

كان يتقدّم الرشيد إلى خدمه إذا خرج موسى بن جعفر من عنده أن يقتلوه، فكانوا يهمّون به فيتداخلهم من الهيبة والزمّع «۳». فلمّا طال ذلك أمر بتمثال من خشب وجعل له وجهاً مثل وجه موسى بن جعفر، وكانوا إذا سكروا أمرهم أن يذبحوها بالسكاكين، وكانوا يفعلون ذلك أبداً، فلمّا كان فى الأيام جمعهم فى الموضع وهم

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۷۰

سكارى وأخرج سيدى إليهم، فلمّا بصروا به همّوا به على رسم الصورة، فلمّا علم منهم ما يريدون كلّمهم بالخزرية والتركية، فرموا من

أيديهم السكاكين ووثبوا إلى قدميه فقبّلوهما وتضرّعوا إليه وتبعوه إلى أن شيّعوه إلى المنزل الذى كان ينزل فيه، فسألهم الترجمان عن حالهم، فقالوا: إنّ هذا الرجل يصير إلينا فى كلّ عام فيقضى أحكامنا ويرضى بعضنا من بعض ونستسقى به إذا قحط بلدنا وإذا نزلت بنا نازلة فزعنا إليه، فعاهدهم أنّه لا يأمرهم بذلك فرجعوا «۱».

ومنها: ما رواه العامّة بطرق مستفيضة أو متواترة، وهو الحديث النبوىّ قوله صلى الله عليه و آله: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثنى عشر خليفة كلّهم من قريش وفى ألفاظ الحديث الأُخرى- لا يزال هذا الأمر عزيزاً، يُنصَرون على من ناواه ... وفى الأحاديث: لا يزال أمر أُمّتى قائماً حتّى يمضى اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش ... وفى البعض الآخر: لا يزال هذه الأُمّة مستقيماً أمرها ظاهرة على عدوّها حتّى يمضى منهم اثنى عشر خليفة كلّهم من قريش ... وفى بعضها: لا يزال أمر الناس ماضياً. وبعضها: لا يضرّهم عداوة من عاداهم» «۲».

والملاحظ فى هذا الحديث النبوىّ المتواتر أنّه مضافاً إلى تحديد خلافته صلى الله عليه و آله بالاثنى عشر وأنّهم كلّهم من قريش بل فى بعضها من بنى هاشم، ولا ينطبق إلّا على العترة المطهّرة، فإنّ فى دلالتها مقطع آخر هامّ جدّاً وهو آثار خلافة هؤلاء الاثنى العشر، فقد ذكر فى الحديث بطرقه المختلفة والظاهر تكرّره من النبىّ صلى الله عليه و آله فى مواضع شتّى بتعدّد الرواة والمشاهد:

الأوّل: إنّ دين الإسلام والذى هو ميراث جميع الأنبياء والمرسلين لاسيما

سيدهم خاتم النبيّين صلى الله عليه و آله لا يتمّ حفظه عن الاندراس والزوال والصيانة عن التحريف إلّابهؤلاء الاثنى عشر ومن الواضح أنّ هذا الحفظ لا يتمّ إلّابأسباب علمية وعملية، أمّا العلمية فلكون علمهم لدنيا كما مرّ- لا ينزف، يحيطون باللوح المحفوظ والكتاب المبين والكتاب المكنون، وأمّا الأسباب العملية فلا ريب أنّه بتوسّط الأسباب والمسببات سواء من عالم الملك والملكوت وهو يستبطن التدبير الخفى.

الثانى: إنّ عزّة الأُمّة الإسلامية بتوسّط خلافة الاثنى عشر، أى قيادتهم وإمامتهم لنظام الأُمّة، ومن الواضح أنّ ذلك لم يكن إلّابالإدارة الخفية بتوسّط منظومات بشرية متسترّة، وإن كان حفظ العزّة لهذه الأُمّة أمر نسبى لا يصل إلى كماله إلّابظهور المهدى وقيام دوله الرجعة للأئمّة عليهم السلام.

الثالث: حفظ أمر نظام عموم الناس والبشرية بهم عليهم السلام وهو أيضاً لا يتمّ إلّا بالتدبير والإدارة الخفية بتوسّط مجموعات بشرية مخترقة للأنظمة المعلنة الظاهرية، ومفاد ألفاظ الحديث يقارب ما استظهرناه من قوله تعالى: «إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً» «۱»

كما مرّ، ولفظ الحديث «أمر الناس»، وليس (أمر الأُمّة) ممّا يقتضى التعميم ويعضد إرادة العموم ما تكرّر فى الأحاديث أن لولا الاثنى عشر لكان الهرج والمرج، وهو عامّ فى جميع البشرية؛ إذ هو اصطلاح فى الحديث مِن قبيل قيام الساعة لجميع أهل الأرض.

والحاصل: إنّ هذا الحديث النبوىّ المتواتر دالّ بالتدبّر والتأمّل على آثار وجود الخلفاء الاثنى عشر، وهى لا تتحقّق إلّابتصرّفهم عليه السلام من مقام صلاحية خلافتهم فى الأرض، وتدبيرهم بما أوتوا من أسباب لدنية وعلوماً من لدنه تعالى. روى

الشيخ الطوسى بسنده إلى جابر الجعفى، قال: قال أبوجعفر عليه السلام: «يبايع القائم بين الركن والمقام ثلاثمائة ونيف عدّة أهل بدر، فيهم النجباء من أهل مصر، والأبدال من أهل الشام، والأخيار من أهل العراق، فيقيم ما شاء اللَّه أن يقيم» «۱»

، ورواه فى الاختصاص، إلّا أنّ فيه و (عصائب العراق) «۲».

وروى الشيخ المفيد بسنده إلى محمّد بن سويد إلى جعفر بن محمّد عليه السلام، قال له: «كيف الحديث الذى حدّثتنى عن أبى الطفيل- رحمه اللَّه- فى الأبدال؟ فقال فطر «۳»:

سمعت أبا الطفيل يقول: سمعت عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام يقول: الأبدال من أهل الشام والنجباء من أهل الكوفة يجمعهم اللَّه لشرّ

يوم لعدوّنا» «۴».

فى النهاية لابن الأثير فى مادّة (بدل).. فى حديث علىّ رضى الله عنه: «الأبدال بالشام هم الأولياء والعباد، الواحد بدل كحمل وأحمال، وبدل كجمل، سُمّوا بذلك لأنّهم كلمّا مات واحد أُبدِل بآخر» «۵».

وروى ابن الفتّال فى روضة الواعظين عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال: «إنّ اللّه تبارك وتعالى اختار من كلّ شىء أربعة... واختار من أُمّة محمّد أربعة أصناف: العلماء والزهّاد والأبدال والغزاة» «۶».

وقال البياضى فى الصراط المستقيم: (غاية طعن المنكرين لولادته متعلّقة بنفى مشاهدته. قلنا قد أسلفنا مشاهدة قوم من أوليائه، على أنّ نفى رؤيته لا يدلّ على نفى وجوده، ولا يقدح فيه قول المنحرف عنه بجحوده، إذ ليس طرق العلم محصورة فى المشاهدة، فإذا دلّت البراهين على إمامته ووجوده لم تكن غيبته عن الأبصار مانعة عن تولّده، وأكثر المواليد إنّما تثبت بالشياع وهى حاصلة هنا من

الشيعة، وكيف ينكر وجوده لعدم مشاهدته؟ والأبدال موجودون ولا يشاهدون.

قال [ابن] ميثم فى شرحه للنهج: قد نقل أنّهم سبعون رجلًا، منهم أربعون بالشام وثلاثون فى سائر البلاد. وفى الحديث عن علىّ عليه السلام: الأبدال بالشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق يجتمعون فيكون بينهم حرب..) «۱».

ومنها: ما روى فى التفسير المنسوب للإمام العسكرى عليه السلام، عن أبى محمّد الحسن بن علىّ عليه السلام فى حديث عن فتح مكّة «۲» «.. فلما حُتم قضاء اللّه بفتح مكّة واستوسقت له- [أى للنبىّ]- أمّر عليهم عتاب بن أسيد، فلمّا اتّصل بهم خبره قالوا: إنّ محمّداً لا يزال يستخف بنا حتّى ولّى علينا غلاماً حدث السنّ بن ثمانى عشرة سنة، ونحن مشايخ ذوى الأسنان وجيران حرم اللّه الآمن وخير بقعة على وجه الأرض.

وكتب رسول اللّه صلى الله عليه و آله لعتاب بن أسيد عهداً على مكّة، وكتب فى أوّله: من محمّد رسول اللّه إلى جيران بيت اللّه الحرام وسكّان حرم اللّه، أمّا بعد، فمن كان منكم باللّه مؤمن وبمحمّد رسوله فى أقواله مصدّقاً وفى أفعاله مصوّباً ولعلىّ أخى محمّد رسوله نبيه، صفيّه ووصيّه وخير خلق اللّه بعده موالياً، فهو منّا وإلينا. ومن كان لذلك أو لشىء منه مخالفاً فسحقاً وبعداً لأصحاب السعير، لا يقبل اللّه شيئاً من أعماله وإن عظم وكبر، يصليه نار جهنّم خالداً مخلّداً أبداً.

وقد قلّد محمّد رسول عتّاب بن أسيد أحكامكم ومصالحكم، وقد فوّض إليه تنبيه غافلكم وتعليم جاهلكم وتقويم أود مضطربكم وتأديب من زال عن أدب اللّه منكم؛ لما علم من فضله عليكم من موالات محمّد رسول اللّه صلى الله عليه و آله ومن رجحانه فى التعصّب لعلىّ ولىّ اللّه، فهو لنا خادم وفى اللّه أخ ولأوليائنا موالياً ولأعدائنا معادٍ، وهو لكم سماء

ظليلة وأرض زكية وشمس مضيئة، قد فضّله اللّه على كافّتكم بفضل موالاته ومحبّته لمحمّد وعلىّ والطيبين من آلهما، وحكّمه عليكم يعمل بما يريد اللّه فلم يخلّيه من توفيقه، كما أكمل من موالاة محمّد وعلىّ شرفه وحظّه، لا يؤامر رسول اللّه ولا يطالعه بل هو السديد الأمين، فليطمع المطيع منكم بحسن معاملته شريف الجزاء وعظيم الحياء، وليتوقّ المخالف له شديد العذاب وغضب الملك العزيز الغلّاب، ولا يحتجّ محتجّ منكم فى مخالفته بصغر سنّه؛ فليس الأكبر هو الأفضل، بل الأفضل هو الأكبر، وهو الأكبر فى موالاتنا وموالاة أوليائنا ومعادات أعدائنا، فلذلك جعلناه الأمير عليكم والرئيس عليكم، فمن أطاعه فمرحباً به، ومن خالفه فلا يبعد اللّه غيره.

قال: فلمّا وصل إليهم عتاب وقرأ عهده ووقف فيهم موقفاً ظاهراً نادى فى جماعتهم حتّى حضروه، وقال لهم: معاشر أهل مكّة، إنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله رمانى بكم شهاباً محرقاً لمنافقكم، ورحمة وبركة على مؤمنكم، وإنّى أعلم الناس بكم وبمنافقكم.. ففعل واللّه كما قال وأعدل وأنصف وأنفذ الأحكام مهتدياً بهدى اللّه غير محتاج إلى مؤامرة ولا مراجعة» «۱».

وفى الرواية مواضع للإستشهاد:

قوله صلى الله عليه و آله: «يعمل بما يريد اللَّه فلم يخلّيه من توفيقه، كما أكمل من موالاة محمّد صلى الله عليه و آله وعلى عليه السلام شرفه وحظّه، لا ـ يؤامر رسول اللَّه ولا ـ يطالعه بل هو السديد الأمين»، فإنّه دالّ على أنّ تصرّفات عتاب بن أسيد لم تكن عن طريق توصيات ووصايا قولية وأوامر لفظية من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، بل كانت عبر تسديد الإلهام من النبيّ صلى الله عليه و آله، كما هو الحال فى الأبدال والأوتاد، وكما ورد نظير ذلك فى النوّاب الأربعة فى الغيبة

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۷۵

الصغرى، حيث إنّهم كانوا سفراء لا رواة، وكما ورد نظير ذلك فى أصحاب الإمام المهدى الثلاثمائة والثلاثة عشر فى كيفية تلقّيهم برامج وأنشطة الحكم الذى يزاولونه.

ويعضد هذا المفاد قوله فى آخر الرواية: «ففعل واللَّه كما قال وأعدل وأنصف وأنفذ الأحكام مهتدياً بهدى اللَّه غير محتاج إلى مؤامرة ولا مراجعة»، وهذا تكرار فى التصريح أنّ إنفاذه للأحكام لم يكن بأوامر لفظية ولا مراجعة قولية سماعية، وهذا من خواصّ منظومة الحكومة الخفية، حكومة الأبدال والأوتاد والنقباء والأركان، وقد بيّن صلى الله عليه و آله أنّ وصول عتاب لهذا المقام هو بسبب الدرجة الخاصّة التى وصل إليها من موالاة ومحبّة النبيّ ووصيّه وآلهما عليهم السلام، ومعادات أعدائهم، وأنّه فاق فى ذلك كلّ أهل مكّة آنذاك، ومن ثمّ حظى بهذا المقام الخاصّ كما ورد نظيره فى النواب الأربعة. وعتاب مع صغر سنّه خاطب أهل مكّة كما حكى عليه السلام قوله تقريراً له: «وأنّى أعلم الناس بكم وبمنافقكم».

ونموذج عتاب بن أسيد يدلّل على أنّ الحكومة الخفية السرّية تظلّ قائمة موجودة فى ضمن الحكومة المعلنة، بل إنّ عتاب بقى أميراً على مكّة فى عهد خلافة أبى بكر، ممّا يشير إلى اختراق الحكومة الخفية للأنظمة الأُخرى.

ومنها: ما رواه الصدوق فى الأمالى بسنده عن الأعمش، عن الصادق عليه السلام، قال:

«لم تخل الأرض منذ خلق اللَّه آدم من حجّة للَّهفيها، ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجّة للَّهفيها، ولولا ذلك لم يُعبد اللَّه.

قال سليمان: فقلت للصادق عليه السلام: فكيف ينتفع الناس بالحجّة الغائب المستور؟ قال:

كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب» «۱».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۷۶

ولا يخفى دلالة الرواية على أنّ الغيبة بمعنى التستّر والخفاء والسرّية، لا الزوال والذهاب والابتعاد والإقصاء، كما أنّ التشبيه بالشمس إذا سترها السحاب صريح فى ذلك فى أنّه يقوم بكلّ أدواره إلّاأنّه بنحو متستّر خفى.

ونظير هذه الرواية ما رواه الصدوق فى إكمال الدين، والطبرسى فى الاحتجاج عن الكلينى عن إسحاق بن يعقوب أنّه ورد من الناحية المقدّسة على يد محمّد بن عثمان: «.. وأمّا وجه الانتفاع بى فى غيبتى فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب..» «۱».

ونظير ما رواه الصدوق فى إكمال الدين أيضاً بإسناده عن جابر بن عبداللَّه الأنصارى، عن النبيّ صلى الله عليه و آله فى حديث عن الأئمّة الاثنى عشر عليهم السلام وأنّ آخرهم المهدى ويغيب عن شيعته وأولياءه: «.. قال جابر يا رسول اللَّه فهل ينتفع الشيعة به فى غيبته؟ فقال صلى الله عليه و آله: اى والذى بعثنى بالنبوّة أنّهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته فى غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن جلّلها السحاب» «۲».

ومنها: ما ورد فى التوقيع الشريف من الناحية المقدّسة للشيخ المفيد الذى رواه الطبرسى فى الاحتجاج: «.. فإنّا نحيط علماً بأنبائكم ولا يعزب عنّا شىء من أخباركم، ومعرفتنا بالذلّ (بالزلل) (بالإذلال) الذى أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ منهم وراء ظهورهم، كأنّهم لا يعلمون.

إنّا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء، فاتّقوا اللَّه جلّ جلاله وظاهرونا على

انتياشكم من فتنة قد أنافت

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۷۷

عليكم، يهلك فيها من حمّ أجله، ويُحمى عنها من أدرك أمله، وهى إمارة لأزوف حركتنا ومباثّتكم بأمرنا ونهينا، واللّه متمّ نوره ولو كره المشركون، اعتصموا بالتقية..» «۱»

ثمّ ذكر الحجّة (عج) سلسلة من الأحداث المستقبلية وكيفية التدبير فيها.

ومفاد التوقيع الشريف ناصّ على تصدّيه (عج) لتدبير الأُمور بنحو خفى، وتمام مراقبته للأحداث صغيرها وكبيرها والبرامج المتّخذة فيها، وأنّه لولا هذه الإدارة والتدبير الخفى لاستأصل الأعداء كيان المؤمنين.

وفى التوقيع الثانى ابتدأ نسخته: «من عبد اللّه المرابط فى سبيله إلى مُلهَم الحقّ ودليله»، وقد تضمّن قوله (عج): «.. ويأتيك نبأ منّا بما يتجدّد لنا من حال، فتعرف بذلك ما نعتمده من الزلفة إلينا..»، ثمّ ذكر (عج) جملة من الحوادث وكيفية التدبير فيها، وقال: «وآية حركتنا من هذه اللوثة حادث بالحرم المعظّم من رجس منافق مذمّم مستحلّ للدم المحرّم، يعمد بكيده أهل الإيمان ولا يبلغ بذلك غرضه من الظلم لهم والعدوان؛ لأنّنا من وراء حفظهم بالدعاء الذى لا يحجب عن ملك الأرض والسماء، فليطمئنّ بذلك من أوليائنا القلوب، وليثقّوا بالكفاية منه وإن راعتهم بهم الخطوب، والعاقبة بجميل صنع اللّه سبحانه تكون حميدة لهم ما اجتنبوا المنهى عنه من الذنوب.. ولو أنّ أشياعنا وفّقهم اللّه لطاعته على اجتماع من القلوب فى الوفاء بالعهد عليهم لما تأخّر عنهم اليمن بلقائنا» «۲».

ومفاد التوقيع الشريف نظير سابقه فى رصده (عج) للأحداث وتدبيرها قبل وقوعها، ولا سيما صدر التوقيع حيث عبّر (عج) عن نفسه الشريفة بالمرابط فى سبيل اللّه الدالّ على قيامه (عج) الشريف فى رأس الهرم للتصدّى لتدبير

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۷۸

الأحداث، إذ الرباط هو الجهاد فى سبيل اللّه لحفظ الثغور عن أن ينفذ منها الأعداء.

وفى حديث رواه النعمانى فى غيبته بسنده عن أبى جعفر محمّد بن على، عن أبيه علىّ بن الحسين عليهم السلام فى تفسير هذه الآية: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا» «۱»

، قال عليه السلام: «سيكون ذلك ذرّية من نسلنا المرابط..» الحديث «۲».

ومنها: صحيحة معاوية بن وهب، قال: «سمعت أبا عبداللّه عليه السلام يقول: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: إنّ عند كلّ بدعة تكون من بعدى يكاد بها الإيمان ولياً من أهل بيتى موكّلًا به يذبّ عنه، ينطق بإلهام من اللّه ويعلن الحقّ وينوّره، ويردّ كيد الكائدين، يُعبّر عن الضعفاء، فاعتبروا يا أولى الأبصار، وتوكّلوا على اللّه» «۳».

ومنها: ما ذكره الوحيد البهبهانى فى تعليقته على منهج المقال فى ترجمة على بن المسيب عن بعض الكتب المعتمدة، أنّه أُخذ من المدينة مع الكاظم عليه السلام وحبس معه فى بغداد وبعد ما طال حبسه واشتدّ شوقه إلى عياله قال عليه السلام له:

«اغتسل فاغتسل، فقال: غمّض فغمّض، فقال: افتح ففتح فرآه عند قبر الحسين عليه السلام فصلّيا عنده وزارا، ثمّ قال: غمّض وقال افتح فرآه معه عند قبر الرسول صلى الله عليه و آله، فقال: هذا بيتك فاذهب إلى عيالك وجدّد العهد وارجع إلىّ، ففعل فقال: غمّض وافتح، قال فرآه معه فوق جبل قاف وكان هناك من أولياء اللّه أربعون رجلًا، فصلّى وصلّوا مقتدين به، ثمّ قال غمّض وقال افتح، ففتح فرآه معه فى السجن» «۴»

. وهذه الرواية تشير وتعزّز أنّ الحكومة الخفية كانت لدى جميع المعصومين يديرونها.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۷۹

وهناك إشكال أثارته العديد من مدارس المعرفة الحديثة ضدّ أبناء الإمامية حول تعريف الإمامة الإلهية، وهو يوجّه إلى وجود مثل هذه المنظومات الغيبية التى تقوم بالهداية الإيصالية فى مراتبها المختلفة، وحاصله أنّ هذا البيان لحقيقة الإمامة ولهذه المنظومة يقترب

من عقائد الصوفية والعرفاء، حيث إنّهم يعتقدون بوجود سلسلة من المراتب المترتّبة على هيئة هرم له مركز في الأعلى هو القطب، وقد يقال له الغوث أو الإمام، وإنّ عالم الأرواح والنفوس متشابك ومترابط وجوداً على هذه الهيئة الهرمية.

وبعبارة أُخرى: يهدف المستشكل إلى القول بأنّ هذا الاعتقاد بحقيقة الإمامة هو من تأثير الصوفية.

والجواب: إنّ الموجود عن الصوفية لا يتجاوز بذوره عن القرن الثالث، بل إنّ بلورته كنظرية جاءت في أواخر القرن السابع وبدايات القرن الثامن، والروايات الواردة في ما نذكره بل الآيات في هذا المجال أسبق بكثير من هذا التأريخ، وقد أشرنا إلى أنّ حقيقة الإمامة إنّما نهتدي إليها من الآيات والروايات، فلا يكون من التأثير الصوفي على الفكر الشيعي، بل هو من تأثير الحكمة الشيعية على الفكر الصوفي كما تقدّم.

هذا وعندما نتأمّل في كتاب الإحياء للغزالي الذي تأثّر به كثيراً ابن عربي، نلاحظ ذلك أنّه بالروايات المنقولة عن أهل البيت عليهم السلام من مصادر الحديثية للشيعة، وأنّ في جملة المباحث يحاول أن يستقي ويبني نظرياته على ضوء ما يستظهره من تلك الروايات المفصلية في بحوثهم، هي روايات أهل البيت، وأنّهم على أساس هذا خالفوا الجمهور في الكثير من متبنياتهم الكلامية..

بالإضافة إلى كلّ ما تقدّم: وجود الروايات المتواترة وبألسنة متعدّدة وطوائف متنوّعة- كما ذكر العلّامة في مقالات تأسيسية- تثبت الهداية الإيصالية

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۸۰

للإمام عليه السلام، من قبيل ما ورد في ذيل آية: «فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ» «۱».

ومن ثمّ نفهم الحسّاسية البالغة عند فقهاء السنّة ومحدّثيهم من صوفيتهم حيث تجرّ أُطروحاتهم إلى الفكر الشيعي وتقترب منه، وتجعل من مبدأ الإمامة الشيعي ضرورة، فحاولوا الطعن عليهم بأنّهم متأثّرون بالاتّجاه الباطني وهو الشيعة، مستهدفين بذلك تجريد الأُطروحة من الدليل والشرعية.

فقد جاءت الباطنية في كلماتهم في سياق الذمّ وأنّها منقصة، ومن ثمّ نسبوها إلى الأئمّة، حتّى قال بعضهم: إنّ نسبة الباطنية إلى عليّ عليه السلام محتملة، وأمّا نسبتها إلى جعفر بن محمّد عليه السلام فلا ريب فيه.

وقد غفل هؤلاء عن أنّ ما ذُكر إقرار بأصالة الفكرة لدى الإمامية وإنّ فكرة الخفاء والباطنية هي أُطروحة الشيعة لا من مستورداتهم، سوى أنّ هذه الفكرة قبلتها الشيعة بالشكل الذي مرّ، وهو حفظ التوازن بين البطون والظهور وعدم تغليب أحدهما على حساب الآخر.

وعندما نتأمّل كلمات الغزالي وابن عربي نلحظ أنّ المقاطع المفصلية في بحوثهما مأخوذة من روايات أهل البيت عليهم السلام، وقد يستعملان نفس العبائر في كثير من الأحيان، ولذا خالفا الجمهور في التنظير لمتبنّياتهما الكلامية مع وجود تحفّظات على كثير ممّا ذهبا إليه.

كما ذكر العلّامة في مقالات تأسيسية في إثبات الهداية الإيصالية للإمام في كثير من الآيات، من قبيل: «فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ» «۲»

من أنّ الإمام يشهد أعمال أُمّته وهو واضح في الهداية الإيصالية، بل تدلّ على وجود المنظومة

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۸۱

الهرمية، ومن قبيل «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» «۱»

الدالّ على أنّ دور الهادي هو الهداية الإيصالية، ومن قبيل الروايات الدالّة على أنّ الإمام يحضر على الصراط في الحشر والنشر.

ويوافق هذا اضطراب الأُطروحة الصوفية في الإمامة والولاية، مع ضمور ما انتهوا إليه بالقياس إلى ما ورد في الروايات ممّا يشفّ عن أنّهم ليسوا أصحاب النظرية.

ولابدّ من التنبه إلى أنّ واحدة من ألوان الاختراق الفكري هي مسخ المفاهيم عن حقيقتها واستبدالها بمحتوى آخر، ويأخذ هذا اللون

من الاـختراق طابع الثبـات فى الذهنيـة العامّـة فى بعض حالاته، فتقع الأمّـة فى شـرك التحريف من دون أن تشـعر؛ وذلك لأنّ عملية المسـخ لم تأت معلنـة وإنّما متلبّسة بصورة الحقّ، حيث اسـتغلّ القائمون بهذه المهمّة فكر العلاقات بين المعانى والمعانى وبين ألفاظها مع المعانى كـذلك أو وحـدها، بعـد التفاتهم إلى أنّ اللفظ يكتسب حسـناً من معناه الحسن نتيجـة العلقـة الوطيدة بين اللفظ والمعنى، والكناية والاستعارة والمجاز العقلى مرتبط كلّه بهذا المجال الذى ذكرناه، وهو معبّر عن بعد إيجابى فى اللغة.

ولكن البعض قـد يسـتفيد من لفظ محبّب إلى القلوب أو ذى قداسـة وحرمـة لمحبوبيّـة أو حرمة محتواه، بتفريغه من محتواه واسـتبدال المعانى بمعانى أُخر، فضـلًا عن تقنيع المعانى بألفاظ أُخرى ووضع محتوى جديـد له لا يمتّ إلى الـدين بصـلة، كاسـتعمال العدالة فى الظلم الخاصّ، ومن ثمّ قيل: من أجل تحريف الدين يكفى مسخ المعانى دون التلاعب بالألفاظ «۲».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۸۲

كما يمكن أن يكون ذلك واحـدة من حِكَم ومبرّرات حرمـة التعرّب بعد الهجرة، وهو يشـمل استيطان بلاد الكفر وما يسـمّى بالمهجر مطلقاً، وهو الوقوع فى عملية مسخ فى محتوى الدين. وعلى هذا الأساس كانت أوّل مهمّة لابدّ أن ينجزها الباحث هى التأكّد من ضبط معنى اللفظ قبل أن يدخل فى التفاصيل.

وواحـدة من الألفاظ التى تعرّضت لهـذا النوع من المسـخ للمعنى كلمـة الباطن و (الغيب)، حيث أصـبحت تعبّر عن اتّجاه منحرف فاقد للشرعية، فوصمت اللفظتين بهذا الطابع السلبى، ومن هنا فإنّ فكرة البطن فى الفكر الشيعى وإن كانت حقيقة لكون أئمّة أهل البيت هم المطّلعين على اللوح المحفوظ والكتـاب المبين والكتـاب المكنون، ولكن بـالمعنى الـذى مرّ، تحديـده مع العلاقـة التى ألفتنا إليها بين البطن والظهر.

الفائدة الرابعة ...: ص: ۴۸۲

إنّ القضايا التى تعرّض لها موسـى مع الخضـر قد وقعت بنفسـها له من قبل، فوضع أُمّه له فى اليم يشـبه خرق السـفينة من جهة تعرّضها للغرق ولم تغرق..

وقتله للقبطى وهو لم يكن مقصوداً يشـبه قتل الخضـر للغلام، واستسقائه لبنات شعيب وعدم أخذه الأجرة مع جوعه وضناه الشديد على ذلك كإصلاح الحائط

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۸۳

من دون أخذ الأجرة مع جوعهما. فهذه الأُمور الثلاثة التى حصـلت للخضـر كانت قد حصلت له مثيلاتها ممّا يكشف عن موازاة بين ما وقع لكلّ منهما.

وهـذا مصـداق لما قيل فى بحوث المعرفة من أنّ كلّ إنسان فى كلّ حادثة تقع له تكون مورداً لاسـتغرابه قد وقعت له حادثة شبيهة لها من قبل ولم يستغرب منها؛ لأنّه كان عارفاً بأسبابها آنذاك، ولكنّه غفل عنها عند الاستغراب الآن، بل كلّ ما سيقع للإنسان فى مستقبل أيامه وفى البرزخ وعرصات يوم القيامة كلّها يندرج فى قوله تعالى: «هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا» «۱».

وقد ظهرت تفسيرات متعددة لهذه الموازاة:

أوّلها: تفسير أهل المعنى والذوق: أن يُرى اللّه تعالى عباده أنّ سرّ القدرة هو تكرّر ما يجرى فى السابق على أساس وحكمة.

وثانيها: تفسير المفسّـرين: لأجل إعلام موسـى أنّ علمه محدود وأنّ الإحاطة الكلّية محجوبة عنه. وهذا التفسير مقبول على شرط أن لا يتنافى مع العصمة.

ولكن كلا التفسيرين ناقصان، ومن ثمّ نقدّم تفسيراً ثالثاً مقتبساً من القرآن متمّماً لهما وهو:

إنّ هناك تطابقاً بين عالم القضاء والقدر والإرادات التكوينية، أى بين السنن الكونية الإلهية، وبين الشريعة بحسب الظاهر، وأنّهما جميعاً تسعيان لغاية واحدة ولا تتخلّف فى الجميع.

ومن ثمّ يفهم قوله تعالى: «يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ» «۲»

وقوله تعالى: «وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» «۳»

،

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۸۴

ورتّب على ذلك ما فى قوله تعالى: «لَايَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّيءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» «۱»

. إذ يتصوّر هؤلاء أنّهم نقضوا إقامة الشريعة الظاهرة بمكرهم ودسائسهم، فأجابهم القرآن بأنّ عملهم هذا وإن كان رأس فتنة الشرّ ومكرهم تكاد تزول الجبال منه كما هو الحال فى شر إبليس، إلّاأنّه فى مجموع نظام الخلقة يصبّ فى تحقيق أغراض الشريعة الظاهرة من دون أن يشعروا، إذ الإرادات التكوينية تأخذ مجالها نحو غايتها، وهى فى نفسها غاية الشريعة بحسب الدرجتين، وهذا لا يعنى نفى شرّية عملهم ولا- نفى شرّية إبليس ولا- مشروعيته، إلّاأنّ البارى تعالى يوظّفه فى منظومة الخير كما هو الحال فى العقرب والأفعى والذئب.

وهذا العالم هو عالم القضاء القدر والإرادات التكوينية قد يعبّر عنه بعالم الملائكة كما فى لغة القرآن، وقد يعبّر عنه بعالم العقول والنفوس الكلّية كما فى لغة الاصطلاح الفلسفى، حيث جعل العقل الأخير والعقول التى قبله تعبيراً عن القضاء، والنفس الكلّية تعبيراً عن لوح القدر، وقد يعبّر عنه بعالم الأنوار والأرواح والنفوس، مع مغايرة الثالث للثانى بأنّه أدنى درجة، كما استقرّ عليه الاصطلاح عند أهل المعرفة، أخذاً له من الشرع وهو عالم الولاية.

وهذا العالم ذو درجات متسلسلة تكويناً وقد عبّر عنه الفلاسفة بالنظام العلىّ والعلمى ونظام الوجوب والعلم، مع استثناء لوح القدر حيث لا يكون مبرماً.

وقد لوحظ على الحكماء بأنّ فهمهم وإحاطتهم بهذه العوالم محدودة، ومن ثمّ لم يعكسوا لنا إلّاصورة نظام جامد يفتقد الحياة، ومن ثمّ لم يتفاعل الناس معهم كما تفاعل مع الأنبياء والأوصياء ومن بعدهم أهل المعنى، حيث قدّموا صورة مفعمة بالحياة لتلك العوالم، وأعطوا صورة عنها بأنّها موجودات حية مختارة، مع

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۸۵

حفظ الفارق أيضاً بين تصوير العرفان والدين، فى حين لم يتمكّن الحكماء إلّا بتقديم كلّيات تؤمن حالة من المعرفة من بعيد لا أكثر. والمتكلّم اعتمد على الحسن والقبح وفيه حيوية العقل العملى، ومن ثمّ كان واحداً من امتيازاته.

وبعبارة أُخرى: إنّ الفلاسفة وإن قبلوا أنّ الملائكة موجودات حيّة مختارة، ولكنّهم فى الوقت نفسه قالوا بأنّها أسباب تكوينية لا تتخلّف، مع تركيزهم على هذه الزاوية فى عموم كلماتهم، ومن ثمّ فسّروا الأمر فى: «لَايَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ» «۱»

و «هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» «۲»

والأمر بالسجود لآدم، بأنّها ليست أمراً اصطلاحياً، وإنّما بالأسباب التكوينية التى لا تتخلّف، وهى لفتة صحيحة وغير صحيحة بمعنى آخر:

فهى صحيحة: من جهة أنّه ليس هناك أوامر اعتبارية وإنشاءات وشريعة ظاهرة.

وهى غير صحيحة: من جهة أنّها أوامر حقيقية، فلا مبرّر لتأويلها بالسبب الموهم لانعدام الاختيار وإن كان الفلاسفة لا ينفون الاختيار، وإنّما هى شريعة كونية فى الإرادات الإلهية التكوينية، وقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ حكم اللّه فى أهل السماء والأرض واحد» «۳»

، فهم مختارون حقيقة، وإمكان المخالفة موجودة وباب التكامل مفتوح، فقد ورد أنّهم يزدادون بعبادتهم لربّهم علماً.

نعم: المخالفة لا ـ تكون بالمعصية؛ فإنّ القرآن صريح في أنّهم لا ـ يعصون، كما أنّهم لم يتوفّروا على داعي المعصية- كما جاء في الحديث الشهير- وهي الشهوة

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۸۶

والغرائز الحيوانية، وإنّما تتحقّق المخالفة بترك الأولى الناشئ من محدودية العلم بسبب محدودية وجودهم، فيقعون في مخالفة الواقع الأوّلي.

وتصوير إمكان المخالفة في عالم النفوس الكليّة أوضح، حيث إنّها تحتاج إلى تأمّل وروية في أخذ قرار العلم، بالإضافة إلى محدودية الوجود واختلافها في درجة العلم مع الملائكة التي من سنخ العقول.

وبهذا العرض يمكن أن نفهم اعتراضهم (أتجعل فيها)، وقضية فطرس وعشرات الروايات التي يظهر منها تخلّف الملائكة عن الصواب، لكن بنحو ترك الأولى لا المعصية، بل إنّ الموجود كلّما تجرّد كلّما كان أقوى وجوداً وصفة ومنها الاختيار والحياة، فالملائكة أشدّ اختياراً وحياةً، ومع تصوير القدرة البشرية لابدّ أن تكون هذه القدرة موجودة هناك وبنحوٍ أرقى وأشدّ.

وبعد كلّ هذا يتّضح أنّ فكرة الأمر والنهي متصوّرة في عالم الملائكة بشقّيه العقلي والنفسي، فلا داعي للتأمّل، بل بهذا العرض يتبين الوساطة في الفيض، وفي قوس النزول أيضاً علّة اختيارية، ما به الوجود لا ـ ما منه الوجود؛ فإنّه خاصّ به تعالى. وقد قرّر ذلك في مباحث الفلسفة أيضاً، إلّاأنّ نمط البحث العقلي النظري لا يترقّى في تصويره إلى بيان أنّ نظام الأسباب في حين كونه نظام وجوب؛ فهو بأفعال اختيارية تنفيذاً للأمر الإلهي.

ويتّضح أنّ المطلب الذي أوقع البحث العقلي في التقريب الناقص للموضوع وإلى حدّ قد ينعكس منه الجبر وأنّ القضية ذات نظام ذاتي لا يمكن الخروج عنه، نظير ما قالته اليهود من أنّ يد اللّه مغلولة، هو اعتمادهم على لغة العقل وحده منفصلًا عن النقل.

والمؤسف أنّ البعض لم يرض بالنقلة الإيجابية التي خطاها صدر المتألّهين في حكمته حيث طعّمها بالقرآن والسنّة، آخذاً عليه أنّه خروج عن منهج البحث

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۸۷

الفلسفي الذي يتطلّب التمحّض في العقليات.

ولا ـ نقصد بذلك التفكيك في العمل بالنقل بمعزل عن العقل، وأنّما الغرض هو التنبيه على عدم الجمود على القواعد الفلسفية والعرفانية والكلامية مع ضرورة الخوض فيها، وأنّها بدونها تكون عملية التفقّه في العقائد سطحية، لكن اللازم الترقّي بالتوغّل أكثر في روايات أهل البيت لاكتشاف المعارف التي قصرت المناهج عن الوصول إليها، مع أنّها مدلّلة بنكات بينة في الروايات، لكن لم يحصل التنبّه إليها في العلوم العقلية، بل جملة كثيرة مترامية من المسائل لم تعنون في البحوث العقلية.

وبعد كلّ هذا، اتّضح نظام عالم الملائكة وأنّه مختار ومتكامل ومعصوم، ووقوع المخالفة لإرادة المولى بنحو ترك الأولى بسبب الجهل الممكن تلافيه، ومن ثمّ أمكن تعقّل الأمر والنهي الحقيقيين فيه، وأنّه لا ـ يختلف عن البشر إلّافي قضية الشهوة والغرائز، ويشترك معه في باقي الخصوصيات. وهذا ما يستفاد من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في بيان أمراللّه الملائكة بالسجود لآدم وإباء ابليس: «فمن ذا بعد إبليس يَسلَمُ على اللّه بمثل معصيته؟ كلّا، ما كان اللّه سبحانه ليدخل الجنّة بشراً بأمر أخرج به منها ملكاً، إنّ حُكمَه في أهل السماء وأهل الأرض لواحد، وما بين اللّه وبين أحد من خلقه هوادة في إباحة حِمىً حرّمه على العالمين» «۱» فصريح كلامه عليه السلام أنّ الأحكام الإلهية بحسب دائرة الدين واحدة لأهل النشأة الأرضية والنشآت الأُخرى، فدين اللّه واحد في العوامل وليس يخصّص بدار الدنيا، وكلامه عليه السلام يشير إلى قوله تعالى: «أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا» «۲».

الامامة الالهية(٥)، ج٣، ص: ۴۸۸

ومن ثمّ نقول: إنّ هذا النظام الملائكى قد كلّف بشريعة مطابقة لشريعة السنن الإلهية الكونية والظاهرة، بعد التذكير بأنّنا قد انتهينا من تصوير الشريعتين الظاهرة والكونية فى نظام التكوين، بأنّها شريعة واحدة والوسيلة فى التلقّى والتطبيق مختلفة، بيان ذلك:

إنّ الشريعة الظاهرة عبارة عن صفحة نازلة قد دوّن فيها كلّ ما فى عالم التكوين فى قوس الصعود والنزول ونشأة الدنيا وهى الواقعة بين القوسين، نهاية الأوّل وبداية الثانى، وبهذا التصوير يفهم قوله تعالى: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ» «۱»

، فإنّه يدلّ بوضوح على عدم وجود شرعة أجنبية عن شرعة الظاهر.

وبهذا نصل إلى نتيجة وهى: إنّ القضايا التكوينية التى واجهها موسى قبل لقائه بالخضر المشابهة للقضايا التى شاهدها مع الخضر، أيضاً مطابقة لشريعة الظاهر بنفس البيان، سوى أنّ القضايا التى واجهها موسى أوّلًا حديث ضمن المسار التكوينى، والتى واجهها ثانياً مع الخضر حدثت على أساس الشريعة الكونية.

الفائدة الخامسة ...: ص: ۴۸۸

إنّ الأئمّة عليهم السلام يطبّقون الشريعة الكونية فى السنّة الإلهية التكوينية ويعملون بموازينها جنباً إلى جنب عملهم بالشريعة بدرجة الظاهرة.

وبتعبير آخر: إنّ الأئمّة فى تطبيقهم للشريعة الظاهرة يستخدمون كلتا الوسيلتين: العلم اللدنى والعلم الحسّى، ويشهد لذلك تعليلهم لبعض القضايا بعلم القضاء والقدر، مثل: «شاء اللَّه أن يراهنّ سبايا».

وشاهد آخر: إقدامهم على ما يعلمون، كالإقدام على القتل، فإنّ تفسيره

الامامة الالهية(٥)، ج٣، ص: ۴۸۹

الصحيح هو العلم اللدنى، حيث كان استشهادهم بعد إجراء قانون التراحم بين الملاكات الكاملة أولى «۱».

وظهر أيضاً: أنّ مهمّة الهداية الإيصالية لا تخصّ الملائكة- كما يظهر ذلك من العامّة- بل تعمّ قسماً من البشر الذين يتمتّعون بمواصفات خاصّة، بل يظهر من القرآن أنّهم أكمل من الملائكة..

وظهر كذلك أنّ الإمامة غاية النبوة وأنّ الهداية الإيصالية غاية الهداية الإرائية.

وهذه النكتة هى المحور الأصلى فى القصّة، بقرينة أسى النبى الذى ورد فى أوّل السورة: «لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ» «۲»

، فكانت قصّة الخضر وغيرها لتطمين النبىّ صلى الله عليه و آله بأنّ الهداية الإيصالية موجودة وبواسطتها ستتحقّق الأغراض المجموعية والفردية للشريعة الظاهرة.

فإنّ الإرادة الإلهية لمّا كانت تعنى بالتحفّظ على أغراض الشريعة الكلّية فى الجزئيات التفصيلية بالنسبة إلى عموم المجتمع، وبالأغراض التى تعدّ استراتيجية بالنسبة إلى الشريعة الظاهرة، كما نلحظ ذلك فى قضية الخضر، فإنّه يدلّ بالأولوية

الامامة الالهية(٥)، ج٣، ص: ۴۹۰

على أنّ الإرادة الإلهية والهداية الإيصالية لا تهمل ما كان بالغ الأهمّية فى الشريعة الظاهرة كالشؤون المرتبطة بالدولة والحكم وهداية المجموع.

الخلاصة: استعراض لأهمّ المحاور التى وردت فى هذه الآيات الكريمة:

المحور الأوّل: وجود تشكيلة من أولياء اللَّه الذين اختارهم اللَّه حججاً على عباده يقومون بدور وظّفوا له ومن وراء الستار، وقد جاء فى سورة الكهف «۱» ذكر مواصفاتهم.

المحور الثانى: إنّ الإمامة غاية النبوّة، وقد جاءت القصّة لتؤكّد هذا الأمر وطمأنة للنبىّ صلى الله عليه و آله بأنّ الهداية الإيصالية ستتكفّل تحقيق أغراض الشريعة الظاهرة والهداية الإرائية التى قام بها الرسول الأعظم على أكمل وجه.

المحور الثالث: هناك قسم آخر من الحجج وراء الرسالة والنبوّة والإمامة، والذى تمثّله الزهراء عليها السلام ومريم عليها السلام والخضر عليه السلام مع حفظ الفارق، وقد أشارت الروايات «۲» إلى هذا القسم.

المحور الرابع: وجود شريعتين ظاهرة وكونية فى الإرادات ومن دون بينونة بينهما.

المحور الخامس: الملاك والحكم فى الشريعتين أو درجتى الشريعة واحد، إنّما الاختلاف فى وسيلة الإحراز والإنفاذ.

المحور السادس: التزاحم الملاكى ظاهرة غالبة فى الشريعة الكونية، وحلّه هو ترجيح أحد الملاكين الأهم، يتمّ بواسطة العلم اللدنى بعد مقايسة بين الملاكين ولكن لا بحدود ضيقة مقطعية.

المحور السابع: إنّ الملائكة فى قوس النزول مخاطبون ومكلّفون بالدين

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۹۱

والشريعة فى السنن والإرادات الإلهية الكونية، بعد أن كانت لهم إرادة واختيار وتكامل ممّا يمكن به تعقّل التكليف والطاعة والمخالفة، مع قبول عصمتهم وأنهم لا يعصون اللَّه ما أمرهم، مع الالتفات إلى تبعيتهم فى الدين للأنبياء والرسل الذين لهم مقام الإمامة وخلافة اللَّه فى الأرض، كما أسجدهم البارى تعالى لآدم والذى يهدف إلى خضوعهم وتبعيتهم لخليفة اللَّه فى أرضه، هذا بعد أن كانت شرائع الأنبياء مشتملة على قوس النزول والصعود والفروع. وبعبارة أُخرى: أنّ الشرائع التى بُعث بها الأنبياء وإن كانت مختصّة بأهل الأرض من الإنس والجنّ لكنّ الدين المتّحد بين الأنبياء فهو عامّ لأهل السماء والملائكة، كما أنّه عامّ لكلّ النشآت والخلائق.

المحور الثامن: ولاية كلّ نبىّ ورسول مقام أرفع من نبوّته وإمامته، ولكنّ النبىّ أرفع مقاماً من الولىّ الحجّة المعاصر له؛ حيث كان الأوّل محيطاً بالإرادات الكلّية والثانى بالجزئية، فهو تابع للأوّل.

المحور التاسع: إلفتنا لأقسام التأويل وفرق الباطن عن الظاهر وفرق الشريعة الكونية عن الظاهر، ولمّا كان الأوّل مأخوذاً فيه الانتهاء والرجوع أمكن أن نضع إصبعنا على الجامع بين الأقسام: إنّ كلّ عالم سابق له تأويله فى اللاحق.

ونضيف: أنّ هناك عكس التأويل، فعالم الذرّ والميثاق يفسّران العديد من الظواهر التى تجرى لأشخاص فى النشأة، وبتعبير أوضح: كما أنّ النشأة اللاحقة تأويل للسابقة، كذا السابقة لها نوع تفسير للّاحقة، وهذا هو الذى أشارت له أخبار الطينة: «لو علم الناس كيف خلق اللَّه تبارك وتعالى هذا الخلق لم يلم أحدٌ أحداً» «... ۱»

وكذا روايات الذرّ والميثاق.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۹۲

المحور العاشر: إنّ الهداية الإيصالية هداية المجموع والجميع؛ فإنّها كما تعنى بالأغراض المرتبطة بالمجموع البشرى كذا تعنى بأغراض كلّ فرد بل حتّى الواسطة.

النموذج الثانى القرآنى: قصّة ذى القرنين ... ص: ۴۹۲

سيتمّ الإلفات إلى المحاور التالية:

۱- مرتبة ذى القرنين.

۲- القوّة التى مُنحت له.

۳- التدبير الإلهى لجزئيات وتفاصيل المجتمع البشرى فى قصّة ذى القرنين.

۴- ربط القصّة بالمحور الأصلی فی سورة الکهف.

«وَیَسْأَلُونَکَ»، ظاهر فی أنّ قصّة ذی القرنین شائعة لدی الأقوام، وأنّ الرجل وقصّته حقیقة تاریخیة عاشتها البشریة.

«سَأَتْلُوا عَلَیْکُمْ مِنْهُ ذِکْرًا»، ظاهر فی أنّ القرآن لا یروی کلّ تفاصیل القصّة، وإنّما یقتصر علی بعض ملامحها.

«إِنَّا مَکَّنَّا» تعریف بشخصیّة الرجل کما فی قصّة الخضر حیث ابتدأت بالتعریف به، وهذا التمکین هبة وأنّ التمکین هاهنا تمکین لدنی. والتمکین لا- یطلق علی الملک الیسیر وإنّما علی الملک الواسع العظیم، ومن ثمّ ذکر ذلک فی سورة یوسف والآیات الواردة فی نشأة المهدی علیه السلام فی جانب الخیر، وفی عاد ونمرود فی جانب الشرّ.

«وَآتَیْنَاهُ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ سَبَبًا».

لا سبب کلّ شیء، ولکن مع کون (من) تبعیضیة إلّاأنّها دخلت علی (کلّ شیء)، ومن ثمّ شکّل هذا الإعطاء میزة وخصوصیة لذی القرنین؛ لأنّ (کلّ) تفید

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۴۹۳

العموم، ومدخولها فی غایة الإبهام والعمومیة.

«سَبَبًا» لم یستعمل القرآن فی غیر ذی القرنین، نعم ذکرت منفیة عن غیره، «فَلْیَرْتَقُوا فِی الْأَسْبَابِ» «۱»

، «لَعَلِّی أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ» «۲»

، «وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ» «۳»

. والسبب فی اللغة: کلّ شیء یقتدر به علی شیء آخر، سوی أنّه فی القرآن استعمل فی الوسیلة غیر المتعارفة.

وهذا الإعطاء حبوة إلهیة ومنحة وهی القدرة اللدنیة، بقرینة أنّه لم یذکر لغیره، وأنّه أردف الإتیان بالسبب، وأنّ ذا القرنین من الأولیاء الحجج کما سیأتی، وأنّه قد استعملت فیه نفس التعبیرات المستعملة فی سلیمان.

ثمّ إنّ المراد من السبب فی عالمنا- کما یظهر من الروایات وجاء فی کلمات الحکماء والمتکلّمین- المعدّ، لا سیما فی عالم المادّة، لا الفاعل ومعطی الوجود؛ فإنّه منحصر به تعالی، فهو ما منه الوجود وغیره ما به الوجود.

ویترتّب علی ذلک أنّ کلّ المعادلات والقوانین فی هذا العالم لا ضرورة بتّیة فیها بعد أن لم تکن الظواهر من الأسباب سوی معدّات تعدّ القابل وتهیئه لاستقبال الفیض الإلهی، بل لیس معدّات عالم الطبیعة هی تمام المعدّات، بل توجد معدّات أُخری ملکوتیة فضلًا عن الأسباب الفاعلیة، لا سیما أنّ بعض الأسماء الإلهیة تقتضی بعض المعدّات التی لا نعلم بها.

وبه یمکن تفسیر جملة من التخلّفات مثل: «قُلْنَا یَا نَارُ کُونِی بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَی إِبْرَاهِیمَ» «۴»

، «وَآتَیْنَاهُ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ..».

والواو فیها استئنافیة، فیکون المفاد أنّه بالإضافة إلی تمکینه- الذی قید (فی

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۴۹۴

الأرض)- الإیتاء وهو المنسجم مع عمومیة التعبیر الذی سبقت الإشارة إلیه، وهو الظاهر من الروایات حیث ذکرت أنّها من أسباب السماوات والأرض، بل الظاهر من الروایات أنّه أوتی ملکوت السماوات والأرض، حیث جاء التعبیر ب «کشط له».

«فَأَتْبَعَ سَبَبًا» من تلک الأسباب.

«حَتَّی إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ» سار بالأسباب التی زوّد بها، وقد ذکرت الروایات أنّه کان یسیر فی فتوحاته بالزئیر. (مغرب الشمس) إشارة إلی أقاصی الأرض، وقد یقال بأنّ رحلته فضائیة فی السماء کما مرّ إشارة الروایات إلی أنّ الأسباب التی أوتیها سماویة وأرضیة وأنّه «کشط له».

«قُلْنَا یَا ذَا الْقَرْنَیْنِ»، خطاب مباشر منه تعالی لذی القرنین، ومن ثمّ قیل إنّه نبیّ، ولکنّه خلاف ظاهر القرآن حیث لم یصفه بالنبوّة ولا

بالبعثة والرسالة، مع أنّه فى مقام الإجابة عن التساؤل عن الغموض فى حال ذى القرنين.

وهـذا هو الظاهر من الروايات أنّه محـدّث، كما يلاحظ ذلك فى أجوبـة الأئمّـة عليهم السـلام عنـدما كانوا يُسألون عن علمهم فكانت الإجابـة أنّه كصاحب موسى وذى القرنين، أى ليست علـومهم بنبوّة، ولكنّه علم لـدنى معصوم، والوحى المباشـر لاـ يعنى النبوّة وإنّما التشـريف والحظوة فى الاصطفاء، نظير: «يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ* وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا مِنَ الصَّالِحِينَ* قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» «۱».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۹۵

«إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا»، تـدلّ على أنّ الحاكميـة- القيادة السياسيـة والقوّة التنفيذيـة- أوّلًا وبالـذات هى للّه‌تعالى، وكلّ حاكم عداه سواء كان نبياً أو وصياً أم غيرهما من الحجج المصطفين، فحاكميته فى طول حاكمية اللّه تعالى.

حيث يظهر من الآية أنّ هذا التخيير الإجرائى والتدبير السياسـى التفصـيلى منحه اللّه لذى القرنين، ممّا يدلّل على أنّ الحكومة السياسـية التنفيذية بيده تعالى، ولم تفوّض للبشـر بمعزل عن اللّه كما عليه أهل سـنّة الخلافة وجماعة السـلطان. والقيادة السياسـية شعبة من شعب الهداية الإيصالية كما سيأتى توضيحه.

«حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ»، والحديث الحديث، مع دلالتها على أنّ ذا القرنين كان معنياً بتدبير عدّة مجتمعات وفى مجالات متعدّدة.

«لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا»، ممّا يكشف أنّهم كانوا فى تخلّف مـدنى حتّى على مستوى الضـروريات والأولويات، وقـد كُلّف ذو القرنين برفع هذا التخلّف.

والروايات أيضاً تدلّ على أنّ من مهام الإمام والولى الحجّة هو رفع هذا النمط من التخلّف، كما فى تصدّى الإمام الباقر عليه السلام فى حساب المسافة فى قضـية البريد وصكّ النقود، وتصدّى أئمّة أهل البيت لتأسـيس جملة من العلوم، كما هو شأن الأنبياء السابقين حيث جاءوا للبشرية بأُسس العلوم «۱»، وهذا مقتضى العناية الإلهية بعد أن كانت لضروريات العيش مدخلية فى التكامل الروحى للأُمّة.

«كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا» يدلّ على إحاطة الربّ تعالى بتفاصـيل ما يجرى وأنّها محور عنايته واهتمامه، فكان كلّ ما يجرى تحت نظره.

وبعد اتّضاح الصورة فى ملامح ذى القرنين يمكن أن نخرج ببعض النتائج التالية، وهى:

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۹۶

أوّلًا: إنّ تمكينه فى الأرض لأجل استصلاح المجتمعات البشرية وإيصالها إلى الكمال المنشود ببناء حضارتهم ومدنيتهم بالقدر اللازم، وإرساء العدل وإفشاء الصلاح ورفع الظلم عنه، كما يبدو ذلك من النماذج التى تعرّض لها القرآن من حياته.

والقرآن كما ذكرنا سابقاً يتناول التعريف بالحياة الشخصية للرجالات والأُمم السابقة كسنن إلهية، ويركّز على المحاور ذات العبرة التى تساهم فى رسم العقيدة والشريعة، والروايات حدّثتنا عن جملة من الأبعاد الشخصية لهؤلاء.

ومـا ذكر من ملـك ذى القرنين الـذى مُكّن منه مع النماذج التدبيريـة التى قام بها، تلحظ أنّها وثيقـة الصـلة فى سورة الكهف بالمحور الأصـلى وهى طمأنينة الرسول بأنّ الهداية الإيصالية وهى مقام الإمامة وأنّها هى التى سـتحقّق أهداف الرسالة والهداية الإرائية التى هى مقام النبوّة.

«لَايَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا»، تخلّفهم أكثر من القوم الذين التقى بهم سابقاً.

ثانياً: «فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ»، مع أنّ ذا القرنين أوتى كلّ ما سـبق وأنّه منصوب من قبل اللّه تعالى وفى الوقت الـذى زوّد بتلك القـدرة اللدنية وقـد ملك فيها الـدنيا، إلّا أنّه يطلب الإعانة، ممّا يعنى أنّ الغرض الإلهى لا يتحقّق بالإلجاء، وإنّما لابدّ للأُمّة أن تنهض بمسؤوليتها، فى الوقت الذى منّ اللّه عليها بالهداية الإيصالية أى بنصب الإمام لهم.

ومن هنا أمكن أن نفهم توجيه الخطاب بالحكم ووظائف الدولة للأمّة، وأنّه لا يعنى أنّ الولاية بيد الأمّة كما فهمه البعض، كما لا يعنى أنّ الأُمّة مرفوع عنها المسؤولية تماماً فى هذا المجال، وإنّما تعنى أنّ هناك مسؤولية ملقاة على عاتق الأُمّة تجاه الحكم والوالى، وهى الإعانة والتجاوب والطاعة، حيث لم تكن سنة اللّه الإلجاء وكن فيكون فى نشأة الدنيا، وبالتالى اليد الواحدة- يد الوالى- لا

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۹۷

تصفّق كما فى المثل، فنصب الإمام من اللّه للناس لا يعنى إسقاط التكليف عن الأُمّة بنصرته وتمكينه وإقداره من قبلهم، فهناك تكليف مُلقى على عاتق الإمام كما أنّ هناك تكليف مُلقى على عاتق المأمومين وهم الأُمّة.

ثمّ تستعرض الآيات تفصيل بناء السدّ للدلالة على أنّ الأولياء يعملون بالأسباب الظاهرية، على العكس من توقّع الناس أن يكون سيرة ولى اللّه فيهم كلّها بالإعجاز وخرق الأسباب.

«رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّى» فى حال أنّ بناء السدّ كان من خلال الأسباب الطبيعية، ولكن لم تكن تلك الأسباب مكتشفة آنذاك، ومن ثمّ كان رحمة، حيث اطّلعوا على بعض أسرار الطبيعة.

فتلخّص: أوّلًا: إنّ هناك قدرة لدنية، زوّد بها ذو القرنين، وملكاً عريضاً، ربما كان أوسع من ملك سليمان.

وثانياً: وكان برنامجه استصلاح الأقوام البشرية المغلوبة والمتخلّفة والمتناحرة، فأفشى العدل فى قوم، وهيّأ ضروريات المدنية لآخرين، وبنى السدّ لثالث.

وثالثاً: وبأسباب طبيعية كشفت لهم.

ورابعاً: مع نفى الإلجاء وحفظ دور الأُمّة ومسؤوليتها.

وقد ألفت القرآن إلى كلّ هذا فى حياة هذا الولى؛ لرفع أسى النبىّ صلى الله عليه و آله وطمأنته بأنّ الأغراض التى على أساسها كان التشريع ستحقّق من خلال الهداية الأمرية فى إمامة الأُمّة، كما قال تعالى: «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ» «۱».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۹۸

النموذج الثالث القرآنى: قصة أصحاب الكهف ... ص: ۴۹۸

وهذه السورة متميزة ببحث الإمامة بنحو مركّز جدّاً، ولو سمّيت بسورة الإمامة لكان حرياً، لا سيما وأنّه ذكر نموذج رابع فيها وهو استخلاف آدم كخليفة للّهفى الأرض وإطواع جميع الملائكة له، وهذه الواقعة برمتها عنوان كبير لمعتقد الإمامة، فسلسلة البحث فى كلّ هذه السورة يدور حول الوصول إلى أهداف الرسالة وغاياتها بتوسّط الإمامة، وأصحاب الكهف وإن لم يكونوا حججاً مصطفين، إلّاأنّ الحديث عنهم له صلة بالإمامة من جهة صلة هدايتهم بالهداية الإيصالية، وهى الإمامة عبر قناة الروح لا عبر قناة الهداية الإرائية وهى النبوّة الظاهرة والسماع بالحسّ.

«إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ»، بيان أنّ عالمنا عالم الإمتحان، فلا إلجاء ولا جبر كما فى قوله تعالى: «لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ» «۱»

، وإنّما اختيار واختبار، كما فى قوله تعالى: «الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ» «۲».

وقد توسّطت هذه الآية بين آية «لَعَلَّكَ بَاخِعٌ..» وقصّة الكهف؛ للتنويه على أنّ الهداية الإيصالية وإن كانت متحقّقة فى إمامة الإمام إلّاأنّ المسؤولية ما زالت قائمة على الأُمّة، ولابدّ أن تخطو باختيارها نحو الكمال ومن اللّه التسديد والتأييد.

ثمّ إنّ سورة أهل الكهف مكّية نزلت إثر محاولة قريش إحراج النبىّ صلى الله عليه و آله عندما استعانت بثلاثة أرسلتهم إلى نجران للتوفّر على مسائل معقّدة يعجز عن الإجابة عليها، فكانت أهل الكهف وصاحب موسى وذو القرنين. وقد قال علماء نصارى ويهود

نجران: إنّ محمّداً إن أجاب عنها فهو نبيّ وإلّا فلا، ثمّ طلبوا سؤاله برابعة إن

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۴۹۹

أجاب عنها فهو ليس بنبيّ، وهو: عن الساعة ومتى هى؟

وتذكر الرواية أنّ الرسول أوعد بالإجابة غداً من دون تعليق وعده على المشيئة الإلهية فحُبس عنه الوحى أربعون يوماً، فاغتمّ وحزن كثيراً، وكذا حزن عمّه أبوطالب عليه السلام حتّى نزل الوحى بالإجابة.

والملفت للنظر ترابط هذه القصص الثلاث فى فكرة الهداية الإيصالية التى هى حقيقة الإمامة، مع أنّ اليهود اختاروها على أساس من المسائل الصعبة لا أكثر.

«أَمْ حَسِبْتَ»، لا دلالة فى السورة على أنّ أصحاب الكهف أولياء وحجج، وإنّما هم من القسم الخامس وهو الأولياء غير الحجج، وقد شُرّفوا بمقام أوجب ذكرهم.

«الرَّقِيم» فى الروايات أنّ أسماءهم مرقومة فى لوح من رصاص، رقّمها الملك الكافر الذى كان يريد قتلهم، أو الذى عرفهم بعد إفاقتهم فرقّم أسماءهم على هذا اللوح ووضعه على قبورهم بعد موتهم.

«أَمْ حَسِبْتَ» تدلّ على أمرين:

الأوّل: البعث والمعاد كما سنبين.

والثانى: إنّ الغلبة للّه‌تعالى، وإن أغراضه ستتحقّق، فهؤلاء مجموعة غلبت على أمرها من رواد الباطل وعلى رأسهم الملك آنذاك، إلّاأنّ الدائرة دارت عليهم فانقرضوا وبقيت تلك المجموعة المستضعفة خالدة تشكّل نبراساً للحقّ.

وارتباط هذا البعد بالمحور الأصلى واضح، وأنّه مهما حصل وفعل أهل الباطل، ومهما قويت شوكتهم فلن يعيق تحقّق الغرض الإلهى، فإنّ المغلوب ظاهراً غالب باطناً، أى فى الخفاء والمآل.

ومن ثمّ يفهم السرّ فى ترديد الرأس الشريف المقطوع للحسين عليه السلام المشال على رأس الرمح لهذه الآية المباركة وهو يُطاف به فى بلدان أُمّة الإسلام.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۰۰

والروايات تشير إلى هذا المضمون.

«الْفِتْيَة» أشرنا ويأتى تفصيل أنّ هؤلاء ليسوا من الأولياء الحجج، وقصّتهم معجزة.

ومن ثمّ نفهم أنّ المعجزة ذات طابع الرحمة تكشف عن شرف من تقوم فيهم وعلوّ مقامهم.

هذا فى المعجزة الرحمة، والعكس بالعكس، فالمعجزة العذاب كالقمل والضفادع والدم تعبّر عن ذلّة من قامت فيه المعجزة وخسّتهم.

كما أشرنا إلى أنّ هؤلاء الفتية صاروا عظة وعبرة وقدوة للبشرية، ممّا يؤكّد أنّ مقامهم وإن لم يصل حدّ الحجّية إلّاأنّه مقام رفيع ومكانة مرموقة فى مجال التكامل المعنوى، ومن هنا جاء فى الدعاء: «اللهم إنّى أسألك بكلّ عبد امتدحته فيه»، أى فى القرآن.

ولم يقتصر القرآن فى ذكر هذا النمط من البشر على أصحاب الكهف، وإنّما ذكر آخرين كمؤمن آل فرعون.

«إِذْ أَوَى»، ظاهر فى نوع الإلجاء والاستجارة، ويؤكّد ذلك طلبهم الرحمة الخاصّة من اللّه تعالى، ممّا يكشف عن عمق محنتهم.

«أَيُّ الْحِزْبَيْنِ»، عبّرت عن كلا الطرفين بالحزب، مع أنّ أهل الكهف قلّة جدّاً، ممّا يدلّ على التفخيم، وأنّهم يمثّلون خطّاً هو خطّ الهداية.

«ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ»، النوم نوع من التوفّى كما أشار إليه القرآن الكريم، ونظير البعث الإيقاظ من النوم للتعريف بالأطول بقاءً، والتدليل على أنّ الهداية الإيصالية لا تتخلّف، وهذا هو البعد المرتبط بالمحور الأصلى.

وفى الروايات بيّن هدف بعثة أصحاب الكهف من رقدتهم بأنّه: دحض دعوى الكافرين حيث كانوا ينكرون المعاد، كما يشير إليه

قوله تعالى: «لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۰۱

اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَارَيْبَ فِيهَا» «۱».

«إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ»، هـذه الآيـة تتعرّض لمجمل عقائدهم التوحيدية الرفيعة وحكمتهم العملية، من دون أن توجد دلالة فى الآيات على تعريفهم بواحدة من الديانات المعروفة، ممّا يعنى أنّ إيمانهم هذا بدافع من فطرتهم السليمة.

«وَزِدْنَاهُمْ هُدًى»، وهى هداية خاصّة مُنحوا إياها علاوة على إيمانهم، ممّا يدلّ على رفعة مكانتهم.

«فَأْوُواْ إِلَى الْكَهْفِ» بداية لإنشاء مجتمع توحيدى منفصل ومستقلّ عن مجتمع الكفّار؛ لوجود التقاطع بين المجتمعين، ممّا يفرض وجود دارين: الإيمان والكفر.

«وَتَرَى الشَّمْسَ..»، النوم وما جرى عليهم فى أثنائه أُمور غير اختيارية إلّاأنّها ممزوجة باختيارهم، وبها كانوا آية من آيات اللَّه تعالى.

«مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ..»، لباب القصّة وحلقة الوصل مع المحور الأصلى فى السورة، والهداية من دون قرينة يقصد منها الإيصالية فى قبال النذارة، وذيل الآية قرينة على الإيصالية؛ لظهور الولاية فى ذلك، والإرشاد وإن كان إراءة إلّاأنّه ليس إراءة كلّية كما فى نذارة النبوّة، بل هداية تفصيلية متولّدة من الإرادة الكلّية النبويّة فى التشريع، ومن ثمّ لم يستعمل نعت الإرشاد للنبىّ صلى الله عليه و آله من جهة مقام النبوّة.

ومرّة أُخرى نلفت إلى أنّ محور الخلاف مع العامّة هو أنّهم اقتصروا على ضرورة الإراءة والتنظير من دون الإيصال إلى المطلوب.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۰۲

«لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا»، عناية إضافية حفظاً لهم عن التلف.

«وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا..»، واحدة من الأدلّة القرآنية على مشروعية التقية.

«وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ..»، واحدة من الغايات، وهى- على الظاهر- نصر المؤمنين فى الدين وقدرة البارى تعالى على بعث الأموات.

«وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَارَيْبَ فِيهَا»، غاية أُخرى: وهى المعاد وهو امتداد الهداية الإيصالية، فإنّه يعنى السير إلى اللَّه تعالى واللقاء به، وهو لا يتمّ إلّابواسطة الهداية الإيصالية والإيصال إلى المطلوب.

ومن ثمّ كان المعاد واحداً من الأدلّة على الإمامة، فالآية تدلّ على أنّ الهداية الإيصالية تحقّق وتوفّر بلوغ الغاية فى الدنيا والآخرة.

«لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا..»، فيه تقرير لجواز اتّخاذ المساجد على القبور، وجعله مكاناً إذا كان موجباً للعبرة كأصحاب الكهف، والقرينة على ذلك هى تذكير القرآن بهذا الاقتراح من بين الاقتراحات المطروحة من القوم حول أهل الكهف الذين فارقوا الحياة.

«وَلَا تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا..»، مرتبط بما ذكرناه فى سبب نزول السورة ووعد النبىّ صلى الله عليه و آله إجابة الأسئلة من دون تعليق ذلك على المشيئة.

«اللَّهُ أَعْلَمُ..»، لعلّه ظاهر فى أنّ سنّة اللَّه أن يُبقى الولاية والهداية الإيصالية محاطة بشىء من الغموض و الخفاء، فلا تكون معروفة فى حينها للجميع، كما لا يتمّ التعريف بكلّ جنباتها، خاصّة النوع الأوّل والثانى المتمثّل فى أصحاب الكهف والخضر.

«مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ..»، فهو الذى يتولّى البشر ويهديهم، والولاية مفهوم قد استبطن فيه القدرة، فالإمامة هى نافذية حكم اللَّه من دون إشراك..

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۰۳

«أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ..» للدلالة على بالغية إحاطة اللَّه تعالى بمجريات الأُمور ومقدّراتها على صعيد الأفراد والمجموع البشرى.

وبهذا ينتهى الحديث فى هذه القصّة، وأهمّ ما جاء فيها:

۱- وجود هداية إرائية وإيصالية حتّى فيمن لم يتوفّر على هداية الرسول الظاهر.

۲- وجود قسم من الأولياء وذوى الشأن وراء الوليّ الحجّة، وقد وصل بعضهم إلى مقام ضرب المثل والآيتية والقدرة، كما فى أصحاب الكهف، ولعلّ نظيرهم: «جَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى» «۱».

۳- إنّ المأخوذ فى ماهية الهداية الإيصالية نوع من القدرة والتصرّف التكوينى، ولكن من دون إلجاء، بقرينة مرشداً التى تعنى الهداية الإرائية والتبعية.

۴- إنّ النصرة والظفر فى الدنيا من سنن اللّه التكوينية، ومن ثمّ يستتبّ الأمر أخيراً لحزب اللّه النجباء.

۵- وجود ارتباط وثيق بين الإمامة وبين المعاد، وعلى أساسه يمكن فهم فكرة الشفاعة، الحضور عند الاحتضار، شهادة الأعمال، قسيم الجنّة والنار.

۶- حكمة اللّه اقتضت كتمان بعض زوايا الهداية الإيصالية، ومن ثمّ قد توجب نوعاً من الاستغراب والتعجّب عند من لم يطّلع على الأُمور ويتعامل معها بشكل سطحى، وإلى حدّ قد تصل الحالة إلى تفسير بعض الظواهر بالعبث.

۷- «وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا»، يدلّ على أنّ الذى يحقّق الأغراض هو تعالى، فلا تنحصر القضية حينئذٍ بالهداية الإرائية.

۸- مقتضيات الفطرة هى البنية التحتية للأُصول والفروع.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۰۴

والآيات اللاحقة تحوم حول هذه الأفكار:

أ- غايات اللّه لا مبدّل لها، فلابدّ أنّ تتحقّق: «وَاتْلُ مَا أُوحِيَ..».

ب- الدعوة للتمسّك بالهداية الإرائية والتى هى الخطوة الأُولى فى السير والاهتداء بالهداية الإيصالية: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ..».

ج- أعمال الكفّار هباء وأعمال المؤمن مثمرة وإن استقلّتها الأعين:

«وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا».

د- كلّ سير وسلوك تحت قدرة اللّه جلّ وعلا: «مَثَلُ الْجَنَّةِ».

ه- سلسلة المنظومة الطبيعية ذات غايات: «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا».

و- عدم النظرة المقطعية ودعوة إلى نظرة طولية: «الْمَالُ وَالْبَنُونَ».

«وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ..»، أذكر أيها الرسول استخلاف آدم وقد تقدّم تبيانه فى الفصول السابقة وأنّ ظاهر ألفاظ آياتها كما هو مفاد الروايات هو لأجل تبيان الإمامة، واتّضح فيها أنّ رائد منظومة الهداة فى الإيصال إلى المطلوب هو الإنسان الكامل، وأنّ التدبير فى هذا المجال لا يختصّ بالملائكة كما يتوهّم ذلك أهل سنّة الخلافة وجماعة السلطان. هذا وأنّ سورة الكهف اقتصرت على هذا المقطع من القصّة وهو ذو الارتباط بالمحور الأصلى فى القصّة.

سورة الكهف سورة الإمامة ...: ص: ۵۰۴

إلفاتة: وبعد كلّ ما تقدّم من قصّة أصحاب الكهف، بعد عرض كلّ من قصّتى موسى مع الخضر، وذى القرنين، أصبح من المناسب الإلفات إلى زاوية التناسب بين القصص الثلاث:

حيث يطالعنا القرآن فى سورة الكهف فى القصّة الأُولى على نموذج لم يكن نصيبهم من الهداية الإرائية أكثر من قضاء الفطرة وحكم العقل، وكأنّهم كانوا فى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۰۵

زمن الفترة بين الرسل فلم يوَفّقوا لمعرفة الإمام والوصى الخفى آنذاك، ولكن لم يمنعهم ذلك من الاستجابة لفطرتهم وعقولهم، وإن كانت محدودة بالعمومات والأُسس العامّة الفطرية الأوّلية الإجمالية، فلم يحرموا من الهداية الإيصالية بالقدر الموازى لما عرفوه.

فى حين نلحظ فى القصّة اللاحقة أنّ دائرة ورقعة الهداية الإرائية أوسع من العقلية حيث اقترنت معها هداية تشريعية، فالخضر كان تابعاً لموسى ومتديناً بشريعته، سوى أنّ الهداية الإيصالية كانت خفية وبشكل غير رسمى.

فى الوقت الذى نلحظ أنّ ذا القرنين زُوّد بالهداية الإيصالية الكاملة:

«وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ».

فالأنواع والدرجات التى أَلفتَ إليها القرآن فى الهداية الإرائية الثلاث، وبما أنّ اللَّه بالغ أمره فى من اتّبعها، فتكون الهداية الإيصالية لكلّ درجة متناسبة معها.

وعندما ندرس خطوات الأنبياء نلحظ أنّها متدرّجة بالشكل الذى سلسلته سورة الكهف، حيث إنّ أوّل خطوة يخطوها الرسول فى طريق الدعوة إلى اللَّه بإراءة الأُمور الكلّية الفطرية ثمّ التشريعية فى مرتبة ترافقها الهداية الإيصالية ذات الطابع السرّى غير المعلن، ثمّ تصل الذروة كما نشهده فى قصّة موسى حيث أقام الدولة، وكذا سليمان والنبىّ صلى الله عليه و آله فى بقعة من الأرض، وتُختم جميعاً بدولة المهدى عليه السلام «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ»، والذى كان نموذج ذى القرنين مثالًا له.

ولم يكتف القرآن بذلك كى ينبّهنا أنّ المجتمع البشرى دوماً فى حالة تقلّب وتغيّر فى هذه الأدوار الثلاثة.

ثمّ إنّ الآيات لا تشير إلى انتماء أهل الكهف إلى شريعة خاصّة، وكما فى قوله تعالى: «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيما اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۰۶

بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ» «۱»

، على الفترة لا يعنى خلوّ الأرض من حجّة كما قد يتوهّم خصوصاً من تعبيره بالفاء فى الآية الدالّة على التراخى، وإنّما فى كلّ عصر يوجد شريعة وهداية إيصالية، سوى أنّ هناك فترات يكون فيها المعصوم مخفياً، وإلّا فبم نفسّر نبوّة آدم وكيف نكيفها مع الفترة مع الانسياق للتوهّم؟

وهناك روايات «۲» تدلّ على أنّ الهداية الإرائية موجودة ومتوفّرة، وهى ما يحكم به العقل والفطرة العقلية فى الإنسان وأنّه منجّز وأنّ الإنسان يؤاخذ عليها ويحتجّ بها عليه.

وقصّة أهل الكهف شاهد من بين شواهد كثيرة على أنّ التجاوب مع هذه الهداية الإرائية يوصل إلى الهداية الإيصالية، فلا يحرم التسديد الإلهى فى الوصول إلى الكمالات المنشودة والأغراض التى أراد اللَّه من عبيده تحقيقها.

وللتذكير والإيقاظ: نلفت إلى أنّ أحكام العقل لا تغنى عن الشرع؛ لمحدوديتها وعموميتها ممّا يجعلها بحاجة إلى الشرع فى تنزّلها وتفصّيلها، ومن ثمّ لا نلحظ فى ما حدّثنا القرآن عن معارف أولئك الفتية والتزامهم أكثر من الأُسس العامّة التى وفّرها الرسول الباطن لهم، كالتوحيد وبعض الفروع الواضحة التى لا تخفى على العقل كقبح الكذب، كما أنّ القرآن لم يحدّثنا عن توفّرهم على الهداية الإيصالية أوسع مدى من هدايتهم الإرائية.

النموذج الرابع القرآنى: قصّة طالوت ... ص: ۵۰۶

وتبدأ من آية ۲۴۶ البقرة وتنتهى بآية ۲۵۳.

فى البداية نذكّر مرّة أُخرى: إنّ منهجنا فى التفسير يعتمد على الروايات التى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۰۷

وردت فی ذیل الآیات مفسّرة لها، والتی یصنّف قسم کبیر منها فی حقل التأویل، والآخر لمعالجة الظهور الابتدائی.

وبما أنّ التأویل له صلة بمنصّة الظهور وقد ألفتَتَ الکثیر من الروایات إلی کیفیة ذلک- صرنا فی صدد التعرّف علی الظهور الثانی بتوسّط الظهور الأوّل ببرکة الروایات.

وهناک روایة عن أمیر المؤمنین علیه السلام تلفت إلی أنّ قصّة طالوت التی قصّها القرآن هی لضرب المثل للإمامة، وأنّها فیمن ولمن وممّن تکون.

ونبدأ الحدیث بعرض سردی لقصّة طالوت وتجمیع مفرداتها ثمّ ننتقل إلی دراستها محوریاً.

«أَلَمْ تَرَ إِلَی الْمَلَإِ..»، الملأ لغة: وجوه القوم وأعیانهم، فإنّه بهم تملأ العین، أو مجلس البلد وندوته.

«مِنْ بَنِی إِسْرَائِیلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَی..»، فی الروایات بعده خمسمائة سنة.

«نُقَاتِلْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ..»، جالوت القبطی کما فی الروایات وما یأتی فی الآیات، حیث کان مستعمِراً لبعض أراضی بیت المقدس، ویبدو من الآیة أنّهم کانوا یفتقدون الملک القوی المدبّر.

«لِنَبِیٍّ لَهُمُ..» ظاهر فی أنّه رسول؛ حیث یفترق النبیّ عن الرسول فیما إذا کان قد نبّأ لنفسه أو لأهله، وأمّا إذا کان مبعوثاً لأُمّة فهو رسول، هکذا ورد فی الروایات، ومثله فی الآیات: «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْیَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ» «۱»

، نعم لیس شرطاً فی الرسول أن یکون صاحب شریعة؛ إذ یمکن أن یکون تابعاً لشریعة رسول قبله، والاصطلاح القرآنی فی جملة من استعمالاته

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۰۸

فی القریة والمدینة لیس بالعمران والحضارة المادّیة وإنّما المدنیة والتحضّر بالمعرفة الأدیانیة.

«ابْعَثْ لَنَا مَلِکًا..»، ظاهره فی أنّه مغایر للنبوّة، حیث طلبوه من النبیّ، وأنّه غیر انتخابی، وإنّما مجعول من اللَّه تعالی، وأنّه أرفع منزلة من ذلک النبیّ؛ وإلّا لما أمکن أن یحکم المفضول الفاضل.

ثمّ إنّنا نؤکّد مرّة أُخری علی أنّ الإمامة وإن کانت تستبطن الإیصال وأنّ لطف اللَّه تعالی بالبشر ونعمته علیهم یتمّ بها فهی ضرورة، إلّاأنّها لیست بالإلجاء الإعجازی التکوینی، ومن ثمّ کان علی المجتمع- کما ذکرنا فی قصّة ذی القرنین- أن یبادر ویتحرّک تحت رایة الإمام من أجل تحقیق الأغراض الإلهیة المرتبطة بعموم المجتمع.

«إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَکُمْ طَالُوتَ مَلِکًا..»، فهذا الملک عهد إلهی خاصّ، وعبّر عنه القرآن الکریم ببعثة إلهیة، فالإمامة بعثة إلهیة أیضاً؛ لما تشمل من مقام غیبی لدنی، والمبعوث من اللَّه تعالی إماماً بالتالی یکون سفیراً وله سفارة إلهیة تغایر سفارة النبوّة والرسالة.

فکون الإمامة سفارة إلهیة وبعثة أصل قرآنی، ولیس بالانتخاب والتعیین من البشر، وطالوت من سلالة بنیامین أخ یوسف علیه السلام ومن ثمّ کان محور اعتراضهم؛ حیث کانوا یرون أنّ الملک منحصر فیهم وهم أبناء لاوا الأخ الأکبر لیوسف، وقد صاغ القرآن اعتراضهم: «أَنَّی یَکُونُ لَهُ الْمُلْکُ عَلَیْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْکِ مِنْهُ وَلَمْ یُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ»، وکان جواب النبیّ لهم: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَیْکُمْ..» فالأمر بیده تعالی، لا أنّه یخضع للمقاییس العادیة التی یتصوّرونها هم، وإنّما هو نصب إلهی لا ملک دنیوی، ومن ثمّ ستذکر الآیات اللاحقة معجزة هذا الملک، والآیة والمعجز دلیل علی أنّ النصب تشریعی إلهی، فلابدّ أن یستجیب له البشر

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۰۹

باختیارهم؛ وإلّا حقّ علیهم العذاب.

«وَاللَّهُ یُؤْتِی مُلْکَهُ مَنْ یَشَاءُ»، یدلّ علی أنّ المشیئة التکوینیة أیضاً اقتضت أن یکون طالوت ملکاً، وکلتا المشیئتین مرتبطتان بالهدایة الإیصالیة، والتدبیر الإلهی للأُمور الإجتماعیة العامّة.

«قَالُوا أَنَّى يَكَونُ لَهُ الْمُلْكَ..»، إخبار السماء لنبيّنا صلى الله عليه و آله باعتراض اليهود على نصب السماء شخصاً فكيف بنصب شخص ليس منهم، لبيان واحدة من أسرار عداء اليهود للإسلام، كما فى الرواية عن الإمام علىّ عليه السلام.

«وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ»، ... تبين الآية المباركة ضرورة المعجزة فى الإمامة- مع الالتفات إلى أنّ القرآن لم يعبّر عن المعجز إلّابالآية والبينة ونحوهما، والتعبير بالعجز اصطلاح كلامى- وأنّ النصّ لا يكون وحده فى السنّة الإلهية، بل مع المعجزة والآية. وعندما نطالع تاريخ الشيعة مع أئمّتهم نلحظ أنّهم كانوا يتحرّون عن المعجز العلمى والعملى كشىء إضافى للنصّ.

«سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ..»، فى الروايات: ريح من الجنّة لها وجه كوجه الإنسان، أو روح مخلوق من اللَّه يتكلّم، كانوا إذا اختلفوا فى شىء كلّمهم وأخبرهم.

«وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ»، يدلّ على أنّ الإمام وارث من سبقه، والتركة وإن كانت مادّية إلّاأنّ لها سنخ ارتباط بالغيب، كعصى موسى وخاتم سليمان وقميص إبراهيم ويوسف، كما أنّ الآية تشير إلى أنّ الوراثة فى بيوت الأنبياء، وأنّها ليست وراثة كسروية ترابية بل وراثة اصطفائية كما فى قوله تعالى:

«ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ..». «تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ»، الحفظ الغيبى يدلّ على خطورة وعظم هذا المقام وعظم وخطورة مواريث الأنبياء، والتى هى الآن جميعها عند أهل بيت النبوّة عند خاتمهم المهدىّ (عج).

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۱۰

«إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ..»، فلا إلجاء جبرى تكوينى، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

«فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ»، فارق طالوت وجنوده المكان.

«إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ»، يكشف عن علمه اللدنى وإبلاغه إرادات اللَّه التفصيلية لا بتوسّط النبىّ، فيدلّ على إمامته وأنّ الإمام يحيط علماً بالمشيئة والإرادة الإلهية التفصيلية، لا سيما وأنّ الإرادة منسوبة إلى البارى صرفاً، كما يكشف عن أنّ التدبير يُباشر من قبل اللَّه تعالى، فالحاكم الأوّل هو تعالى، بل فى جملة من مواقع حكومة الرسول صلى الله عليه و آله يسند إليه تعالى الحكم التفصيلى ولا يسند إلى الرسول، أى وإن كان بتوسّط الرسول صلى الله عليه و آله، كما ألفتنا إلى ذلك مراراً-.

«فَلَيْسَ مِنِّى وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّى»، ظاهر فى أنّ الغاية من هذا الامتحان هو التولّى وعدمه، واستعراض القرآن له للإلفات إلى أنّ التولّى لصيق بالاعتقاد بالإمامة، بل هو فى درجاته الأُولى، والوجه الآخر للإذعان والإيمان بالإمامة كما أوضحناه فى الفصل الثالث من الجزء الأوّل.

فالأُمّة الواحدة وحدتها على أساس التولّى وعدمه، فالملأ كانوا على شريعة موسى، إلّاأنه لم يكف ذلك حتّى صُنّفوا إلى صنفين، من اتّبع الإمامة، ومن لم يتّبعها.

ولا يخفى أنّنا لحدّ الآن لاحظنا جملة من مقوّمات الإمامة وأبرز معالمها، وليكن تجميعها وضبطها بالشكل التالى:

أ- إنّ الإمامة بالنصب والبعثة الإلهية: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ».

ب- إنّها اصطفاء: «اصْطَفَاهُ».

ج- ذو علم متميز لدنى: «بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ».

د- التكامل الجسدى والقدرة اللدنيان: «وَالْجِسْمِ».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۱۱

ه- من شأنه المعجزة: «آيَةَ مُلْكِهِ».

و- وارث من سبقه: «وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ».

ز- التولّى هو الوظيفة المطلوبة من الأُمّة بالنسبة لإمامها: «فَإِنَّهُ مِنِّى».

«فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا»، هو المتولّى، وبقانون لتركبنّ طبقاً عن طبق تعرف النتيجة فى عالمنا الإسلامى، كذا ذكر القرآن الذى هو معجزة الإسلام، قرينة على أنّ ما حصل آنذاك سيحصل بعد.

«فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ»، عرف المتولّى لطالوت بالذين آمنوا، وهذا هو الذى يدّعيه الشيعة من أنّ قضية الإمامة من أُصول الدين الإيمانية.

خاصّة مع الإلفات إلى أنّ الشرائع متطابقة فيما بينها على مستوى المعارف، بل هذا ليس محلّ للنسخ؛ لأنّه من أجزاء الدين الواحد للأنبياء لا من الشريعة التى يعرضها النسخ، نعم تتفاوت بينها بالإجمال والتفصيل.

«وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ»، المقام الذى كان لطالوت أُعطى لداود، ولم تبين هذه الآية نبوّته، وإنّما اقتصرت على: «آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ»، ويظهر من الآية أن شجاعة وبأس داود فى اللّه أهّلته لهذا المنصب، فإنّ ذكر الأوصاف قبل المنصب يدلّ على الأقلّ على التناسب بين الأمرين.

«وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ»، سنّة إلهية أن يُدفع غىّ البعض بالبعض، وله مراتب أقصاها القتل، وقد طبّقت لدفع طالوت وجنوده لجالوت، وهو يعنى أنّ صلاح الأرض يتحقّق بالإمامة، وبعبارة أدقّ: إنّ بالإمامة التى هى خلافة اللّه تعالى فى الأرض- صلاح الأرض وتطهيرها من الغى والشرّ.

ثمّ يلحظ من مجموع الآيات المرتبطة بطالوت أنّ الإمامة لم تُعرَف إلّابالملك، (ملك التصرّف فى الأُمور العامّة) كذا فى آية: «فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۱۲

وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» «۱»

.وعندما نراجع الروايات نراها تلفت إلى أنّ إبراهيم أحد الأربعة الذين بُعثوا بالسيف، إلّاأنّه لم يعهد منه الإمارة، كذا بعض من جاء ذكرهم فى الآية، ومن ثمّ كان التعبير: «وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» مورداً للتساؤل، وجوابه: أنّ الملك باصطلاح القرآن ذو جنبتين:

الأوّلى: تكوينية كالاصطفاء والعلم الخاصّ والسكينة وفصل الخطاب والمواريث، وهذه متوفّرة مكّن من الملك الظاهر فى العلن أو لم يُمكّن، لكنه متمكّن من التصرّف فى النظام الاجتماعى البشرى بصور خفية متسترّة.

الثانية: التشريعية وهو الأخذ بزمام الأُمور، وهذا البعد قد أُلقى تنفيذه على عاتق الأُمّة، بأن تمارس دورها بإقدار الإمام وإيصاله سدّة الحكم الظاهر فى العلن.

وقد عبّر عن الملك الذى مُنح لداود فى آية أُخرى بالخلافة فى الأرض: «إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ» «۲»

.وقد جاء فى آية أُخرى أنّ الخلافة فى الأرض سنّة إلهية ما دامت البشرية، كما نلحظ ذلك فى آية من آيات سورة البقرة: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً»، والذى طُبّق على آدم. وبالتالى سنخرج بنتيجة، هى أنّ الإمامة قانون تكوينى إلهى وضعه اللّه للبشرية ما دامت فى هذا العالم.

«وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ» من بعد الرسل، ممّا يدلّ على وجود سنّة إلهية، وهى سنّة الاقتتال بين أتباع الرسول بعضهم مع البعض الآخر، ومن ثمّ استشهد أمير المؤمنين عليه السلام فى حرب الجمل بهذه الآية.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۱۳

«فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ» «۱»

، تبين سرّ الاقتتال وخلفيته، وهو أيضاً «مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ»، ومن هنا نعرف أنّ الاختلاف الحادث لا ينسجم مع اجتهاد كلّ من الفريقين وإصابته؛ وإلّا لا معنى لتصنيف أحدهما فريق الإيمان والآخر فريق الكفر.

وبالإضافة إلى أنّه اختلاف مع البينة، فلا معنى للتأويل والاجتهاد.

النموذج القرآني الخامس: قصّة مريم ... ص: ۵۱۳

آل عمران من آية ۴۱ إلى ۴۷.

«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ»، وفى بعض القراءات كما فى الروايات: وآل محمّد.

«ذُرِّيَّةً»، والتوارث فى الاصطفاء من باب التوارث الروحى المعنوى لا المادّى، والمعبّر عنه: بالخيرة بعد الخيرة، والنجباء بعد النجباء.

«إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ»، عرض لقصّة ومصداق للذرّية المصطفاة.

«إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي»، كان فى شريعة بنى إسرائيل أنّ للأب مُلكية ابنه المطلقة، ومن ثمّ كان يستطيع إيقافه على المسجد.

«وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى»، إمّا نقل كلام امرأة عمران أو كلام اللَّه، وعلى الحالين يدلّ على عدم المساواة بين الجنسين على صعيد الوظائف والقانون فى الدنيا، وإن أمكن للمرأة الترقّى فى مجال التكوين والمعنى إلى حدّ الاصطفاء، وهذا عموم فوقانى من نوع الجعل الدستورى، وإن صحّ التعبير عنه فهو أصل قانونى من أُسس التشريع ومقصد من مقاصد الشريعة، وبالتالى فالتشريعات التى نحتمل

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۱۴

أنّها وظيفة خاصّة بأحدهما لمناسبة متميزة فى أحد الجنسين لا يمكن التمسّك بعمومها.

«وَإِنِّي أُعِيذُهَا..»، كما يظهر من الروايات أنّه دعاء بالعصمة، ومع قرينة الاصطفاء وما يأتى من أنّه تعالى تقبّلها بقبول حسن، دليل العصمة واستجابة الدعاء.

«وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا»، النبت يعنى النمو، والآية ظاهرة فى أنّ التنشئة المادّية للمصطفى تختلف عن غيره، من قبيل تهيئة اللقمة الحلال..

«زَكَرِيَّا»، زوج خالتها..

«أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»، نوع من التكريم والحبوة الإلهية والاعتناء الخاصّ مع أنّها ليست نبيّاً ولا إماماً، وهذه الآية تكشف عن نوع ارتباط غيبى بين مريم وبين اللَّه تعالى، والروايات دلّت على أنّ ملكاً كان يأتى لها بالطعام.

«هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا..»، بعد أن شاهد مريم وكرامتها..

«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ..»، تصريح بارتباطها بالغيب، والاصطفاء الأوّل كما فى الروايات هو الاختيار، والاصطفاء على النساء هو الحجّية عليهنّ.

وقد ظهر لحدّ الآن:

أ- ارتباط مريم بالغيب ونوع من الاتصال من دون وساطة نبىّ كما سيأتى فى عين تبعيتها لشرائع الأنبياء.

وهذا ليس غلوّاً فى مريم، وبعدما عرفت أنّها لم توصف بالنبوّة، ومعه لا نستغرب إذا كان لفاطمة عليها السلام مصحف فيه تأويل الكتاب.

ب- اختصاص ولىّ حجّة بخطاب إلهى خاصّ، وقد يُكلّف بتكاليف خاصّة كما سيأتى لا يعدو مقام التطبيق، لا أنّه خارج عن عموم شريعة موسى كما فى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۱۵

المثال.

والظاهر من بعض الروايات وإن كان أنّ مريم محلّ للحجّية والمعجزة والآية، إلّا أنّها ليست محلّاً ساذجاً كتكلّم الشجرة وشقّ القمر، وإنّما هى متمّمة للإعجاز ودخيلة فيه، حيث بينت الحجّة والمعجزة فى إشارتها إليه، وإحضارها للمعجز فى وسط بنى إسرائيل كما

سيأتى مفصّلًا، فهى شريكة عيسى فى تبيان معجزته، ومن ثمّ جاء فى القرآن: «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً» «۱»

.«يُبَشِّرُكَ»، ... نوع من الإنباء بالغيب المستقبلى، حيث كانت البشارة بنبىّ وباسمه المجعول من قبله تعالى ووجاهته الدنيوية ومكانته الغيبية (قرباً منه تعالى) ومعجزته..

وهذا مجانس لما تعتقده الشيعة فى مصحف فاطمة، فإنّه مجموعة إنباءات غيبية مستقبلية «ما كان وما يكون إلى يوم القيامة»، وهو تأويل للكتاب المبين الذى يستطرّ فيه كلّ غائبة فى السماء والأرض.

«قَالَتْ رَبِّ..»، كانت تخاطبها الملائكة إلّاأنّها خاطبت ربّها مباشرة، والظاهر أنّ الجواب «قَالَ» ليس بواسطة الملائكة، وإن كان قد يستفاد أنّه بواسطة جبرئيل بقرينة الآيات الواردة حول مريم فى سورة مريم، حيث تمثّل لها جبرئيل بشراً سوياً، وأخبرها أنّ اللّه أمره أن يهب لها غلاماً، فقالت له: أنّى يكون لى غلام؟ فأجابها جبرئيل..

ولكن ما ذكر لا يصلح قرينة بعد الالتفات إلى أنّ الحوار مع جبرئيل حوار آخر حصل بعد مدّة من الحوار الأوّل المذكور فى سورة آل عمران عندما انتبذت مكاناً قصياً، وقرينة ما ذكرنا إجابة جبرئيل الظاهرة فى أنّ اللّه تعالى قد أجابك من قبل

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۱۶

عن هذا التساؤل والاستغراب: «قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا» «۱»

.وحيث إنّ الخطاب مع مريم لم يكن بواسطة رسول، فهو إمّا من قسم الوحى المباشر، أو من وراء الحجاب بموجب الحصر المذكور فى الآية: «وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ» «۲»

.والترتيب المذكور فى الآية معنوى علاوة على كونه ترتيباً ذكرياً كما فى الروايات، ومن ثمّ كان التكليم من وراء حجاب فضلًا عن الوحى أرفع ممّا كان بواسطة الرسول، ممّا يعبّر عن سموّ مكانة مريم.

وعندما نرجع إلى النماذج التى سبق الحديث عنها لا نلحظ هذا الارتباط المباشر مع اللّه فيها، وعلى الأقلّ لا صراحة فى ذلك، على العكس من مريم فإنّ الآية صريحة فى الخطاب المباشر.

«وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً..» «۳»

، سبق أن ألفتنا إلى دلالة الآية على شراكة مريم فى الإعجاز والحجّية، وهو تقرير لعقيدة النصارى فى مريم أنّها من أركان العقيدة ولكن لا بما هى محرّفة من التأليه.

كما أنّ مدلول الآية أعمّ من اصطفائها على نساء العالمين المدلول لآية أُخرى.

بالإضافة إلى أنّ الآية ليست لخصوص أبناء الشريعة المسيحية، وإنّما لكلّ البشر بما فى ذلك أبناء الشريعة المحمّدية، بعد أن كانت واحدة من عقائدنا الإيمان بآيات اللّه، ومن ثمّ كان علينا بعد إخبار القرآن الإيمان بمقام السيدة مريم،

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۱۷

كما كان من الضرورى الإيمان بنبوّة عيسى.

ويظهر أيضاً أنّه ليس بدعاً فى شرائع السماء أن تأخذ امرأة هذا المقام وأن يكون الإيمان بها جزءاً من أُصول الدين.

بالإضافة إلى أنّها ضربت مثلًا كما فى سورة التحريم. وإلى القاعدة القرآنية أنّ القرآن لا يذكر إلّاما فيه العبرة فى حياة المسلمين، والروايات الكثيرة الدالّة على أنّه يجرى فى حياة المسلمين ما جرى على الأُمم السابقة حذو القذّة بالقذّة.

من هنا أصبحت الفرصة مواتية للحديث عن الزهراء عليها السلام شيئاً ما، حيث يمكن لنا أن نفهم ما قيل فى حقّها أو على تقدير كونه رواية، من قبيل: «نحن حجج اللّه وفاطمة حجّة علينا»، و «وأنّها برزخ بين النبوّة والإمامة»، و «أنّها رفع عنها حجاب النبوّة»، وكثير غيرها، ممّا يمكن أن يستشهد له بطوائف أُخرى متواترة معنوياً، من قبيل روايات ترتّب خلقة أنوارهم عليهم السلام، ومن قبيل روايات أنّ أحد مصادر علوم الأئمّة مصحف فاطمة عليها السلام، ومن قبيل أنّها أوّل مصاديق القُربى الذين لهم ولاية الفىء والأنفال، وأنّها

الشاهد شـهادة لدنية بصدق النبوّة فى آية المباهلة لمشاهدتها عياناً حقيقة النبوّة ... وغير ذلك من الآيات والروايات مفادها أنّ الزهراء وإن لم تكن نبيّاً وإماماً إلّاأنّها حجّة وواسطة علمية للأئمّة عليهم السلام من ذريتها، أى أنّها مصدر من مصادر علومهم.

بالإضافة إلى أنّ إدانتها موقف السقيفة لا يقلّ دلالة فى الحجّية عن قول الرسول صلى الله عليه و آله فى يوم الغدير، ويشهد لذلك قبول السنّة ذلك كبروياً، ومن ثمّ ركّزوا إنكارهم للصغرى أى وقوع الإدانة منها للسقيفة.

فهى كمريم فى أنها شريكة النبىّ صلى الله عليه و آله فى الآيتية على مذهب الحقّ والإمامية، حيث لم يكن بعد النبىّ صلى الله عليه و آله مصدر حجّة يرجع إليه بعد جحودهم لدلالة الكتاب على الإمامة وجحودهم حجّة علىّ عليه السلام، لم يكن إلّاالزهراء، ومن ثمّ يفهم ما ورد

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۱۸

فى وصية النبىّ صلى الله عليه و آله: «يا علىّ انفذ لما أمرتك به فاطمة، فقد أمرتها بأشياء أمر بها جبرئيل عليه السلام» «۱»

، وكذا يفهم من احتجاج الأمير بالزهراء.

وآية التطهير تدلّ على الاصطفاء والحجّية للزهراء بإرادة إلهية مشتركة فى الخمسة أصحاب الكساء.

وسورة الدهر تثبت مقاماً أرفع من مقام الأبرار لأهل البيت عليهم السلام، وبضميمة سورة المطفّفين فإنّهم المقرّبون الذين يشهدون كتاب الأبرار.

كلّ هذا وأمثاله من الآيات والروايات «۲» يملى الاعتقاد بمقام الصدّيقة الزهراء.

فإنّها وجود تنزيلى للنبىّ صلى الله عليه و آله، فهى لها الحجّية على المسلمين فى إثبات الإمامة، والبعد التقديسى لها من اللَّه ورسوله معلول مقامها السامى.

«فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا..»، جبرئيل الذى عبّر عنه فى آية أُخرى بالروح الأمين، ولنُلتفت إلى أنّه لم يصرّح فى آيات آل عمران بنوع الملائكة الذين حدّثوها، بينما صرّح به فى آيات سورة مريم، ممّا يكشف عن أن التكليم بواسطة الرسول ذو درجات ومراتب..

وفى الروايات أنّ التمثّل الذى حصل لمريم أحد أنماط نزول الوحى عليه صلى الله عليه و آله، ونمط آخر أن يسمع من دون رؤية، وثالثة أن يراه ومن معه..

«فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا..»، خاصّية الوارد الرحمانى- الهاتف والمكاشفة- التى بها يختلف عن الأنواع الأُخرى كالشيطانى- أنّه ذو هيبة وسكينة ووقار ويدعو إلى الخير بأتمّ أشكاله..

«قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا..»، فى الوقت الذى كان الوارد

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۱۹

رحمانياً، إلّاأنّ مضمون الرسالة كان شديداً غايته على مريم، وتفرّ منه لارتباطه بعرضها وناموسها، ومن ثمّ اعترضت مرّة أُخرى حين قالت:

«أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا»، ويلحظ فى المحادثة السابقة فى سورة آل عمران أنّه لم تعتر مريم حالة الاستيحاش كما ظهر هنا، وربما لأنّها كانت تسمعهم هناك من دون أن تراهم.

«قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ»، تذكير مريم بما دار من حوار وحيانى سابق.

قد يقال: كيف ينسجم هذا الاعتراض من مريم مع ما لها من مقام سام، ثمّ هل نست الوحى السابق كى تعيد الاعتراض ثانية؟

والجواب: لم تنس مريم، ولكن صعوبة الموقف حيث إنّ القضية مرتبطة بالعرض «وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا»، وبه يفسّر قولها: «يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا».

وفى الروايات: أنّ الأنبياء والرسل يتحمّلون البلاء إلّاما يرتبط بالعرض.

«وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا»، وفى آل عمران: «إِذَا قَضَى أَمْرًا»، الظاهر فى التعليق، ومن ثمّ يصلح قرينة إضافية على أنّ ما جرى فى السورتين حواران اثنان وحيانيان.

«فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا»، لها دور رعاية وكفالة لصاحب الشريعة وباختيارها، وهو يوافق ما يظهر من ثنايا زيارة فاطمة بنت أسد من أنّ رعايتها للرسول صلى الله عليه و آله كسبها مقام صفة بأنّها صدّيقة.. فإنّ لها إسهاماً فى التمهيد لظهور النبىّ والمعجز.

ودور مريم وإن كان يحتوى على مخاطر لارتباطه بالعرض فهو سنّة قرآنية للجهاد بالعرض، إلّاأنّه كان لكشف دجل وزيف علماء اليهود المقيمين على تحريف الديانة، ولم يتغلّب على فضحهم النبىّ زكريا ولا يحيى، وهو نظير ما

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۲۰

ورد فى حرم وعيالات سيد الشهداء عليه السلام: «شاء اللّه أن يراهنّ سبايا».

ونظير تصدّى السيدة الزهراء حتّى عصرت بين الحائط والباب- لكشف الزيف والدجل المتلوّن بالدين والديانة، ونظير نقل إبراهيم هاجر إلى البرية تمهيداً لظهور حكمة اللّه ومعجزته.

«فَنَادَاهَا..»، استمرار التواصل الغيبى مع مريم ورعايتها وتسديدها.

ووجود أوامر كُلّفت بها مريم مباشرة من دون وساطة نبىّ، مع خطورة بعض هذه الأوامر كارتباطها بصرح الشريعة المسيحية وأصل نبوّة عيسى ونسخ الشريعة الموسوية، بحيث لو أخلت مريم عصياناً لما تحقّقت المعجزة.

«مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ..»، عرّضوا بها بأبشع تهمة، وقد كانت هذه الظاهرة المثيرة سبباً فى الانشداد إلى المعجز والالتفات إليه وكشف قناع الزيف عن علماء اليهود، كما حصل ذلك من السيدة الزهراء حيث عرّت نفاق السقيفة على المكشوف والسيدة زينب حيث كانت سبباً فى الانتباه إلى افتضاح مسار السقيفة وأنّه هو مسار الأحزاب وبنى أُمية.

«فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ»، نقلتهم من التركيز على شىء دنىء للغاية إلى خطير للغاية.

وبهذا ينتهى الحديث عن آيات مريم فى سورة مريم.

وهناك ما رود فى سورة التحريم، حيث أُشير فيها إلى أنّ مريم مثل يضربه تعالى، والمثل ليس لخصوص قوم دون قوم وإنّما لسائر البشرية ولهذه الأُمّة الإسلامية.

كما أشير إلى أنّها صدّيقة: «وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ»، فقابل بين الكلمات والكتب، وأنّها «كَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ»، وتشريفها ب: «فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا..»..

والخلاصة: إنّه بالتدبّر فى مجمل الآيات الواردة فى مريم، ينبثق هذا السؤال،

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۲۱

وهو: كيف ارتبطت بالتكليم الإلهى، وكيف وثقت أنّه من عند اللّه مع أنّها ليست نبيّاً ولا وصىّ نبىّ، كما لم يتمّ ذلك بتوسّط نبى زمانها، بل تمّ ذلك من دون وساطة رسول أصلًا، وكيف صدّقت بنبوّة نبىّ آت وبشريعته المقبلة، وكيف قامت ببدايات أعباء الرسالة قبل عيسى حتّى جعلها القرآن فى درجة عيسى، كما يظهر من قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ»، و «يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ»، و «كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ»، و «كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ..» «۱»

، الدالّة جميعاً على أنّ مريم كانت فى مصاف الرسالة ومن أصول الدين، خاصّة مع الالتفات إلى أنّ المخاطب به مثل زكريا- على فرض حياته- ويحيى وأنبياء زمانها؟ لا جواب على هذا السؤال سوى أنّها معصومة مصطفاة، وأنّ لها مقاماً لا يقلّ عن مقام النبوّة.

ومع كلّ هذا، لا عجب أن تكون فاطمة عليها السلام (شافعة للأنبياء)، كما فى الرواية المنقولة، كيف لا وهى من أهل آية التطهير الذين شهد القرآن أنّهم يمسّون الكتاب المكنون كلّه، ولديهم العلم بالكتاب المبين العلوىّ كلّه، بينما لم ينعت القرآن الأنبياء أولى

العزم فضلًا عن غيرهم بأنّهم يعلمون الكتاب كلّه، بل قال فى حقّ موسى عليه السلام مثلًا: «وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ» «۲»

، فما اوحى لموسى هو (من كلّ شىء)، وفى حقّ عيسى عليه السلام: «قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ» «۳»

، فكان ما جاء به بعض العلم، بينما وصف القرآن أنّه مهيمن على ما بين يديه من الكتب التى بعث بها الأنبياء السابقين، وأنّه تبياناً لكلّ شىء.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۲۲

أو: «على معرفتها دارت القرون الأولى»، بل يمكن أن نسجّل جملة امتيازات قرآنية للسيدة الزهراء على مريم عليهما السلام.

الامتياز الأوّل: افتراق فى نوعية التطهير بين فاطمة الزهراء عليها السلام وبين مريم، حيث إنّ الذى ورد فى مريم التعبير بصيغة الفعل الماضى، وهو دالّ على وقوع التطهير فيما سبق وإلى حدّ درجة من العصمة، بينما الذى ورد فى فاطمة عليها السلام هو إذهاب الرجس عنها، أى توقيتها عن أن يقترب إليها وإلى أصحاب الكساء الرجس، وعبّر عن التطهير بالفعل المضارع الدالّ على الاستمرار وأكّد بالفعل المطلق (تطهيراً)، مضافاً إلى أنّ هذا التطهير الخاصّ المستمرّ هو من نمط خاصّ بسيد الأنبياء وأهل بيته أصحاب الكساء، فأين ذاك من ذا؟

الامتياز الثانى: إنّ لفاطمة علم الكتاب دون مريم عليها السلام؛ لأنّ فاطمة عليها السلام من المطهّرين فى أُمّة النبىّ الخاتم صلى الله عليه و آله، وقد وصف المطهّرون من هذه الأُمّة بقوله تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ» «۱»

، وهو وصف للقرآن، ثمّ أردف ب:

«لَايَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» «۲»

، فشهود حقيقة القرآن والكتاب كلّه بتلك الدرجة من الكرامة فى كنانة الكتاب وهو ذو المجد القرآن المجيد فى حفظ اللوح المحفوظ، ولفاطمة عليها السلام حيث إنّها من المطهّرين فى آية التطهير علم الكتاب الموصوف فى القرآن بأوصاف متعدّدة: «وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» «۳»

، و «يَمْحُواْ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» «۴»

، وغيرها من الأوصاف.

وهذا العلم شهودى لدنى، بينما لم يكن للمطهّرين فى الشرائع السابقة حتّى الأنبياء هذا المقام؛ إذ إنّهم لم يشهدوا إلّاما تنزّل عليهم، بينما مريم سلام اللّه عليها

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۲۳

وصفت بأنّها صدّقت بالكتب وهو غيب بالنسبة إليها، وبهذه الآيات يتبين أحد دلالات القرآن بأفضلية خاتم الأنبياء وأهل بيته على سائر الأنبياء.

الامتياز الثالث: وهو وليد للامتياز السابق وهو شهادة الأعمال لارتباطه بالكتاب المكنون، وقد حفل ملف آيات الإشهاد فى القرآن الكريم على جميع الناس من الأوّلين والآخرين أنّ هؤلاء الأشهاد من هذه الأُمّة وأنّ سيد الأنبياء هو الشاهد على الأشهاد وأنّ هؤلاء الأشهاد هم من ذرّية إبراهيم وإسماعيل كما أشارت إليه آخر سورة الحج، ودعاء إسماعيل وإبراهيم فى سورة البقرة، وكذا فى سورة الدهر حيث بينت أنّ عباد اللّه الذين يطعمون الطعام للمسكين واليتيم والأسير هم الذين يسقون الأبرار من عين الكافور، فلهم الإشراف على الأبرار وأعمالهم كما فى سورة المطفّفين أيضاً، وهذا المقام لم تُنعت به مريم عليها السلام فى القرآن الكريم.

الامتياز الرابع: آية المباهلة.. لا بتقريبها السطحى وهو أنّه صلى الله عليه و آله لم يباهل إلّا بأعزّ ما لديه، وإنّما بما يستبطنه هذا التقريب من معنى دقيق وهو: أنّ المباهلة نوع من الدعاء والملاعنة والقسم والحلف لإثبات الحقّ وتوثيقه، فالآية تدلّ على أنّ الدين فى بعده

الغيبى مرتبط بهؤلاء الخمسة، بعد الالتفات إلى أنّ الذى كان يستهدفه الرهبان من هذه العملية إطفاء برهان النبىّ صلى الله عليه و آله الذى يمثّل رمز الدعوة وحربتها، فضمّ النبىّ تلك الصفوة معه فى هذه العملية للتدليل على رمزيتهم وأنّهم أصحاب الدعوة أيضاً وشركاؤه، فمن قبله فبها، ومن ثمّ قال تعالى:

«فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» «۱»

، فى مقابل الصادقين، فكان التعبير بالجمع لا بالمفرد (على من كان كاذباً)، فهى شهادة بالشركة على أنّ نبوّته خاتمة وهى دين

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۲۴

الإسلام، ونبوّته خاتمة النبوّات وأنّ المسيح عبداللَّه ورسوله، خاصّة مع وجود قرابة آخرين له ولفيف من الصحابة وبعضهم يُزْعَم له شأن فى الإسلام، إلّا أنّه صلى الله عليه و آله لم يشركهم فى العملية.

أضف إلى ذلك أنّ تعيين هؤلاء كان من اللَّه سبحانه وتعالى وليس من النبىّ، ممّا يؤكّد أنّ القضية ليست بحكم المعزّة والقرابة.

ولو أبيت عن قبول دلالة القصّة على فكرة كونهم أصحاب الدعوى شراكة بنحو الطولية والتبعية، وأنّها لا تعنى إلّاالتوثيق وقد حصل بهؤلاء، فنقول: إنّ التوثيق عادة يكون بالثقل، وإنّ هؤلاء عليهم السلام أثقل المسلمين، ومن ثمّ تمّ اختيار اللَّه لهم للوقوف إلى جانب النبىّ صلى الله عليه و آله فى هذه العملية، فهم وثيقة للدين كما هو صلى الله عليه و آله، وعندما نستذكر زيارة الرضا عليه السلام نلحظ فيها أنّ كلّ إمام فى عصره آية حقّانية للنبىّ ومعجزة صدقه.

النموذج القرآنى السادس: قصّة أُمّ موسى ... ص: ۵۲۴

سورة القصص من آية ۱ إلى ۱۳.

فى المقدّمة نشير إلى مدلول آية «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ..»، فإنّ الواضح منها الاستمرار وبيان السنّة الإلهية وقاعدة القضاء والقدر، وإلّا لو كانت خاصّة بالأُمم السابقة لجاء التعبير (وأردنا) بصيغة الماضى لا بصيغة المضارع الدالّ على الاستمرار.

«وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى»:

أ- يلحظ الشبه الكبير بين خفاء ولادة موسى وخفاء شخصه وظفره، وبين خفاء ولادة صاحب الزمان (عج) وخفاء شخصه وظفره.

ب- لم ينصّ فى الآية على أنّ الوحى كان بتوسّط نبىّ أو رسول أو وصىّ، بل

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۲۵

فى الروايات أنّها نوديت وأنّه مباشرة، فى الوقت ذاته لا دلالة فى الآية على أنّه من أىّ قسم من الأقسام الثلاثة للوحى.

«أَنْ أَرْضِعِيهِ..»، سلسلة من الأوامر فى كيفية التعاطى مع الوليد الجديد بشكل يحفظه مع إخبار الغيب المستقبلى: «إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ»..

مثل هذه الأوامر التفصيلية من اللَّه تعالى هى لخواصّ من هو حجّة، مصطفاة من القسم الرابع الذى يتجسّد فيه إعمال الحقّ تعالى ولايته مباشرة، ومن دون توسيط نبىّ تلك الأُمّة.. ولكن من دون خروج عن الشريعة الظاهرة آنذاك بالشكل الذى بيّناه فى قصّة الخضر، ولهذه الأوامر دلالة على أنّ الوحى فى الآية ليس هو الوحى الفطرى كما قد يتصوّر أنّه من قبيل «وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ..» «۱»

بعد الالتفات إلى أنّ متعلّقات الأوامر المذكورة ليست ممّا تدركه الفطرة، يضاف إلى ذلك الإخبارات بالغيب التى رافقت الأوامر، واطمينان أُمّ موسى بالوحى المذكور دليل مقامها وسموّ مكانتها، وإلّا لتلكّأت لاحتمال أن يكون نفث الجنّ أو مكاشفة وإلقاءات شيطانية. وبتعبير آخر: أنّ الوحى المباشر، وقبولها له لا يعقل إلّامع كون القناة معصومة، وإلّا لم تكن تستوثق منه.

هذه القصّة وسابقاتها تدفع الإنكار على مقولة الشيعة بأنّ الإمام كيف يرتبط بالوحى بعد وضوح معتقدهم أنّه ليس وحى نبوّة، علماً أنّ

القرآن لم يحدّثنا عن حجّية أُمّ موسى بدائرة أوسع من حجّيتها على نفسها فى ما يرتبط بطبيعة التعامل مع الوليد.

«وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ»، فقد آمنت أُمّ موسى برسالته قبل أن يُرسل، كما

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۲۶

آمن الأنبياء السابقون بنبوّة محمّد صلى الله عليه و آله قبل أن يولد، وكما نصّت الزهراء البتول بإمامة الأئمّة حيث دوّنوا فى اللوح الأخضر الذى نزل من السماء.

«إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ»، توضّح عن رابطة الأُمّ بطفلها، وأنّها امتحنت بأصعب شىء كما امتحنت السيدة مريم بكرامتها وعرضها وعفّتها وهى سيدة العفّة فى زمانها.

لولا أن جاء التسديد الإلهى لمثل هؤلاء البشر الذين اختاروا تنفيذ الإرادة ولو على حساب أعزّ ما لديهم: «لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا».

النموذج القرآنى السابع: قصة لقمان ... ص: ۵۲۶

وهذا النموذج وإن لم يكن نموذج للإمامة ولا للحجّية المصطفاة، إلّاأنّه نموذج على الهبة اللدنية الإلهية، وهى ليست مقام نبوّة أيضاً.

نعم الحجّية فى الحكمة هو فى ذاتها ومقالاتها حيث إنّها منطوية على الدليل والبرهان، وهاهنا نقاط يُلفت إليها:

۱- تشير الروايات إلى أنّ لقمان لم يصل إلى مقام الحكمة إلّابعد أن واظب على جملة من السنن، منها أنّه لم يكن يتكلّم إلّاعند الحاجة.

۲- وتشير أيضاً إلى أنّه قبل أن يُمنح هذا المقام خيّر بين النبوّة والحكمة فاختار الحكمة، على العكس من داود.

۳- وتشير أيضاً إلى أنّ سلمان المحمدى أعظم حكمة من لقمان، وفى زيارته والروايات الواردة فى شأنه إشارة إلى مقامات خاصّة، من قبيل أنّه (باب علم الوحى) و (أدرك علم الأوّلين والآخرين).. بل فى الروايات يستشهد الصادق عليه السلام بكلمات سلمان وهو دليل حكمة سلمان.

۴- وفى الروايات: مَن أخلص للّهأربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمة على

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۲۷

لسانه.

۵- يظهر من سورة لقمان وممّا ورد فى سلمان أنّ هذا المقام والمنزلة مفتوح لكلّ مَن يجاهد نفسه، ومثل مقامات أُخرى كالصدّيقين. وفى رواية فى كفاية الأثر للخزّاز وغيره يشرح الصادق عليه السلام هذه المقامات ويذكر الطريق إليها.

۶- يظهر أنّه مقام لدنى كالنبوّة بحكم التخيير.

«وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ..»، وقد وردت الحكمة فى آل إبراهيم وآيات أُخر منها: «مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا» «۱»

، ويظهر من الآية أنّها علم إلهى خاصّ يغاير النبوّة والمقامات الأُخر فى الجملة، وهذا العلم لدنى ويمنح وليس فطرياً؛ بقرينة: «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ»، فإنّ تعلّم الكتاب ليس فطرياً.

وقد عُرّفت الحكمة بتعريفات متعدّدة أشرنا إليها فى كتاب العقل العملى، والحقّ أنّها العلم الذى يتلقّاه العقل العملى فيتمّ الإذعان به والتصديق، فهى ليست صفة عملية بحتة ولا علمية بحتة.

«أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ..»، الظاهر من (أن) أنّها تفسيرية، وبالتالى الظاهر من الآية تفسير الحكمة بالشكر، ممّا يعبّر عن أنّ رأس الحكمة شكر اللّه.

وقد أخذ قبال الشكر فى القرآن الكفر: «إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا»، كما قابلت الروايات بين الجهل والعقل، ممّا يعنى كلّ ذلك أنّ هذه

الصفات ليست إدراكية محضة، وإنّما عملية، من ثمّ كان الشغل الشاغل للأنبياء هو العقل العملى الذى هو تحت اختيار الإنسان، وأمّا الإدراك والعلم فالفطرى منه موجود من دون اختيار.

ثمّ لا ريب أنّ العلم الذى مُنح للقمان والذين نُعتوا بالحكمة وإن لم يندرج تحت واحد من الأقسام الحجج، إلّاأنّ علم الحكم حجّيته منطوية فيه لانطواء

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۲۸

البرهان والدليل فى أقضيتها.

ويستفاد من هذه نتيجتان مفصليتان بعد الالتفات إلى النقاط التالية:

۱- إنّ لقمان ليس نبيّاً باتّفاق الجميع.

۲- إنّ المستعرض لحكمة لقمان فى القرآن هو اللَّه تعالى، أى لم تُعرض حكمته فى القرآن على لسان نبىّ وإنّما على لسان الحقّ تعالى.

۳- إنّ استعراض الحقّ تعالى لحكمته كاستعراضه لكلام الأنبياء.

۴- بل استعراضه يمتاز عن سنن بعض الأنبياء من جهة أنّ شرائعهم منسوخة ولا يفهم أبديتها إلّابالقرينة «لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا» «۱»

، بينما الظاهر من حكمة لقمان أبديتها، بنكتة كونها كلّيات فوقانية، فهى البنية التحتية للشرائع، أو لأنّها حكمة، أو لأنّها فطرية عقلية مستوسعة، والكلّ واحد تقريباً. نعم، تمتاز سنن الأنبياء عن الحكمة بأنّها تنزل الهداية للتفاصيل ولدائرة أوسع بكثير من الحكمة، بينما الحكمة هى فى دائرة الكلّيات.

۵- لم يذكر حجّية حكمة لقمان من جهة عرضه على نبىّ أو من جهة إقرار القرآن لها، وإنّما حجّيتها من جهة تضمّنها للدليل والبرهان.

۶- إنّ حجّية الحكمة هى من حجّية العقل، وحجّية العقل تلازم حكم الشرع؛ لأنّه كلّ ما حكم به العقل البديهى أو النظرى المبدّه حكم به الشرع، فهو لا يختلف روحاً عن التشريع الظاهر، وإن كان تشريعاً باطناً كما يسمّى العقل بالرسول الباطن.

من ثمّ وبعد أن عرفنا أنّ طبيعة الحكمة ليست إلّاعلماً خاصّاً أُودع من قبل اللَّه تعالى فى فطرة لقمان بنحو البسط، فهى لا تختلف عن العلوم الفطرية التى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۲۹

يمتلكها البشر جميعاً من هذه الزاوية، إلّافى أنّها أوسع نطاقاً من الآخرين، فحينئذٍ أمكن أن نفهم:

أوّلًا: ما ورد فى الروايات أنّ العقل رسول باطن وحجّة باطنة ومنزّل منزلة قناة الوحى، الظاهر فى أنّ كلّ إنسان مرتبط بعلم اللَّه تعالى وإرادته فى دائرة البديهيات أو النظريات المبدّهة.

وبهذا يكون ردّاً على الأشاعرة والسلفيين والظاهريين قبلهم أصحاب السفسطة حيث أنكروا العقل أو حجّيته.

حيث عرفت أنّ هذا النمط من العلم موجود ويوجب اليقين والجزم، وأنّه قد استوسع للقمان، وفى الروايات إشارة إلى أنّ مصدراً من مصادر علومهم عليهم السلام هذا النمط من العلم وهو الحكمة، لكن بدائرة تفوق كلّ من أوتى الحكمة.

ثانياً: النقض على أهل سنّة الخلافة وجماعة السلطان؛ حيث أنكروا وجود مصدر للحجّية والارتباط بالسماء غير النبوّة، مع أنّا لاحظنا وجود قنوات أُخرى لها، وجود ضامر فى كلّ إنسان وأنّها قد توسّع للبعض لا بتوسّط نبىّ، فالحال فى الإمام الذى هو خليفة اللَّه تعالى فى أرضه المعلّم علم الأسماء كلّها أوضح.

بل إنّ أهل سنّة الجماعة إذا ارتضوا العقل كالمعتزلة، متجاوزين المسلك الأشعرى ولو فى مساحة محدودة فلا بدع فى سنّة اللَّه فى

الإمامة بعد أن كان العقل قناة إلى جنب قناة النبوّة، فيمكن للّه‌تعالى أن يفتح قناة ثالثة أو يوسّع من قناة العقل والفطرة، وتكون ملزمة وحجّة.

والملفت أنّ القرآن لم يذكر جملة من الأنبياء، أو ذكر جملة أُخرى منهم ولم يذكر لهم قولًا، في الوقت الذي تعرّض فيه لجملة من المؤمنين مع عرض كلماتهم، كمؤمن آل فرعون ومؤمن آل ياسين وزوجة فرعون، بالإضافة إلى النماذج التي سبقت الإشارة إليها بمَن فيهم لقمان.

الامامة الالهية(۵)، ج٣، ص: ۵٣٠

وليس ذكر مثل هؤلاء إلّاللعبرة، وليس ذكر كلماتهم إلّاللاحتجاج في أنّ الحجّية الذاتية لا تنحصر بالنبوّة، إذ قد تكون من خلال علم فطري تفتّق، أو علم لدني خاصّ مُنح من قبل اللّه تعالى، إلّاأنّ حجّية النبوّة والإمامة دائرتها أوسع بلا مقايسة مع دائرة حجّية العقل الفطري البديهي.

«أن اشْكُرْ..»، وجوب الشكر في الحكمة العملية يوازي في الحكمة النظرية وجوب وجوده تعالى.

«فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ»، بدليل: «إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ»، وحميد فيها إشعار إلى أنّه يشكر مَن شكره: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ»، أو يعني جامع الكمالات.

«إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»، في هذه الآية وعموم الآيات القرآنية يلاحظ الترابط بين البعد النظري والعملي، فالشرك أعظم غلطة وكذباً وجهلًا على مستوى الإدراك، والظلم العظيم أعظم قبحاً في العقل العملي.

«يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ..»، المداقّة في الحساب- وكما ورد في سورة الزلزلة- ممّا لا يدركه العقل لوحده، كذا باطن الفعل في الملكوت بمقتضى الآية المبين فيها، حيث إنّ إتيان اللّه به يوم الحساب دليل بقائه وثباته.

«فِي السَّمَوَاتِ»، إمّا كناية عن الإحاطة الإلهية، أو إشارة إلى وجود جزاء لأهل السماء مجهول الكيفية لنا، كما يبدو من آيات وروايات متعدّدة، مثل:

«سُبْحَانَكَ لَاعِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا»، وقول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة حول الملائكة: «إنّهم يزدادون بعبادتهم لربّهم علماً»، و.. الكاشف عن وجود ظاهرة العمل والجزاء في الملائكة.

«يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ»، بعد أن فرغ من توحيد اللّه ومعاده ودخل في استعراض كلّيات الشريعة، وفيه دلالة على أنّ الصلاة ثابت في كلّ شريعة، حيث كانت فطرية، وأنّ الأمر بالمعروف فطري، وهو وإن كان في الفقه الاصطلاحي يقابل

الامامة الالهية(۵)، ج٣، ص: ۵٣١

الجهاد والقصاص والديات والقضاء، إلّاأنّه بالمعنى الأعمّ شامل لها، بل شامل لكلّ معروف بعد أن كان الإتيان به يستبطن الدعوة لإقامته.

والصبر يكشف عن أنّ الأُمور العملية فيها عناء ولا يتمّ إلّابالصبر.

«وَلَا تُصَعِّرْ»، فعل جارحي ناتج عن الكبر.

«مَرَحًا» الزهو، وهو الترف والفرح للمادّيات المذموم في القرآن.

«إِنَّ اللَّهَ لَايُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ»، إنباء لقمان عن المحبّة الإلهية، والتي على أساسها أمكنه العلم بالمحبوبات، وعلى أساس ذلك أمكنه النسبة.

ويعرّف أيضاً: أنّ الحكمة ليست علماً صرفاً، وإنّما هي التي تستوجب العمل.

وبه يمكن الردّ على من يقول إنّ حكم العقل منجّز فقط، حيث ظهر أنّه يلازم حكم الشرع بل يمكن نسبته إليه تعالى.

«إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ»، فيه دلالة على إلمامه الواسع بالخليقة، وإن كان قد ورد أنّ المراد بذلك صوت بعض أصحاب التابوت في قعر

جهنّم.

النموذج القرآنى الثامن: قصّة آصف بن برخيا صاحب سليمان ...: ص: ۵۳۱

وتبدأ من آية ۳۵ إلى آية ۴۱ من سورة النحل.

«قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ..»، إنّما كان سليمان حريصاً على السرعة الخاطفة فى إحضار عرش بلقيس لإظهار مقام آصف وأنّه وصيّه والإمام من بعده، كذا جاء فى الروايات عنهم عليهم السلام، ويعاضده سياق الآيات.

والإتيان بالوصف «عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ» مشعر بالعلّية، وأنّ الوصف هذا هو الذى أهّله للقيام بهذا العمل.

وآصف ليس نبيّاً بالاتّفاق، فتدلّ الآية على توفّر غير الأنبياء أيضاً على علم لدنى وهو خاصّ، وصنّف هذا العلم بعلم الكتاب وهو علم مرتبط بالأديان،

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۳۲

وبالدقّة: علم السنن الإلهية الكونية والشريعة بحسب التكوين.

وقد جاءت أوصاف العلوم اللدنية فى الروايات متنوّعة: علم الكتاب، فصل الخطاب، علم الوصايا، علم الأصلاب، علم شهادة الأعمال، علم المنايا والبلايا، علم التأويل، علم تأويل الأحاديث، منطق الطير، وغيرها..

كما ألفت القرآن إلى علم الكتاب فى مواضع متعدّدة:

أ- «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا..» «۱»

، وقد نزلت الآية فى كفّار قريش الذين طالبوا الرسول صلى الله عليه و آله بأن يقوم بتسيير الجبال المحيطة بالبيت الحرام بعيداً، ويقطّع الهضاب فى مكّة كى تصير الأرض سهلة زراعية كأرض الشام وتذهب حزونتها، ويحيى لهم موتاهم ممّن مضى، إلّاأن القرآن ذكر أنّ المطلوبات ثلاثة لو أُنجزت بالقرآن لا بالمصحف الشريف المقدّس لما آمنوا، فهذه الآية دالّة على أنّ هذه الأُمور ممّا يمكن تحقّقها بحقيقة القرآن إلّاأنّه تعالى لم يأذن لنبيّه صلى الله عليه و آله بتحقيقها وإيجادها بتوسّط ما لديه من حقيقة القرآن؛ لأنّ مشركى قريش لاـ يفون بشرطهم باستجابتهم للإيمان، ممّا يكشف عن أنّ هذه الأُمور تحصل بالقرآن، سوى أنّه لم يحصل لأنّه لا يؤدّى إلى وفائهم وإيمانهم.

ب- «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» «۲»

، فالخشية ههنا عظيمة، ومن ثمّ جاء: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»، ومن الواضح أنّ نفس المصحف الشريف لو وضع على جبل لاـ يوجب تصدّعه، فمن الواضح أنّ المراد هو نزول حقيقة القرآن على الذات الحقيقية الخفية للجبل، حيث يثبت القرآن الكريم للأشياء الجامدة ذاتاً خفية وراء أجسامها، كقوله تعالى:

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۳۳

«أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ» «۱»

، و «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» «۲»

، ممّا يثبت أنّ لذوات الأشياء إدراك وشعور.

ج- وفى آيات أُخرى: «آتَانِيَ الْكِتَابَ» «۳»

وما أشبه، دالّة على مؤهّلات النبىّ الظاهرة فى أنّ إيتاء الكتاب غير جعل النبوّة، وإنّما هو مقام غيبى آخر وعلم لدنى قد يقترن بالنبوّة.

د- قوله تعالى: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَايَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ

وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِی کِتَابٍ مُبِینٍ» «۴»

، وقوله تعالی: «مَا مِنْ غَائِبَةٍ فِی السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِی کِتَابٍ مُبِینٍ» «۵»

، الدالّ علی أنّ کلّ شیء مستطرٌ فی الکتاب والکتاب المبین، فالذی لدیه علمه یحیط بذلک أو لدیه بعضه فیحیط بقدر منه.

والقرآن هو الکتاب کما ورد فی الواقعة وهی قوله تعالی: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ* فِی کِتَابٍ مَکْنُونٍ» «۶»

، وکذا فی سورة الدخان وهی قوله تعالی: «حم* وَالْکِتَابِ الْمُبِینِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِی لَیْلَةٍ مُبَارَکَةٍ إِنَّا کُنَّا مُنْذِرِینَ..» «۷»

، وغیرها من السور الدالّة.

وقد منح شطر من العلم المزبور لآصف بن برخیا.

ونرجع دفّة الکلام إلی أصل القصّة وبدایتها من قوله تعالی: «قَالَ یَا أَیُّهَا الْمَلَأُ أَیُّکُمْ یَأْتِینِی بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ یَأْتُونِی مُسْلِمِینَ* قَالَ عِفْرِیتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِکَ وَإِنِّی عَلَیْهِ لَقَوِیٌّ أَمِینٌ* قَالَ الَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْکِتَابِ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ یَرْتَدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّی لِیَبْلُوَنِی أَأَشْکُرُ أَمْ

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۵۳۴

أَکْفُرُ وَمَنْ شَکَرَ فَإِنَّمَا یَشْکُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ کَفَرَ فَإِنَّ رَبِّی غَنِیٌّ کَرِیمٌ» «۱»

.والمفاد الأوّلی لهذه الآیة: أنّ جلیس سلیمان لم یصفه القرآن بأنّه نبیّ ولا مرسل، بل لدیه علم من الکتاب، فی حین یثبت له القرآن الکریم علم غیر کسبی.

ثمّ یستفاد من الآیة أُمور:

أوّلًا: إنّ جلیس سلیمان الذی هو آصف بن برخیا- والذی علیه الفریقان- لم یکن نبیّاً ولا مرسلًا مع ذلک زوّد بعلم لدنی غیر کسبی، ممّا یعنی أن هذا العلم لا یختصّ بنبیّ ولا رسول، بل تعلّق بغیرهما، ولکونه حجّة من الحجج الإلهیة.

ثانیاً: إنّ علمه لدنی غیر کسبی، ودلیل ذلک:

۱- وصفه القرآن الکریم بأنّه علم من الکتاب توطئة لبیان القدرة علی المجیء بعرش بلقیس، والوصف دخیل فی العلّیة، حیث وصف علمه بعلم الکتاب، فالعلّة والسبب لهذا الفعل هو العلم غیر الکسبی بل اللدنی کما یقال فی علم البلاغة والبیان الوصف مشعر بالعلّیة.

۲- إنّ آصف بن برخیا مؤهّل لهذه المهمّة الإلهیة التی تُعدّ إحدی المقامات العالیة التی لا ینالها إلّاأهلها، ممّا یعنی أنّ آصف بن برخیا فی درجة من الطاعة والعبودیة یستحقّ عندها الاصطفاء لهذه الحبوة الکریمة.

علی أنّ الکتاب المشار إلیه فی الآیة لم یکن هو الکتاب الخطّی المنقوش، بل هو الکتاب الحقیقی الملکوتی الذی یهیمن علی النشآت الأُخری، لذا ورد لفظ الکتاب فی القرآن الکریم فی عدّة موارد مشیراً إلی هذه الحقیقة، کما فی قوله تعالی: «وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِی السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِی کِتَابٍ مُبِینٍ» «۲»

، وقد أشارت إلی ذلک سورة الواقعة فی قوله تعالی: «فِی کِتَابٍ مَکْنُونٍ* لَایَمَسُّهُ إِلَّا

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۵۳۵

الْمُطَهَّرُونَ» «۱»

، وفی سورة الرعد وصف لهذا الکتاب: «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُیِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ کُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَی بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِیعًا..» «۲»

، وکما فی سورة الحشر قوله تعالی: «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَی جَبَلٍ لَرَأَیْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْیَةِ اللَّهِ» «۳»

، فالإنزال المشار إلیه هو إنزال ملکوتی حقیقی، ولیس هذا المصحف المنقوش بل بوجوده اللدنی الملکوتی. ومن آثار هذا العلم اللدنی إمکانیة حامله بإتیان عرش بلقیس قبل أن یرتدّ الطرف، وهی قدرة خارقة عجیبة حاز علیها آصف بن برخیا بتحمّله هذا العلم الإلهی الذی هو بعض ذلک العلم، لتنکیر کلمة (علم) الواردة فی الآیة ولفظة (من) ممّا یشیر إلی أنّ آصف حُبی ببعضه فقط.

كما يجب التنويه إلى أنّ وجود علم الكتاب عند غير الأنبياء دليل تشريك فى المسؤولية والحجّية بينهم وبين مَن عنده علم الكتاب وهم الحجج.

وبانتظام ومطابقة بين علم الكتاب فى سورة الرعد وعلم الكتاب فى سورة الواقعة يُتنبه إلى حقائق:

الأُولى: إنّ سوراً عديدة تفسّر الكتاب المبين بالقرآن، كما هو عليه سورة الدخان فى قوله تعالى: «حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ» «۴»

، والتنزيل إشارة إلى أنّ المنزّل هو ذلك القرآن الذى وصفته الآية بالكتاب المبين، وكما فى سورة الواقعة عند قوله تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِى كِتَابٍ مَكْنُونٍ» «۵»

، وقوله تعالى فى سورة النمل: «وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ» «۶»

، ممّا يعنى أنّ الكتاب المشار هو القرآن الكريم.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۳۶

الثانية: إنّ الكتاب تارةً يُطلق على جنس الكتاب، وتارةً يُطلق على الكتاب العهدى للّام العهدية، والمقصود من الكتاب هنا هو القرآن الكريم لورود اللام العهدية فى تعريفه، وأنّ للقرآن مواقع ومنازل كونية ملكوتية، وأنّ المصحف الشريف هو أنزل تلك المواقع والمنازل، ومن ثمّ وصف فى الآيات بأنّه تنزيل الكتاب، أى الدرجة والموقع النازل من الكتاب لا المواقع المكنونة الغيبية القدسية ذات المجد والكرامة.

الثالثة: إنّ القرآن الكريم وصفه اللّه تعالى بأنّه مهيمن على الكتاب، وهذه الصفة تعنى الإحاطة، فما نزل على الأنبياء من الحقائق العلمية والتى أودعت فى كتب مثل التوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وموسى فهى مودعة مثلها فى القرآن الكريم.

والخلاصة:

إنّ ما كان عند آصف بن برخيا هو بعض علم الكتاب أى بعض من القرآن؛ إذ الكتاب هو القرآن الشامل لكلّ الكتب التى أسلفنا.

وتبين عند ذلك أنّ الكتاب له وحدة واحدة وهو القرآن، أى: أنّ المعارف السماوية وحقائقها كلّها أودعت فى القرآن الكريم، وإذا كان آصف بن برخيا قد علِم بعض حقائق القرآن فكيف بمَن أُحيط بعلمه كلّه ظاهراً وباطناً وهو رسول اللّه صلى الله عليه و آله وأوصيائه الحجج المعصومين من أهل بيته الطاهرين (صلوات اللّه عليهم أجمعين)؟

النموذج القرآنى التاسع: قصّة عزير ... ص: ۵۳۶

قوله تعالى: «أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِى هَذِهِ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۳۷

اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ» «۱»

، على اختلاف الروايات عند الفريقين فإنّ الذى مرّ على قرية هل هو إرميا النبىّ أم هو عزير الذى هو أحد الحجج الإلهية؟

وعلى كلا الوجهين فإنّ الذى يهمّنا هو أنّ الكلام الإلهى المقصود فى الآية كونه إسناداً مباشراً إلى اللّه تعالى فهذا الوحى والخطاب الإلهى خوطب به الذى مرّ على القرية.

وعلى فرض أنّ المقصود هو عزير- وهو المشهور بين الفريقين- فإنّ عزير لم يكن نبيّاً، بل هو حجّة من حجج اللّه تعالى، ومع ذلك فقد حصل على مقام التكليم مع اللّه تعالى مباشرة، ممّا يعنى أنّ التكليم الإلهى ليس من مختصّات مقام النبوّة فقط، بل يشترك معها مقام الحجج الإلهية كذلك.

ولسائل أن يقول: إذا كان نبيّ اللّه إبراهيم قد سأل اللّه تعالى بنفسه ما سأل عزير حين قال حكاية عن إبراهيم: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي» «۲»

، فكان ذكره في مقام مدح وثناء، بينما كان تساؤل عزير في مقام ذمّ واستياء كما يفيد ظاهر الآيتين وسياقهما.

وقد ذهب المفسّرون أنّ إبراهيم كان في تساؤله طلباً واستفهاماً وغايته الاطمئنان القلبي، في حين كان تساؤل عزير استنكاراً لقدرة اللّه تعالى، وأنّ إبراهيم إستعمل أدباً خاصّاً في طرحه لهذا التساؤل الاستفهامي، لذا فإنّ الإحياء الذي وقع لإبراهيم كان فيه كرامة في حين كان الإحياء لدى عزير واقعاً في نفسه حيث كان محلّاً لقدرة اللّه تعالى.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۳۸

إضاءة حول الرجعة ...: ص: ۵۳۸

وفي قوله تعالى: «كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ».

فالمحاورة التي جرت بين اللّه تعالى وبين عزير كانت على مستوى الروح وليس على مستوى البدن؛ لأنّ بدن عزير لم يتمّ إنشاء إعادته أثناء المحاورة، فلا سمع بدني عندئذٍ ولا لسان ولا جوارح أُخرى تُقدِره على ذلك.

كما أنّ طبيعة النفس الإنسانية إذا وجدت في نشأة بعد نشأة أُخرى فإنّها تكون في حالة غيبوبة، ولدى النفس إقبال على النشأة الجديدة وذهول عن النشأة السابقة كما في قوله تعالى: «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا* يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا* نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا» «۱»

، وهذا ممّا يؤيّد ما تذهب إليه الإمامية في الرجعة، وذلك أنّه لو أُشكل بأنّ القول بالرجعة ينافي كون الدنيا دار امتحان وذلك بسبب إبطال الامتحان فيما سبق من النشآت، ممّا يعني أنّ أهل جهنّم عندما يرجعون إلى دار الدنيا قبل يوم القيامة بسبب ما ذاقوه من عذاب البرزخ سوف يتوبون وأنّ أهل الحقّ سوف يزدادون في أعمال الخير وهذا خلاف حكمة الامتحان في دار الدنيا.

والجواب: إنّ النفس عندما تقبل على نشأة أُخرى جديدة فإنّها تنسى النشأة السابقة وتعيش في نشأة جديدة.

ونفس الجواب يُجاب به لمن أشكل من فلاسفة المسلمين من الخاصّة حيث يستشكلون في عالم الذرّ من أنّ فرض وجود روح والمخاطبة في عالم لو كان كذلك لما نُسي عالم الذرّ في عالم النشأة اللاحقة، وكما أشكل ملّا صدرا إضافة إلى ما سبق- بقوله: ولكنّا معطّلين الوجود في عالم الذرّ أي لو كانت النفس غير

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۳۹

حادثة بحدوث البدن، بأن كانت أسبق منه في الخلق، واستدلّ بأنّا لا نتذكّر أنّا كنّا في حركة وتأثير وفعّالية، ومن ثمّ اختار وأسّس نظريته أنّ النفس جسمانية الحدوث وروحانية البقاء، ورفض كون النفس روحانية الحدوث وروحانية البقاء. والجواب عن كلّ ذلك هو أنّ انبعاث النفس إلى نشأة جديدة وانشدادها إليها ينسيها مشاهد النشأة السابقة والنشآت السابقات، كما يقصّه لنا القرآن الكريم حول نسيان النفوس نشأة البرزخ.

علماً أنّ السؤال الفطري في عالم الذرّ لا ينافي النسيان في النشأة اللاحقة.

وقوله تعالى: «فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ».

إنّ بدن عزير في الظاهر قد بُلي، أمّا الطعام والشراب لم يبلَ، وهو نوع إعجاز، والقدرة الإعجازية هنا تعلّقت بالطعام والشراب الذي لابدّ من فساده ولم يفسد وإحياء ما قد بُلي وهو عزير.

وهذا شاهد قرآني على طول عمر الإمام الحجّة (عج)؛ فإذا أمكن إبقاء قابلية الطعام والشراب على البقاء ففي قدرته تعالى على إبقاء

الإمام الحجّة (عج) أولى.

وقوله تعالى: «وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ»، أى: معجزة للناس، ولم يكن عزير نبيّاً ولا رسولًا.

إنّ كون الشىء آيـة لعموم النوع والجنس مثل خلق الإنسان، فلا تكون الحجّية لكلّ واحد من الناس بخصوصه فى خلقته، فى حين لو كان الإعجاز لشخص معين من حيث هو فعل اللَّه تعالى لشخص من باب التكريم والرحمة، فإنّ هذه الكرامة هى قدرة اللَّه تعالى تظهر فى الشخص الذى هو فى مقام الحجّة الإلهية.

على أنّ الـذى يُحبى بالمعجزة الإلهيـة لا يمكن أن يكون غير حجّة؛ لأنّ ذلك سيكون تغريراً بالمكلّفين، نعم، فيما إذا كانت المعجزة لا من باب التكريم بل من باب النقمة، فإنّ الذى تقع عليه المعجزة عندئذٍ ليس بحجّة، كما حدث لفرعون

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۴۰

وأمثاله من الظالمين.

كما أنّ أغلب موارد غير الحجّية لا يُعبّر عنها بالجعل، بل يُعبّر عنها بغير ذلك، نحو: (ليكون آيـة)، «فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً» «۱»

، فى حين موارد الحجّية أغلبها عبّر عنها القرآن الكريم «بالجعل»، كما فى قوله تعالى:

«وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً» «۲»

، وقوله تعالى: «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً» «۳»

، وهذا ما يؤيّد حجّية عزير، فقوله تعالى: «وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ» «۴»

، والآية هنا آية تكوينية.

قوله تعالى: «قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

وهـذا أحد مؤيّدات حجّية عزير؛ لأنّ العلم هنا إشارة إلى العلم اللدنى لا الاكتسابى، ومن القرائن المؤيّدة أنّ عزير له مقام الحجّة، ذكر فى دعاء أُمّ داود فى النصف من رجب، حيث ورد ذكره فى سياق الحجج كلقمان وخالد بن حنظلة وغيرهما.

قوله تعالى: «قَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ»، إنّ اليهود ادّعوا أنّ العزير ابن اللَّه لا على سبيل البنوّة، بل تشريفاً، كقوله تعالى: «قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا» «۵»

، أى: اتّخاذ تشريفى لا حقيقى على سبيل البنوّة. لـذا فإنّ النبىّ صـلى الله عليه و آله حين حاجـج اليهود- كما فى روايـة الطبرسـى فى الاحتجاج- وسألهم عن سبب اتّخاذهم هـذه الـدعوى، وكون عزير هو ابن اللَّه، فقالوا: لأنّه أحيى التوراة فأقرّهم النبىّ صـلى الله عليه و آله على أنّه أحيى التوراة ولكن لم يؤيّدهم على دعواهم الفاسدة أنّه ابن اللَّه.

وهذه بنفسها قرينة على أنّ الإحياء للتوراة لا يكون إلّامن قبل وصى.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۴۱

وفى رواية ابن عبّاس أنّ اللَّه تعالى ألقى التوراة فى قلب عزير، فهو إلهام لدنى، ولكنّ بعض المفسّرين قالوا: إنّ الإحياء هو جمع أوراق التوراة وليس هو إلقائها، إلّا أنّ الروايات متّجهة إلى الرأى الأوّل وهو إلقاء التوراة من قبل عزير.

وفى رواياتنا أنّ أمير المؤمنين عليه السـلام استنسخ التوراة وتوارثها أهل البيت عليهم السلام، وهو ما يسمّى بالجفر الذى يشمل التوراة وصحف موسى وغيرها، ففيها ما هو كائن.

والقرآن الكريم لم يُخطّئ اليهود فى تعظيم عزير ومقام الحجّية لديه، بل يخطّئهم فى دعواهم أنّ العزير ولد اللَّه، سبحانه عما يصفون.

كما يُلاحظ فى قصّـة عزير نكتـة هامّـة وهى أنّ إحياؤه للتوراة وحفظه للرسالـة دليل على أنّ عزير نفسه مؤهّل أن يُفاض عليه ما أفاض اللَّه تعالى على النبىّ موسى عليه السلام، وهذا دليل على كونه حجّة من حجج اللَّه تعالى.

النموذج القرآنی العاشر: الحواریون ... ص: ۵۴۱

قوله تعالی: «وَإِذْ أَوْحَیْتُ إِلَی الْحَوَارِیِّینَ أَنْ آمِنُوا بِی وَبِرَسُولِی قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ» «۱»

، وظاهر الآیة هو وحی وإحیاء اللَّه لهم مباشرة لا بتوسّط النبیّ عیسی، کما ورد فی الروایة عن أبی جعفر الباقر علیه السلام فی تفسیر العیاشی أنّهم:

أُلهموا، وقولهم استجابة لهذا الوحی تخاطباً مع اللَّه عزّوجلّ، أی اشهد یا اللَّه.

وقد ورد عن الإمام الرضا علیه السلام: «أنّ عدّتهم اثنا عشر، وأنّهم سمّیوا بالحواریین لأنّهم مخلصین فی أنفسهم ومخلّصین لغیرهم من أوساخ الذنوب» «۲»

، وکذلک عن

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۵۴۲

الإمام الرضا علیه السلام: «إنّ عدّتهم اثنا عشر وکان أفضلهم الوقا» «۱»

، وفی احتجاج الرضا علیه السلام علی جاثلیق النصاری فی مجلس المأمون، قال علیه السلام: «أنا مقرّ بنبوّة عیسی وکتابه وما بشّر به أُمّته وأقرّت به الحواریون» «۲»

. أی بشارته لأُمّته بسید الأنبیاء وهو الذی أقرّت به الحواریون، فیظهر من کلامه علیه السلام أنّ الحواریین هم من الحجج المنصوبین، حیث احتجّ بإقرارهم. وفی روایة عن أبی جعفر علیه السلام: «ثمّ إنّ اللَّه أرسل عیسی بن مریم إلی بنی إسرائیل خاصّة، فکانت نبوّته فی بیت المقدس، وکان من بعده الحواریون اثنی عشر، فلم یزل الإیمان یستسر فی بقیة أهله منذ رفع اللَّه عیسی علیه السلام، وأرسل اللَّه تعالی محمّداً صلی الله علیه و آله إلی الجنّ والإنس عامّة، وکان خاتم الأنبیاء وکان من بعده الاثنا عشر الأوصیاء علیهم السلام» «۳».

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۵۴۳

القائمة الثانیةمن النماذج القرآنیة ... ص: ۵۴۳

اشارة

وهو ما حبی اللَّه تعالی به من الأنبیاء والرسل کما فی القرآن الکریم من مقامات ومناصب إلهیة، لا ترتبط وحیثیة النبوّة، إلّاأنّ أهل سنّة الجماعة فسّروا هذه المقامات بأنّها من باب الإعجاز، إلّاأنّ القرآن الکریم وصفها بأنّها مناصب إلهیة ولیس هی لغرض الإعجاز فقط.

وجواب آخر لهذا التوهّم وهو أنّ المعجزة یکفی فیها وقوعها بنحو دفعی فقط فیما کانت من الأفعال، أما استمرارها فلا حاجة إلیه، فالمعجزة کالبارقة الغیبیة لإثبات الإعجاز، والحال أنّ هذه المقامات الموهوبة لهم مستمرّة طیلة أعمارهم الشریفة.

وجواب ثالث: إنّ هذه القدرات والمناصب لا ترتبط بحیثیات النبوّة، والشاهد علی ذلک أنّ عصمة الأنبیاء لو کانت فی دائرة التبلیغ فقط دون مقام حکومتهم لاستلزم التدافع عقلًا بین عدم العصمة فی حکومتهم والقول بأنّ نصبهم من اللَّه تعالی؛ وذلک لأنّ أمر اللَّه تعالی بطاعتهم المطلقة یتناقض مع فرض إمکان خطئهم.

فیتبین من ذلک أنّ منصب الحاکمیة والحکومة والإمامة الثابت لسید الرسل ولمن قبله فی جملة من الرسل هو مقام لهم لدنی زائد علی مقام النبوّة، وهذا ممّا یدلّل علی أنّ المقامات الإلهیة لا تختصّ بالنبوّة والرسالة فقط، بل تشمل الحاکمیة وهی الإمامة وغیرها،

كما فى مقام الحجّية فى دائرة محدودة كما فى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۴۴

مريم وأُمّ موسى، ومن ثمّ فإنّ أهل سنّة الجماعة يذعنون للنبيّ صلى الله عليه و آله بالعصمة فى حكومته ولكن يتحاشون من التصريح بذلك؛ خوفاً من لوازمها، ويشهد لإذعانهم الخفى بذلك أنّهم يقرّون بلزوم التوفّر على الفضائل فى من يخلف النبىّ صلى الله عليه و آله ولابدّ أن يكون صاحب فضائل يفوق غيره.

وهذه الفضائل والمناقب التى يذعنون بلزومها فيمن يخلف النبىّ إذا أمعن النظر فى معانيها وحقيقتها يتّضح أنّها هى حقيقة العصمة، وأنّهم اضطرّوا إلى دعوى أنّ الخلفاء الثلاثة هم أفضل الخلق لأجل ذلك، فهذا إقرار خفى منهم بأنّ المفضول لا يقدّم على الفاضل، وبذلك أذعنوا إلى حقيقة مهمّة وهى أنّ من يتولّى منصب الإمامة والخلافة لابدّ من عصمته، إلّاأنّهم يحاولون الاجتناب عن التصريح بذلك.

إذن فهناك حبوات ملكوتية تُعطى للأنبياء ليس على سبيل الإعجاز فقط، بل هى عناوين ومناصب إلهية أُخرى غير النبوّة.

ومعنى ذلك أنّ هذه المقامات لدى الأنبياء لا بما هم أنبياء، بل بما هم أولياء، فهذه الجهات مجعولة من قبل اللَّه تعالى بما هم حجج أولياء؛ لغرض الهداية الإيصالية، فالقرآن نبّه على هذه المقامات بما هم حكام أولياء لا بما هم رسل أنبياء.

النموذج الأول لهذه القائمة: آدم عليه السلام ... ص: ۵۴۴

قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۴۵

تَعْلَمُونَ» «۱»

، والآية مطلقة فى الجعل الكلّى للخلافة والإمامة، والخلافة هى ولاية مطلقة، والنيابة هى ولاية متوسّطة، والوكالة هى ولاية ضعيفة.

والقرآن الكريم لا يستعرض بصراحة نبوّة آدم بل صرّح بخلافته، لذا أنكر بعض المنحرفين نبوّة آدم لعدم التصريح بذلك فى الآيات.

قوله تعالى: «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ»، فاعتراضهم من جهة ولاية آدم وليس فى تبليغه كنبىّ.

قوله تعالى: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ»، وتعليم الأسماء ليس فيه بعثٌ لآدم فى مقام النبوّة، فهى ليست شريعة ولا منهاجاً، بل حقائق مقامات تكوينية مرتبطة بأصل الديانة والولاية الإلهية.

والآية بينت أنّ ولاية آدم ليست مختصّة فى الأرض، بل هى شاملة على الملائكة والإنس والجنّ، فالكلّ تُفترض عليه طاعة آدم.

وفى قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» «۲»

، والاصطفاء لا يختصّ بالنبوّة، بل يعمّ سائر المقامات والفضائل والكمالات اللدنية الوهبية، هذا الاصطفاء كالجنس العامّ للمقامات الغيبية؛ وذلك لدخول مريم عليها السلام فى آل عمران مع كونها غير نبىّ بل كونها حجّة، فالاصطفاء إذن هو اجتباء للطهارة والعصمة وللمقام من المقامات الغيبية.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۴۶

النموذج الثانى: إبراهيم عليه السلام ... ص: ۵۴۶

قوله تعالى: «وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَايَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» «۱»

، إنّ أصل الإمامة ليس هو مجرّد منصب اعتبارى، بل هو منصب تكوينى غيبى، وجعل إبراهيم إماماً إحدى درجاته النازلة هو الإدارة الظاهرة المعلنة أو الخفية لشؤون البشر، وتزويده بالعلم اللدنى وجعله إماماً هو مقام غيبى يغاير مقام النبوّة.

وإذا كانت الهداية الإراءية أى بقاء الشرائع والتى هى من مهام الأنبياء غير منقطعة فى أى حقبة من حقبات البشر، فإنّ الهداية الإيصالية التى هى من مهام الإمامة غير منقطعة كذلك، ومعنى ذلك أنّ الإمامة لا يمكن أن تنقطع أبداً، فمنصب الإمامة يؤكّده القرآن كسنّة إلهية، وليس هو بدعاً فى العقيدة بل عقيدة قرآنية راسخة.

قوله تعالى: «تِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ» «۲»

، ومعنى الإيتاء هنا هو الإيتاء بالعلوم اللدنية والمقامات الإلهية التى ليست زائدة على شؤون النبوّة وحيثياتها.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ» «۳»

، فإيتاء الكتاب والحكمة يغاير النبوّة، بشهادة سياق التعداد لبيان تنوّع النعم والمنن على بنى إسرائيل، فكيف يُدّعى أنّ إيتاء الكتاب والحكمة هى النبوّة؟ ويعلم من الآية الكريمة أنّ الذى عنده علم الكتاب ليس بالضرورة أن يكون نبيّاً كما هو الحال فى آصف بن برخيا صاحب سليمان كما تقدّم. بل القرآن فيه موارد متعدّدة تدلّل على أنّ الإيتاء غير النبوّة.

قوله تعالى: «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۴۷

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» «۱»

، فالكتاب والحكمة وإيتاء الملك العظيم ليس يتعلّق بحيثيات النبوّة، والملك سنخ ملكوتى لدنى وليس سنخ اعتبارى، ومن هنا يُفسّر الملك العظيم كما فى الروايات بأنّه الإمامة.

لأنّ الملك مصحوب بالقدرة نظير عنوان الخلافة، كما فى آدم زوّد بالأسماء ثمّ سجدت له الملائكة، فقدرته نابعة من الأسماء التى علّمها اللَّه تعالى إيّاه.

ودُعّم هذا المعنى بنفس الآية فى قوله تعالى: «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ»، وهذا هو الملك العظيم الذى هو القدرة وطاعة وخضوع جميع الملائكة فى السموات والأرضين وائتمارهم للخليفة فضلًا عمّن هو تحت سيطرة الملائكة.

قوله تعالى: «وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» «۲»

، يُعبّر عن الإمامة بتعابير مختلفة، فمرّة يُعبّر عنها بالملك، وأُخرى يُعبّر عنها بالخليفة والإمامة، ورابعاً يُعبّر عنها بالكلمة، وإلى غير ذلك.

وذهب بعض أهل سنّة الخلافة بأنّ الكلمة هى كلمة التوحيد، أى مجرّد قول لا إله إلّااللَّه على اللسان، وهذا غير موافق لظاهر الآية؛ لأنّ إطلاق الكلمة قرآنياً لا يقتصر على الكلمة لفظياً، فقد أطلق على عيسى بكلمة اللَّه، فالحجج الإلهية هم كلمات اللَّه تعالى، والكتاب التكوينى هو الذى تجمع فيه الكلمات جميعاً، أمّا هذا الكتاب الذى بين أيدينا فهو كتاب اعتبارى جُمعت فيه الكلمات الاعتبارية.

وقوله تعالى: «يُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ» «۳»

أى يقيم الحقّ بكلماته، بيان للقائمين بالهداية الإرائية والإيصالية، والكلمات هم الحجج الذين يتولّون مهام

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۴۸

الهداية الإرائية، ومن ثمّ مهام الهداية الإيصالية كذلك.

وفى قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» «۱»

وإراءة الملكوت مقام زائد على مقام النبوّة، ومن ثمّ امتاز به إبراهيم على جملة من بقية الأنبياء، والملكوت هو الجانب الأمرى والسلطة

على كلّ مخلوق والذى هو بيده تعالى.

النموذج الثالث: إسحاق ويعقوب عليهما السلام ... ص: ۵۴۸

قوله تعالى: «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ» «۲»

، فالجعل هنا كالتعريف لبيان حدود المعنى للإمامة، إذ هناك منصب آخر غير النبوّة وهو منصب الإمامة كما ورد فى القرآن الكريم، والهداية المعبّر عنها بقوله تعالى:

«يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا» هى هداية أمرية وهى هداية ملكوتية فى مقابل الهداية الملكية، وقد تقدّم شطر من بيان معنى الأمر من الكلام فى الفصل السابق فى مباحث ليلة القدر والفصول السابقة أيضاً، وأنّ الأمر هو الروح الأمرى وهو روح القدس الذى يتنزّل ليلة القدر وينزل الملائكة معه.

وقوله تعالى: «وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ..»، ممّا يدلّ على أنّ الإمامة هى وحى تسديدى وليس من الوحى النبوى.

وقوله تعالى: «وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ»، ولم يكن التعبير: (وأوحينا إليهم أن افعلوا الخيرات) والفرق بين التعبيرين أنّ فى التعبير الأوّل متعلّق الوحى ذات فعل الخير تكوينياً، وأمّا فى التعبير الثانى متعلّق الوحى ليس هو ذات الفعل وإنّما هو الأمر التشريعى والطلب الإنشائى للفعل، وهو دليل على أنّ الأئمّة عليهم السلام لديهم

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۴۹

العصمة الفعلية، كما أنّ منصب الإمام ليس هو مجرّد منصب تشريعى اعتبارى، بل منصب تكوينى لدنى.

فهناك عصمة علمية وعصمة عملية لقوله تعالى: «وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ»، ممّا يدلّ على أنّ أفعالهم حجّة إلهية، فضلًا عن أقوالهم صلوات اللَّه عليهم أجمعين.

وقوله تعالى: «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ» «۱»

، والآية تدلّ على وجود الهداية الإيصالية فى الإمامة لقوله تعالى: «وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ»، أى هناك حيثية إيصالية فى هدايتهم لبيان الغاية والعاقبة.

وقوله تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ» «۲»

، وهنا تبين أنّ الإمامة سنخ غيبى غير سنخ النبوّة، فالأمر الإلهى فى القرآن هو جانب الملكوت. والإيقان هو التسليم والمعرفة التامّة، فالإمام لديه اليقين التامّ، أى أنّ الملكوت أمامه دائماً، والروح الأمرى وهو غيب عن عالم السماوات وعن عالم الملائكة، لذا فهو يهدى بالهداية الإيصالية.

وقوله تعالى: «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَاتَعْلَمُونَ» «۳»

، إنّ التعبير «إِنِّى أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَاتَعْلَمُونَ» دليل على أنّ العلم هذا ليس علماً كسبياً، بل هو علم لدنى أوتى به يعقوب غير مرتبط بالنبوّة، هو من غير قناة النبوّة، بل هو من باب الولاية الاصطفائية.

قوله تعالى: «وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِى عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۵۰

شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» «۱»

، وهذا هو العلم الذى عُلّم به يعقوب، غير مرتبط بالنبوّة، بل مرتبط بتدبير الأُمور على نحو التفصيل فى الشؤون المعاشية المرتبط بالولاية، والتعبير لما علّمناه هو تأكيد آخر على كونه علماً لدنياً غير كسبى.

النموذج الرابع: يوسف عليه السلام ... ص: ۵۵۰

قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ» «۲» ، إيتاء علم تأويل الأحاديث ليوسف ليس كسبياً بل هو لدنى، وليس هو من شؤون النبوّة؛ إذ ليس مرتبطاً بالتشريع أو المسائل الاعتقادية. فما المقصود بتأويل الأحاديث؟

إنّ تأويل الأحاديث ليس هو تأويل الرؤيا وحده، بل هو أحد مهامه إذ تأويل الأحاديث أعمّ من ذلك، حيث إنّ كلّ نشأة تأويل للنشأة السابقة، فعالم الأصلاب هو تأويل لعالم الذرّ وعالم الأرحام تأويل لعالم الأصلاب وهكذا، إذ التأويل من الأوْل أى الرجوع، فكلّ نشأة راجعة إلى النشأة السابقة، فالتأويل هو منتهى الشيء والمآل له.

ونبيّ اللَّه يوسف عليه السلام ليس لديه تأويل الرؤيا فحسب، بل لديه علم معرفة مآلات أحداث الدنيا أى عواقب تلك الأحداث الدنيوية.

هذا على مستوى نطاق نبوّة يوسف عليه السلام، فكيف بنبيّ اللَّه الخاتم صلى الله عليه و آله وأوصيائه المعصومين؟ فقد حُبوا أكثر وأعظم مما حُبى به يوسف عليه السلام، وذلك لقوله تعالى:

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۵۱

«وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» «۱»

، والضمير فى تأويله عائد إلى كلّ الكتاب، وتأويل كلّ الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ولا رطب ولا يابس ولا غائبة فى السماء والأرض إلّاأحصاها، ومعلوم أنّ الراسخين فى العلم فى هذه الأُمّة هم صلوات اللَّه عليهم أجمعين؛ وذلك بشهادة آية التطهير، وأنّ أهل البيت هم المطهّرون فى هذه الأُمّة، وقد قال تعالى: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ* تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» «۲»

.وأما قوله تعالى: «هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا» «۳»

، فالظاهر أنّ ذلك إشارة إلى ما أنعم اللَّه عليه من معرفة تأويل الأحاديث، ومنه تفسير الرؤيا الذى عرف به مآل مستقبل أهله وإخوته. وهذا نوع من أنواع العلم اللدنى الذى حُبى به يوسف عليه السلام، ولا ربط له بالرسالة بل بعلوم الولاية. وتأويل الأحاديث أعمّ من تعبير الرؤيا إلّاأنّه أخصّ من تأويل القرآن؛ لأنّ تأويل القرآن تأويل لكلّ النشأت السابقة واللاحقة للنشآت الأُخروية، فالذى يحيط بعلم تأويل القرآن هو أعلم ومهيمن على علم من يحيط بتأويل الأحاديث، ومن هذا القبيل قوله تعالى: «وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا» «۴»

، إشارة إلى أنّ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۵۲

الاستنباط بالمعنى القرآنى لا- بمعنى الاجتهاد الظنّى؛ إذ هو لا- يورث العلم ولا- يوقى عن اتّباع الشيطان فى تدبير النظام الاجتماعى السياسى؛ إذ يتوقّف ذلك علاوة على العلم المحيط بالتشريعات الإلهية، على العلم اللدنى المحيط بالموضوعات فى الشؤون المختلفة وعلم الأحداث الذى يزوّد به وليّ الأمر فى ليلة القدر، حيث يتنزّل عليه تفاصيل كلّ الأحداث المستقبلية صغيرها وكبيرها وقد تقدّم شطر وافر من الكلام فى الفصل السابع من مباحث ليلة القدر، وقرينة على إرادة هذا المفاد من الآية هو التعبير ب (لَعَلِمَه) الظاهر فى حقيقة العلم لا الظنّ، لا سيما قد وصف هذا العلم بأنّه يوقى بنحو دائم بات عن اتّباع الشيطان، وهو أشرف من علم تأويل الأحاديث.

قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ* وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» «۱»

، إنّ الآية تبيّن أنّ التمكين بيد اللَّه تعالى فزمام الأُمور الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وكلّ دقائق الحياة- كما سيأتى بيانه مفصّلًا- موكول أمره إلى اللَّه تعالى.

وتمكين يوسف فى الأرض مقاماً غير النبوّة، بل هو مقام حاكمية من قبل اللَّه تعالى، وهى إحدى الحبوات التى حُبى بها يوسف عليه السلام.

وإنّ ما عمله أُخوة يوسف عليه السلام هو بنفسه يصبّ فى الغرض الإلهى وإن كان معصية من قبلهم، وهذه سنّة لا تتخلّف من أنّ كلّ ما يعمله الظالمون والمفسدون فإنّه غير غالب لتدبير اللَّه تعالى، بل اللَّه تعالى غالب على أمره قد جعل اللَّه لكلّ شىء قدراً «وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» «۲»

فإنّه أخيراً سيصبّ فى الغرض الإلهى، ولا- يعنى هذا حسن عمل السوء، فالقبيح يبقى قبيحاً، وعمل السوء يحيق بصاحبه: «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» «۳»

، ولا يضرّ اللَّه شيئاً

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۵۳

وهو ما تؤكّده الآية التالية- نظير عمل إبليس، فإنّ دخول الشرور فى منظومة الخلقة الإلهية لا يخرج الأمر عن تدبيره تعالى، ولا يعيق قيد شعرة الخطّة الإدارية التكوينية عن الوصول إلى الغايات الكمالية.

قوله تعالى: «وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ» وهذا تأكيد على أنّ كلّ مجريات العالم بدقائقه وكلّياته مرتبطة بإرادته تعالى، وهذا خلاف ما ادّعته اليهود بأنّ يد اللَّه مغلولة فأجابهم اللَّه تعالى بقوله: «بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ»، فالإرادات التكوينية للمخلوقين لا يمكن أن تتخطّى إرادة اللَّه تعالى، لا- بمعنى إلجائهم بنحو يفقدهم الاختيار إلى الجبر، بل بمعنى إنّ ما يفعلوه من أفعال الشرّ يستثمره البارى تعالى بلطيف قضاءه وقدره ومكنون حكمته فى تحقيق الغايات الكمالية الإلهية، ففعلهم شرّ، إلّاأنّ فعله تعالى فى تدبير القضاء والقدر لاستثمار ذلك خير تامّ بالغ، فكيف نتصوّر بعد ذلك أنّ اللَّه تعالى قد رفع اليد عن الأُمور الاجتماعية وأهمّها قيادة المجتمع الذى يمثّله تعيين الإمام الخليفة بعد النبىّ صلى الله عليه و آله.

قوله تعالى: «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ»، أى: لا يعلمون أنّ كلّ حدث يجرى ويصبّ هو فى الإرادة الإلهية.

وبالتدبّر فى سيرة حكومة النبىّ صلى الله عليه و آله فى القرآن، وتصرّف وإرادات اللَّه تعالى فى حكومة النبىّ صلى الله عليه و آله المستعرضة فى القرآن واضحة جلية، فهل يعقل انقطاع تصرّف الإرادات الإلهية فى تدبير النظام البشرى بعد وفاة النبىّ صلى الله عليه و آله لعدم تعيين الخليفة الذى تتنزّل عليه المشيئة الإلهية والإمام من قبل اللَّه تعالى؟

فالقول بعدم تعيين الإمام من قبل اللَّه تعالى تعطيل محض لإرادات اللَّه تعالى وحكمه وحاكميته فى تدبير النظام البشرى.

قوله تعالى: «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ»، فإيتاء العلم والحكمة جزاء لمن وصل إلى مقام الإحسان؛ لقوله تعالى: «وَكَذَلِكَ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۵۴

نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ»، ولا علاقة لهذا الإيتاء بالنبوّة.

فالعلم اللدنى هنا لمقام المحسنين وليس للنبوّة، وهو ما يتوفّر لدى الأئمّة عليهم السلام الذين آتاهم اللَّه تعالى علماً لدنياً بسبب مقامات عدّة ليس لها علاقة بمقام الرسالة، بل لكونهم حججاً مصطفين.

قوله تعالى: «كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ»، فصرف السوء والفحشاء ليس لكونه نبيّاً فقط، بل لكونه

من عباده المخلَصين، وقد عبّر تعالى بقوله: «لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ»، أى نمنع عنه السوء والفحشاء، ولم يقل ونصرفه عن السوء والفحشاء، أى نبعد السوء عن أن يقترب إليه، وليس إبعاد يوسف عن أن يقترب إلى السوء والفحشاء؛ إذ لم يكن من قبل النبىّ يوسف إقبال على الفحشاء والسوء كى يُبعد عنه، بل الفحشاء فى فعل زليخا حيث أرادت أن تقبل على يوسف فصُرفت عنه، فهذه دلالة على عصمة يوسف ذاتاً بل وعصمته عن أن يُخترق حريم عصمته من البيئة المعاشة.

وبذلك يظهر دلالة قوله تعالى الذى هو بنفس التعبير والتركيب: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» «۱»

على عصمتهم الذاتية وعلى عصمتهم عن أن يخترق الرجس حريم عصمتهم، كما يشير إلى ذلك أيضاً ما فى زيارة سيد الشهداء عليه السلام: «ولم تنجّسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسك من مدلهمّات ثيابها»، وهذا دليل على أنّ يوسف عليه السلام لم يهمّ بها بل هى همّت به.

لذا فإنّ لدى المعصوم شعاع من العصمة يمنع السوء عن المعصوم فضلًا عن عصمته الذاتية. وفى سورة الدهر أكّدت أنّ أهل البيت عليهم السلام من عباد اللَّه المخلصين حيث أخلصوا مع اللَّه تعالى فانتجبهم واجتباهم، وحيث جعلوا فوق مقام الأبرار

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۵۵

فهم يسقون الأبرار من عين الكافور فيمزجون شرابهم منه.

قوله تعالى: «وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِى بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ* قَالَ اجْعَلْنِى عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ* وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» «۱»

.وهذه المرتبة حيثية أُخرى غير النبوّة يمكن أن تجعل النبىّ حاكماً فى الأرض، والشرائط الشرعية فى كونه حاكماً أن يكون حفيظاً عليماً، وهى بعينها شرائط الإمامة، وهى كونه تتوفّر لديه العصمة العلمية (عليم)، فضلًا عن العملية (حفيظ)، بخلاف من قال بتقديم المفضول على الفاضل كما ذهبت إليه المعتزلة.

وفى الآية مفهوم من أقوى المفاهيم، وهو مفهوم التعليل حيث علّلت العلم علّة لمنصب الحاكمية والجاهل ليس له ذلك، وهذا ما تلتزم به الإمامية من كون الإمام والخليفة لابدّ أن تتوفّر لديه العصمة العلمية فضلًا عن العملية، فيكون عليماً بنظم التدبير فى النظام الحاكم فى مجالاته المختلفة، ولا يجهل أوفق البرامج الموصلة إلى المثل العليا فى الكمال فى الأنظمة الاجتماعية فى الميادين المختلفة، ويكون حافظ لهذه الأمانة فى الحاكمية فلا- يميل به الهوى ولا تستولى عليه العصبية ولا يغلبه التجبّر ولا يقعده الجبن، إلى غير ذلك من الصفاة المانعة من حفظ الأمانة.

قوله تعالى: «كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ» «۲»

وهى إشارة إلى أنّ الأُمور لدى الأنبياء فضلًا عمّن دونهم كلّياتها وجزئياتها تجرى وفق التدبير الإلهى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۵۶

وضمن مسارات الإرادة الإلهية، فأخذ يوسف أخاه فى دين الملك لم يكن بتدبير يوسف منعزلًا عن الإرادة الإلهية والمشيئة الربّانية.

قوله تعالى: «إِذْهَبُوا بِقَمِيصِى هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ» «۱»

، فخاصّية قميص يوسف أنّه إذا أُلقى على أبيه يرتدّ بصيراً، فكيف ببدن يوسف عليه السلام، لذا فإنّ اللَّه تعالى يكرّم أولياءه بخاصّيات تكوينية.

قوله تعالى: «رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّى فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ» «۲»

وهذا أيضاً تأكيد على أنّ ما أوتى من مقامات لا ترتبط بمقام النبوّة والرسالة بل بمقام الولاية.

النموذج الخامس: موسى عليه السلام ... ص: ۵۵۶

قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ* قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّافَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ* قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ* قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَآءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ* قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَاذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَاشِيَةَ فِيهَا قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ* وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَاتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ* فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» «۳»

.الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۵۷

إنّ البقرة هنا لها خاصّية إحياء الموتى على يد موسى عليه السلام فكيف بالنبيّ أو الوصيّ عليهما السلام، وليس في ذلك غلوّ أو خلاف الحقّ، بل القرآن ينصّ على خصائص تكوينية لأجسام الأنبياء والأوصياء.

ثمّ إنّ الآية وهى فى منازعة قضائية جنائية تؤكّد أمراً مهمّاً وهو متابعة اللَّه تعالى للمجتمع الإسرائيلى الذى أسّسه موسى عليه السلام فى كلّ صغيرة وكبيرة، وهذا يعنى أنّ اللَّه تعالى يباشر حكومة هذا المجتمع عن طريق موسى فى السياسات الكلّية والجزئية ممّا يؤكّد أنّ اللَّه تعالى يمارس الحاكمية بشكل تفصيلى بكلّ دقائق الأُمور وكلّياتها.

إنّ التوجّه السائد لدى أهل سنّة الجماعة والخلافة- وللأسف- أنّهم يُبعدون الذات المقدّسة عن ساحة الأحداث، وهو لازم قولهم إنّ خلافة النبيّ صلى الله عليه و آله أمر دنيوى لا دخل للحاكمية والولاية الإلهية التفصيلية فيه، أى تعطيل الدور الإلهى وإزوائه، والإرادة الإلهية التفصيلية والمشيئة التنفيذية لا تتنزّل على أحد إلّاعلى نبيّ أو وصى معصوم، وهو ما دفع أهل سنّة الجماعة- على ما يبدو- إلى عدم الالتزام بهذه الحقيقة القرآنية العظيمة وهى حاكمية اللَّه وسلطته التنفيذية فى تفاصيل تدبير النظام البشرى السياسى والاجتماعى.

قوله تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ» «۱»

، والآية صريحة فى عقيدة الإمامية من كون الحكم بالشريعة فى النظام الاجتماعى السياسى هو للأنبياء، وهو منصب يختصّون به، والمرتبة الثانية أنّ الحكم للربّانيين وهم الأولياء المصطفون، والرتبة الثالثة الحكم للأحبار أى

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۵۸

العلماء وهذه الطولية فى جعل الحكم هى لمغايرة الربّانيين للأحبار.

والربّانى هو المنسوب إلى الربّ وهى صيغة مبالغة وهذه الصيغة تدلّ على شدّة القرب للَّهتعالى فهو لابدّ أن يكون معصوماً، والربانية هى مرتبة اصطفائية وهم الأئمّة عليهم السلام وقرينة أُخرى على المراد بهم الأوصياء بقوله تعالى: «بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ»، فالذى يكون شهيداً على الكتاب كلّه لابدّ أن تكون إحاطته بالكتاب لدنية أى نظير تعبير بمن عنده علم الكتاب، كما تدلّ هذه القرينة على أنّ الربّانى لا تخلو منه الأرض، لأنّه الحافظ لإقامة كتاب اللَّه فى النظام البشرى فقد استحفظ وكان على ذلك شهيداً، فلا يستقلّ الأحبار فى الحكم النيابى عن الربّانى وعن هيمنة وإشراف الوصى المعصوم فى كلّ الأزمان.

قوله تعالى: «إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا» «۱»

، وجعل الملك فى بنى إسرائيل من قبل اللَّه تعالى دليل على كونه جعلًا إلهياً وعهداً منه، وأنّ سنخ جعل الملك كما هو فى جعل

النبوّة، كما فى قصّة طالوت حيث جعله اللَّه ملكاً بغضّ النظر عن اختيار الناس له، والملك هنا ملك تصرّف فهو لا يقتصر على الاعتبار التشريعى، بل الملك هنا أعمّ كما فى قوله تعالى فى آل إبراهيم: «وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» «۲»

، فهو منصب إلهى غير منصب النبوّة؛ إذ إنّ موسى عليه السلام جعل الملك نعمة وحبوة، وهى غير مختصّة ببنى إسرائيل فتعمّ كلّ الأمم، والأُمّة الإسلامية هى أولى فى جعل الملك لديها وهى الإمامة، ففى آيات عدّة عُرّف حدّ الإمامة بالملك وولاية التصرّف.

وقوله تعالى: «وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا» «۳»

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۵۹

فمع كون النقباء غير أنبياء إلّاأنّ التعبير ورد (وبعثنا)، فبعث النقباء كبعث الأنبياء عهد إلهى ملكوتى تكوينى، وقد ورد التعبير بعينه إيضاً فى طالوت حيث قال تعالى على لسان نبىّ بنى إسرائيل: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا» «۱»

كذلك.

والنقابة هى معرفة أحوال القوم وخفاياهم، فالنقيب من نقّب عن أحوال قومه، ولذا فقد ورد فى صفاة الإمام معرفته لأحوال وأسرار أُمّته، حيث ورد فى الروايات إنّ عليه السلام له عمود نور يرى بواسطته أعمال الناس، وهو مفاد قوله تعالى: «وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ» «۲»

، فالمؤمنون ههنا خصوص الأئمة الشهداء على أعمال البشر يرون الأعمال حين صدورها من الإنسان، وهو معنى الشهادة والرؤية لها فى سياق رؤية اللَّه تعالى ومن بعده رسوله صلى الله عليه و آله ومن بعده المؤمنون المعنى بهم ما ذكرهم تعالى فى آخر سورة الحجّ: «هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِى هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ» «۳»

، فهم من نسل إبراهيم الخليل من قريش، فالإمام نقيب بما فيه من التأهيل لمعرفة أحوال البشر.

كما أنّ العدد اثنى عشر له دلالة على الإمامة الاثنى عشر، فالعدد هذا ليس اعتباطى بل سنّة إلهية فى الأُمم؛ إذ ورد أنّ أوصياء كلّ نبىّ اثنا عشر، كما ورد أنّه يجرى فى هذه الأُمّة ما جرى فى بنى إسرائيل، وورد فى الحديث النبوىّ «۴» المتواتر: «أنّ خلفائى اثنى عشر كلّهم من قريش من هذا البطن من بنى هاشم».

قوله تعالى: «وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۶۰

لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ» «۱»

، تدلّل الآية على أنّ الشريعة الموسوية فيها حاكمية وإمامة إلهية؛ لأنّ موسى عليه السلام استخلف هارون عليه السلام فى قومه حاكماً فترة غيابه والتى وهى أربعون ليلة، فكيف لا يستخلف النبىّ عليه السلام إماماً وخليفة بعد وفاته؟ مع أنّ أهل سنّة الجماعة أقرّوا أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله استخلف فى حياته على المدينة المنوّرة عند خروجه فى الغزوات.

قوله تعالى: «وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ» «۲»

، والأُمّة هى المجموعة ذات الهدف الواحد، و (من) تبعيضية أى بعض قوم موسى يقومون بالهداية ويقيمون العدل بالحقّ، ودوام الصفة وإطلاقها يدلّ على العصمة العلمية والعملية؛ إذ الصفة أوتى بها بصيغة جملتين من الفعل المضارع للدلالة على الاستمرار والشمولية، والتعبير فى الجملة الأُولى يدلّ على دوام الفيض العلمى اللدنى لديهم، والتعبير فى الجملة الثانية يدلّ على دوام البسط والتمكين الإلهى لهم لأسباب إقامة العدل، وهم أئمّة وذلك بهديهم وإمامتهم للناس، فكيف فى أُمّة محمّد صلى الله عليه و آله، إذن لا يكون هناك أُمّة منهم أئمّة هدى؟

قوله تعالى: «وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا» «۳»

، فاختيـار موسـى للميقـات هو اختيـاره لهـم إلى مقـام تشـريفى، إلّاأنّ اللّه تعالى لم يرتضِ أهليـة هؤلاء؛ لأنّ فيهم السـفهاء وهـم جهلاء ظـالمون، فلا يكونوا مؤهّلين لسـماع الوحى والتكليم الإلهى، لقوله تعالى لإبراهيم فى إمامـة ذرّيته: «لَايَنَالُ عَهْـدِى الظَّالِمِينَ»، وكما أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله كلّف أبا بكر تبليغ سورة براءة، إلّاأنّ الوحى استدرك وأمره أن لا يبلّغ إلّا

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۶۱

أنت أو رجل منك، وهذه سنّة إلهية ثابتة.

فالاختيـار والاصـطفاء إذن من اللّه تعالى، فلو كان مع موسـى غير سـفهاء لكانوا مؤهّلين لسـماع الوحى مع أنّهم غير أنبياء، فما تعتقـده الإمامية من أنّ علىّ بن أبى طالب عليه السـلام إسـتمع الوحى ورآه لقوله صـلى الله عليه و آله: «يا علىّ، إنّك تسـمع ما أسمع وترى ما أرى» «۱»

، سـنّة قرآنية أصيلة، ومن ثمّ أمر اللّه نبيّه فى آية المباهلة انتداب علىّ لشهوده الوحى ومسؤوليته لهذه الشهادة هو وزوجه البتول وشبليه سيدا شـباب أهل الجنّة، حيث كانوا أصـحاب الكساء يشاهدون الوحى عياناً، فحمّلهم اللّه تعالى مسؤولية الشهادة فى المباهلة كشركاء تابعين للنبىّ صـلى الله عليه و آله فى الحجّـة الإلهيـة كما فى قوله تعالى: «أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ» وهو الوحى النازل، «وَيَتْلُوهُ» أى يتبعه وتابع له، «شَاهِدٌ» أى يشهد الوحى عياناً ويشهد البينة من الربّ، «مِنْهُ» أى من أهله وبمنزلة نفسه كما فى «أَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ».

وقـد يُعترض بأنّ كلّ مؤمن يشـهد بوحدانية اللّه وبرسالة النبىّ صـلى الله عليه و آله، فلماذا خصوص الأمر الإلهى فى آية المباهلة بأهل البيت عليهم السـلام بأن يشهدوا للنبىّ والرسالة دون غيرهم؟ أليس قد شهد خزيمة بن ثابت للنبىّ صلى الله عليه و آله بما لم يره عندما نازع الأعرابى النبىّ صـلى الله عليه و آله فى عين مال فأمضـى النبىّ شـهادته عن بينة بمنزلة شهادة رجلين؟ وذلك ليقين خزيمة بصدق النبىّ صلى الله عليه و آله.

وللإجابة عن هذا الاستفسار: أنّ شهادة المؤمن حيث كانت تستند إلى إدراك المعجزة الإلهية على نبوّة النبىّ صلى الله عليه و آله فهى إخبار قطعى لا ظنّى، بل هى إخبار عن عيان؛ لأنّ المعجزة كما هو الصـحيح عنـدنا عيان للقدرة للغيبة يتكشّف شـىء من سـتار الغيب، فإدراك المعجزة عيان لبروز القدرة الغيبية الإلهية.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۶۲

لا كما عرفها المتكلّمون من أنّها برهان فكرى فى الاستنتاج الذهنى ومن نمط العلم الحصولى، بل هى علم حضورى فى الأساس، وإن كـانت معجزة علميـة أو تكوينيـة تسـتند إلى الحسّ فى مقـدّماتها وإلى المعـانى الذهنيـة، إلّاأنّ أبصار الإعجاز المترتّب عليها هو عيان وجدانى للقدرة الخارقة الغيبية، ومن ثمّ تكون مسؤولية المؤمن الإقرار والشـهادة والإخبار القطعى بما أدركه عياناً، إلّاأنّ هذا الإدراك لمّا كان محدوداً وبنحو إجمالى كانت المسؤولية الملقاة على كاهل المؤمن هى متناسـبة بقدر ذلك من افتراض الإيمان عليه والتسليم والطاعة، بل والقيام فى الواجبات فى الشريعة.

وهذا بخلاف من يحمل أن يكون قوله وشهادته سنداً بنفسه يقينياً قطعياً لحجّية نفس الرسالة والنبوّة ليضاهى قوله وشهادته المعجزة فى إثبـات الرسالـة، فـإنّ مثـل ذلـك الشـخص والأشـخاص لا ريب ولابـدّ أنّهم يتمتّعون بعيان حضورى لكلّ تفاصـيل الوحى، ويشاكلون ويشـاركون النـبىّ صـلى الله عليه و آله مع تبعيتهم له فى العلم والعيـان لمـا ينزل على النـبىّ صـلى الله عليه و آله، ومن ثمّ خُصّوا بهـذه المسؤولية دون غيرهم، وكانت لهم أهلية ذلك دون بقية كبار الصحابة ودون زوجات النبىّ، كما تقدّم فى اختصاص علىّ بتبليغ سورة براءة دون أبى بكر؛ بـأمر اللّه النازل: لا يبلّغ عنك إلّا أنت أو رجل منك، فكانوا على درجـة من الصـفات توجب اليقين من شـهادتهم على حذو اليقين الحاصل من المعجزة.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا» «۱»

، فـالوزارة للنبوّة جعل إلهى، لـذا فقوله صـلى الله عليه و آله: «أنت منّى بمنزلـة هارون من موسـى»، بمعنى الخلافـة والوزارة والإمامـة،

وكون هارون وزيراً غير كونه نبيّاً.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۶۳

النموذج السادس: سليمان وداود عليهما السلام ... ص: ۵۶۳

قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ* أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ* وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ» «۱»

، فهذه المقامات المذكورة والنعم الموصوفة هي غير مقامات النبوّة، بل هي مقامات إمامة وولاية.

وقوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ» «۲»

، وهي كسابقتها من الآيات إذ الأعطيات التي استوجبت الحمد من قبل داود وسليمان لمكان الحبوة التي حُظيا بها من اللَّه تعالى، لا لمقام النبوّة منهما، بل لحجّيتهما وإمامتهما.

قوله تعالى: «وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ» «۳»

، فقد وصف اللَّه تعالى داود أنّه عبد في هذه الآية والمقام ولم يذكر وصف النبوّة، ممّا يدلّل- بمقتضى أنّ الوصف مشعر بالعلّية- على أنّ هذه الحبوات إنّما أُعطيت له بمقتضى درجة العبودية التي وصل إليها، والتي هي معنى الولاية كما في الخضر حيث قال تعالى «فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا» «۴».

فبيّنت الآية أنّ العلم اللدني والرحمة الخاصّة التي هي من مقامات الولاية وأُعطيت للخضر استحقّها بالعبودية بدرجة خاصّة، فهذه المقامات أُعطيت لداود بسبب مقاماته في العبودية، وهي الولاية؛ لأنّ العبودية هي الجانب الذي يلي من العبد تجاه مولاه، لا بما لداود من مقام النبوّة.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۶۴

فالآيات المتقدّمة تشير إلى حقيقة مهمّة وهي أنّ الحبوات التي حصل عليها الأنبياء لا لمجرّد كونهم أنبياء بل لكونهم حججاً أولياء وأئمّة، فالنبوّة وإن كانت تحتاج إلى المعجزة، إلّاأنّ المعجزة لا ضرورة لدوامها واستمرارها بنحو ممتدّ، بل يكفي وقوعها وحدوثها لإيجابها واستلزامها الثبات على نحو الدوام، أي أنّ وجودها وإن كان دفعياً إلّاأنّ حجّيتها ووصف الحجّية لها مستمرّ؛ إذ هي في حدود تصديق نبوّة النبيّ.

فإذا تمّ الغرض انتفت الضرورة لاستمرار وجودها، وإن كان بعض المعاجز كالقرآن الكريم- معاجز مستمرّة الوجود، بينما هذه الحبوات والمقامات ثابتة لحجج اللَّه تعالى وأوليائه، وهو ما حدث وما يحدث لأئمّة آل البيت عليهم السلام من الحظوة بالمقامات الإلهية التي حازوا عليها وأكرمهم اللَّه تعالى بحبواته، فلا مجال إذن لإنكار هذه الحقيقة المعرفية القرآنية تحت ذريعة وغطاء التفويض والغلوّ كما توهّم البعض.

فإيتاء الملك لداود هي الإمامة. ولولا دفع اللَّه الناس بعضهم ببعض، إشارة إلى التدبير الاجتماعي الذي يديره داود في بني إسرائيل، فإيتاء الملك يختلف عن إيتاء النبوّة، فهو منصب خاصّ من قبل اللَّه تعالى، فالإمامة أهلية خاصّة غير أهلية النبوّة.

قوله تعالى: «أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ» «۱»

، فتوريث الأرض للعباد الصالحين لا لكونهم أنبياء، بل لكونهم عباداً صالحين، وهذا وعد إلهي.

إنّ أحد حدود الإمامة هي العبودية بدرجة فائقة للَّه‌تعالى وهي ولاية ولي اللَّه الإمام وتولّيه لربّه تعالى، وقد روى هارون بن الفضل،

قال: «رأيت أبا الحسن علىّ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۶۵

بن محمّد فى اليوم الذى توفّى فيه أبو جعفر عليه السلام فقال: إنّا للّهوإنا إليه راجعون، مضى أبو جعفر عليه السلام. فقيل له: وكيف عرفت؟ قال: لأنّه تداخلنى ذلّة للّهلم أكن أعرفها» «۱».

وفى رواية أُخرى أنّه عليه السلام سُئل عن كيفية علمه بوفاة أبيه قال: «قد دخلنى من إجلال اللّه ما لم أكن أعرفه قبل ذلك، فعلمت أنّه قد مضى» «۲».

فالإمامة ولاية ملكوتية غيبية وليست ولاية ملك مادّى فقط، بل ولاية عبودية للّه تعالى. والولاية أعلى رتبة من النبوّة، وذلك أنّ الولاية هى جهة القرب والارتباط باللّه تعالى، فولاية كلّ نبىّ هى أعلى وأشرف من نبوّته؛ لأنّها جهة عبودية النبىّ للربّ تعالى، فلذلك الولاية أعظم من النبوّة، أى ولاية ولى اللّه الإمام وتولّيه لربّه.

قوله تعالى: «قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ» «۳»

، إنّ غواية إبليس وإضلاله لا تشمل المخلَصين- بالفتح- فهم معصومون عن غواية إبليس على صعيد العمل وعلى صعيد العلم.

وإنّ سورة الصافات فى أربع مواضع ذكرت (عباد اللّه المخلَصين).

۱- قوله تعالى: «وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ* إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ» «۴».

۲- قوله تعالى: «فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ* إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ» «۵».

۳- قوله تعالى: «فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ* إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ» «۶».

۲- قوله تعالى: «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ* إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ» «۷».

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۶۶

فوصف اللّه تعالى هؤلاء العباد بأنّهم مخلَصين لا تقع منهم معصية ولا يراودهم شكّ أو شبهة، فهم مخلِصين للّهفى عبادتهم، ومخلَصين من أى ذنب أو قبيح.

لذا فإن قوله تعالى: «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ* إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ»، حيث نزّه اللّه تعالى عن كلّ وصف إلّاتوصيف عباد اللّه المخلَصين، وهى أعلى مقامات المخلَصين التى تعنى المعرفة الحقّة له تعالى.

فالصلاح الذاتى وما يترتّب عليه من صفات لم يكن كسبياً، بل هو منصب إلهى اصطفائى جعلى؛ وذلك لقوله تعالى: «وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ» «۱»

.ومثله الرشد الذاتى اللدنى حيث لم يكن عادياً كسبياً، بل هو إلهى جعلى يمنّ على خاصّة عباده؛ لقوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ» «۲».

المشاركة فى الحجية ...: ص: ۵۶۶

قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ» «۳»

، فهذه مشاركة بين موسى وهارون فى الحجّية، فنزول الفرقان لم يختصّ به موسى، بل شاركه هارون كذلك. وهذا مفاد حديث المنزلة، إذ كونه عليه السلام من النبىّ الخاتم صلى الله عليه و آله بمنزلة هارون من موسى، يشير إلى جنبة مشاركة ما ينزل على النبىّ صلى الله عليه و آله، شركة تابع له كما فى قوله تعالى: «أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ» «۴»

.أى يتلو النبىّ صلى الله عليه و آله ويشهد الوحى عياناً وهو البينة من الربّ وهو رجل من النبىّ من نفسه.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۶۷

فقد ورد عنه صلى الله عليه و آله: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» «۱»

، وغيرها من الموارد التى تشير إلى المشاركة، كآية المباهلة وآية التطهير.

النموذج السابع: عيسى عليه السلام ...: ص: ۵۶۷

قوله تعالى: «إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ» «۲»

.فهذه المناصب بعضها لا ربط لها بالنبوّة بما هى نبوّة، وكونه رسولًا هو أحد مناصبه صلى الله عليه و آله، وقوله «أَخْلُقُ لَكُمْ..» بمعنى الخلقة والتكوين وليس هو تشكيل الطين على هيئة الطير فقط.

إنّ شبهة كون الخلقة التى يتولّاها عيسى عليه السلام هو تشكيل فقط دخلت على العامّة، محتجّين بها على كون الخلق لا يمكن أن يقوم به غير اللَّه تعالى، فى حين نقول إنّ الخلقة بأمر اللَّه تعالى ولا مانع من أن يقوم بها أحد عباده المصطفين الذين اصطفاهم اللَّه لهذه المهمّة.

وإنّ تشكيل المادّة لا يقال لها خلقة، بل الخلقة هى حالة إيجاد وتكوين بأقدار اللَّه تعالى وإرادته، مع إمكان تفويض ذلك إلى خاصّة عباده كما هو الحال فى عيسى عليه السلام، تفويضاً غير عزلى أى من دون أن يكون البارى تعالى معزولًا ولا النبىّ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۶۸

عيسى عليه السلام ونحوه من الأولياء مستقلّاً فى فعله كما هو الحال فى غير ذلك من الأفعال، لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين.

ويُستدلّ على ذلك بقوله تعالى:

«فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا» «۱»

، فالنفخ هنا خلق كما فى نفخ الصور، فالنفخ هنا ليس تشكيل، إذ الخلق للطير متفرّع على نفخ عيسى عليه السلام.

ثمّ إحياء الموتى ليس هو كخلق الطير، بل إحياء الموتى هو تزويج الروح بالبدن.

وقوله تعالى: «وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ»، فالإبراء وإن كان إحياء وخلق لكن خلق حال وليس إعادة لحياة الذات، وهذا ما يمكن تصوّره فى أولياء اللَّه المصطفين كالأئمّة عليهم السلام؛ إذ إمكان إعطائهم هذه الحبوة كما أُعطيت لعيسى ليس تفويضاً عزلياً باطلًا تعزل فيه قدرة اللَّه تعالى وهيمنته وقاهريته وقيوميته، كما هو الحال فى أفعال الإنسان لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين، ولا فرق فى تمكين وإقدار البارى للمخلوق على الفعل بين فعل النملة وفعل عزرائيل وميكائيل وأعاظم الملائكة والأرواح؛ فإنّه بقانون واحد لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين، ومن لا يميز بين التفويض العزلى الباطل وبين التفويض بمعنى الإقدار والتمكين فى حين قدرته تعالى من انحسار لقدرته فيما أقدرهم عليه، يحصل لديه الخلط بينهما، كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام فى نهج البلاغة.

قوله تعالى: «إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» «۲»

، إنّ أُصول الدين لا تُنسخ، بل النسخ يكون فى الفروع، كما أنّ أركان الفروع غير منسوخة، فأُصول المحرّمات هى واحدة فى كلّ الشرائع كحرمة الزنا

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۶۹

والكذب والغشّ وغيرها، وكذلك أُصول الواجبات.

فالنسخ لا يكون فى المعارف ولا إلغاءً لها، بل الحال فيها حالات تكامل وتوسّع وتعمّق، وكذلك الكتب الإلهية فى نسخها الأصلية غير المحرّفة والتى هى عند الإمام المهدى (عج) لكونه وارث الأنبياء والمرسلين كذلك، وشرائعها السابقة لها قدسيتها فى القرآن الكريم وفى كلام أهل البيت عليهم السلام.

فمع أنّ عيسى عليه السلام قد نسخت شريعته، فهو مع ذلك سيكون له دور مهمّ فى شريعة الإسلام، إذ سيؤدّى دوره المقدّر من قبل اللَّه تعالى حيث نزوله من السماء والتحاقه بالإمام المهدى المنتظر (عج).

على أنّه تجدر الإشارة إلى أنّ غيبة الإمام (عج) لا تعنى أكثر من خفاء هوية وليس تغييباً لوجوده ولا إبعاده عن مسرح الأحداث ولا مزايلة عن تدبير الأوضاع البشرية، ولذلك الاعتقاد أدلّة قائمة قد مرّ الإشارة إليها. وظهور الإمام (عج) يعنى ظهور هويته المغيبة أى المخفية المستترة، وليس بداية لحضور وجوده الشريف، بل وجوده حاضر بيننا نعيشه بوجداننا وأعماقنا.

وكلمة (متوفّيك)، أى قابضك، فهو قبض له حتّى يبعثه اللَّه إلى حيث يوجّهه لمناصرة وليه الإمام المهدى (عج) ومؤازرته.

قوله تعالى: «وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» «۱»

، فروح القدس حبوة إلهية لعيسى عليه السلام، وهى ليست من خصائص النبوّة كما أنّ روح القدس قد تقدّم الحديث عنه مبسوطاً فى الفصل السابع فى مباحث ليلة القدر، وهو نور كما فُسّر بلحاظ الهيمنة العلمية، فهو مع الأئمّة عليهم السلام، وهو بلحاظ المناصب الأُخرى غير النبوّة.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۷۰

قوله تعالى: «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ» «۱»

، ومضافاً إلى كون عيسى عليه السلام رسول اللَّه فقد وُصِف أيضاً بأنّه كلمته وأنّه روح اللَّه. والكلمة هى الشىء التكوينى الدالّ على معنى بدلالة تكوينية لا فرض اعتبارى أدبى، وهذا المعنى هو الأصل فى معنى ومصداق الكلمة حقيقة، وأمّا الكلمة التى تتداول فى الكلام المحاورى فهى اعتبارية يعتبرها ويفترضها المتكلّم والمخاطب فيما بينهم، فعيسى هو كلمة اللَّه وهو اسمه أيضاً؛ لأنّ الاسم فى اللغة يعنى السمة والعلامة، وهو نفس معنى كلمته وهو آية من آيات ربوبيته كما قال تعالى: «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً» «۲»

، وقال تعالى: «وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا» «۳»

، والآية فى اللغة العلامة والسمة أيضاً، وعليه تكون الآية والكلمة والاسم بمعنى واحد، أو مشتركة فى أصل معناها.

وكونه روح اللَّه يعنى بوجوده وولادته وحالاته الملكوتية خروجه من الغيب مقاماً، فأضيفت إلى الذات الإلهية تشريفاً لمقامها.

وقد قام الدليل على أنّ الأئمّة كلمات اللَّه كما فى قوله تعالى: «وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَامُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ» «۴»

، ولعلّ الإشارة فى كلمات الصدق وتمامية الكلمات صدقاً هو للمرسلين، وتمامية الكلمة عدلًا هو لجعل اللَّه تعالى للأئمّة الهادين بأمره الذين يوحى إليهم فعل الخيرات وإقامة العدل، ولا ريب أنّ من كلمات اللَّه فى عموم هذه الآية هو النبىّ عيسى عليه السلام، فالمراد من الكلمات هم الحجج المصطفين.

وقد ورد من طريق الفريقين فى قوله تعالى: «فَتَلَقَّى ءادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۷۱

عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» «۱»

، فقد روى الحاكم فى مستدركه: «أنّ آدم لمّا اقترف الخطيئة قال: يا ربّى أسألك بحقّ محمّد لما غفرت لى. فقال: يا آدم كيف عرفت؟ قال: لأنّك لمّا خلقتنى نظرت إلى العرش فوجدتُ مكتوباً فيه: لا إله إلّااللَّه محمّد رسول اللَّه فرأيت اسمه مقروناً مع اسمك

فعرفته أحبّ الخلق إليک» «۲».

وقد تقدّمت الإشارة فى قوله تعالى حول مريم: «وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ» «۳»

، أنّ مقتضى المقابلة بين الكلمات والكتب قرينة على إرادت الحجج المصطفين الذين منهم النبىّ عيسى عليه السلام، كما ورد عين هذا التعبير فى قوله تعالى لزكريا «أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ» «۴»

، أى مصدّقاً بالنبىّ عيسى، نظير التعبير بمريم: وصدّقت بكلمات ربّها، فكلمات اللَّه وكلمة الربّ تطلق على كلّ من اصطفاه اللَّه من أولياءه الحجج، سواء جعله نبيّاً رسولًا أو جعله إماماً للناس خليفة له فى أرضه، فلا مجال للإنكار ولا للتنكّر عن هذه المعارف القرآنية؛ إذ عيسى حُبى بهذه الحبوة وهو كونه كلمة، وهذه الحبوة ليست من مناصب خصوص النبوّة ولا ـ من حالاتها، وإنّما هى من شؤون عموم الاصطفاء والجعل الإلهى.

قوله تعالى: «إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ* قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ* قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» «۵»

، طلب عيسى من اللَّه سبحانه أن يُنزّل مائدةً من السماء اطمئناناً

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۷۲

لقلوب الحواريين وقد استجاب اللَّه لسؤاله وأكرمه بنزول المائدة، فكانت تلک المائدة كرامةً لعيسى بن مريم عليه السلام، علماً أنّ هذه الكرامة ليس لخصوص منصب كونه نبيّاً ورسول اللَّه، بل لكونه حجّة إلهية، وبذلک فقد ألقى اللَّه حجّته على الحواريين بحجّية عيسى بن مريم، على أنّ الحجّية كلّما اشتدّت كلّما اشتدّت العقوبة واشتدّ تنجيزها.

قوله تعالى: «وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ» «۱»

، قد تفسّر البينات بالمعجزة، إلّاأنّ المعجزة مشتركة مع جميع الأنبياء، فلا يبعد أن تكون البينات منزلة إلهية غير أصل معجزة النبوّة، والقرينة على ذلک هو مجيئه بالحكمة، فهو إشارة إلى خصوصية اختصّ بها عيسى إضافة لنبوّته.

والعامّة لا يثبتون للنبىّ من وراء نبوّته مقاماً آخر، وهذه مشكلة تُضاف إلى الأذهان لتتبلّد عن معرفة النبوّة ومقاماتها الإلهية وكراماتها من اللَّه تعالى.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۷۳

القائمة الثالثة معجزات الأنبياء ... ص: ۵۷۳

إنّ الهدف من المعجزات هو التصديق والإذعان والإخبات لنبوّة النبىّ الذى يأتى بالمعجزة.

فإتيان موسى عليه السلام بتسع آيات أى معجزات فكلّما أتى بمعجزة ورأوا العذاب قد حلّ بساحتهم، سألوا موسى أن يرفع اللَّه عنهم ما أصابهم حتّى يؤمنوا لمّا شاهدوا من الحقّ، فإذا رُفع عنهم العذاب رجعوا إلى ما هم عليه من التكذيب والبهتان. وهكذا تستمر المعجزة باستمرار الحاجة فى التصديق وإلقاء الحجّة على القوم الذين يأتيهم إنذار من اللَّه تعالى. والمعجزة من سنخ الهداية الإيصالية لا الإرائية المحضة.

وهكذا فى جميع الأنبياء تُلاحظ حالات الإعجاز المتواترة المستمرّة. كما أنّ المعجزة ليست إلّاما عجزت جميع البشرية عن إتيان مثلها، فتحدّى صالح عليه السلام قومه بإتيان ناقة من الجبل لا يعنى تحدّ لقوم صالح وحدهم، بل إنّ التحدّى هذا مستمرّ على مدى استمرار البشرية قاطبة وإلى أبد الآبدين.

فالخطاب والتحدّى عام شامل، فالمعجزة هو التحدّى لإقرار ادّعاء منصب إلهى.

كما أنّ المعجزة شرطها مقام التحدّى فضلًا عن كونها حبوة، إلّاأنّ الإعجاز استمراره قائم إلى اليوم، وسرّ ذلك أنّ آيات اللّه باقية حتّى اليوم والكلام فى المقام

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۷۴

هو كون البينات والآيات المتولّدة من المعجزة سواء كانت علمية أو تكوينية استمرارها وقابلية تحدّيها إلى اليوم.

وخصائص القرآن الإعجازية أنّه علمى، أى أنّ المعجزة القرآنية فى عين أنّه علم فهو قدرة إعجازية غيبية.

ثمّ هل أنّ التصديق من سنخ الهداية الإيصالية أم الهداية الإراءية؟

والهداية الإراءية معرفة المطلب وتشخيصه والتنجيز وإقامة الحجّة، أما الإيصالية فهى الإيصال إلى الهدف. والإمامة هى هداية إيصالية، والذى يدلّل على أنّ الأنبياء المرسلين كلّهم اشتملوا على مقام آخر وهو كونهم أئمّة هداة:

«وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا» «۱»

، هو إتيان الأنبياء للمعاجز، إذ هو دالّ على أنّ هناك غرض إلهى وهو الهداية الإيصالية، فالهداية الإيصالية هى محطّ غرض إلهى وهى الإمامة، وحينئذٍ فإنّ هذه المعاجز هى فى صدد الهداية الإيصالية، وبمعنى آخر: فإنّ المعاجز لا يقتصر غرضها على الإرادة والهداية الإراءية وإقامة الحجّة فقط كما اشتهر عند المتكلّمين.

بل إنّ غرضها هو الهداية الإيصالية، كذلك هى الإمامة، وممّا يعزّز ذلك ما أشرنا إليه فى مواضع متعدّدة من أنّ المعجزة ليست مجرّد برهان من العلم الحصولى كما اشتهر عند المتكلّمين، بل هى برهان عيانى من العلم الحضورى؛ إذ فى المعجزة يدرك ويلمس من يُحتجّ عليه بها لمعان الغيب ويشهد رفع الستار عن وجه من القدرة الغيبية، ومن ثمّ صحّ ممّن احتجّ عليه بالمعجزة أن يشهد ويتشهّد بمؤدّى المعجزة، أى بالأمر الذى أُريد إثباته بالمعجزة، كما يتشهّد المؤمن بالشهادتين وبالشهادة الثالثة، حيث إنّ ذلك التشهّد ليس استعمالًا مجازياً

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۷۵

ولا إقراراً لسانياً كلقلقة محطة، بل هو إخبار قطعى وإنباء عمّا أدركه شهوداً.

ولا سبيل للمؤمن لشهود التوحيد والنبوّة والإمامة والمعاد إلّابعيان الأدلّة الإعجازية سواء العلمية أو الآيات الخارجية: «لا تدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان» «۱»

. ومن ثمّ أجاز النبىّ صلى الله عليه و آله شهادة خزيمة بن ثابت فسُمىّ بذى الشهادتين.

وعلى ضوء ذلك فإنّ من شأن المعجزة الجذب والهداية الموصلة إلى المطلوب من دون إلجاء، فدور النبوّة هو الاحتجاج بتوسيط التعريف بالغرض والغاية، فى حين أنّ الإمامة هى إيصال للغرض، كما فى قوله تعالى: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» «۲»

، فالمنذر هو معرّف للغرض، والهادى هو الموصل بالهداية الإيصالية إلى الغرض. ومعنى ذلك أنّ الإراءة والبيان من صنع اللّه تعالى، أمّا الإيمان- أى التصديق- فهو من فعل البشر، فالنبىّ الباطن هو العقل النظرى، إلّا أنّ العامّة ترى أنّ النبوّة هى مجرّد إراءة وبيان وليس أكثر من ذلك.

فالمعاجز دالّة على أنّ أصحابها لهم مقام الإمامة والتى هى هداية إيصالية دائمة متواجدة، وكونها أحد الأغراض الإلهية الهامّة فى بعثة الأنبياء.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۷۷

القائمة الرابعة مؤدّى السنّة الإلهية فى معاجلة العذاب للأمم ... ص: ۵۷۷

وهو مسلسل العذاب والعقوبات التى تطال الأُمم فى دار الدنيا، وهذا المسلسل يطالعنا فيه القرآن الكريم فى موارد عدّة، مثل قوم لوط

وعاد وقوم ثمود وصالح وموسى.

ومسلسل هـذا العـذاب فى صوره العديدة التى يحكيها القرآن الكريم قد رُفِع عن أُمّة محمّد صـلى الله عليه و آله سواء كان المسخ أو غيره، إلّاأنّ بعض صوره الأُخرى تراودهـا وتعـاقب بهـا، من قبيـل الأمراض والفتن وغيرها، فضـلًا عن الكوارث الطبيعيـة كالفيضانات والزلازل وغيرها.

وإنّ الإرادة التشـريعية الإلهية للأُمم لم يكتفِ اللّه تعالى بتنظيرها اعتباراً، بل أراد تحقّقها فى النشأة الدنيوية، واللّه تعالى يعالج بعضـهم بالعذاب والغرض منه إنجاز الهداية الإيصالية، والقرآن يصرّح فى سورة الفجر بهذه الحقيقة بقوله تعالى:

«أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِعَادٍ* إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ* الَّتِی لَمْ یُخْلَقْ مِثْلُهَا فِی الْبِلَادِ* وَثَمُودَ الَّذِینَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ* وَفِرْعَوْنَ ذِی الْأَوْتَادِ* الَّذِینَ طَغَوْا فِی الْبِلَادِ* فَأَکْثَرُوا فِیهَا الْفَسَادَ* فَصَبَّ عَلَیْهِمْ رَبُّکَ سَوْطَ عَذَابٍ* إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصَادِ» «۱»

، أى أنّ استمرار المراقبة والرقابة الإلهية المستمرّة لمنع الفساد والطغيان فى الأرض.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۷۸

وكـذا فى سورة الحشـر فى إجلاء أهل الكتاب: «وَلَوْلَا أَنْ کَتَبَ اللَّهُ عَلَیْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِی الدُّنْیَا وَلَهُمْ فِی الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ* ذَلِکَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ یُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِیدُ الْعِقَابِ» «۱»

، فعلّل معاجلة العذاب لهم فى الدنيا بمشاققتهم للّهولرسوله، وأنّ هذا سنّة إلهية، وهذا نظير اعتراض الملائكة على اللّه تعالى عند خلق الإنسان بأنّه يريد هلاك الحرث والنسل وسفك الدماء، ولكن البارى عزّوجلّ أنبأهم بالواقع وبخلاف ما ظنّوه وهو خلاف ما اعتقدوه؛ إذ من هذا البشر سيكون أولياء وأنبياء وصلحاء، يهدون إلى الخير والوصول إلى الهداية الإيصالية فضلًا عن الهداية التشريعية.

وإنّ الهدايـة الإيصاليـة هى من غايات الهدايـة التشـريعية وأن يكون المجتمع البشـرى مجتمعاً فاضـلًا تكاملياً وإصـلاحياً لجميع البشـر، والوصول إلى الحقيقـة وهى العبوديـة الخالصـة للّهعزّوجـلّ والوصول إلى الأهـداف والأغراض المطلوبـة، هـذا مضافاً إلى أنّ فريضـة الإيمـان بالمعـاد الغرض منها هو التحرّك والحركـة إلى الهدايـة الإيصاليـة فإنّ الإيمان بالمعاد هو لغرض الوصول إلى الغايـة الحقيقية وهو الهداية الإيصالية، فكون المعاد ضرورة، بمعنى أنّ الأُمور ليست من دون علّة غائية وغرض نهائى.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۷۹

القائمة الخامسة مسلسل سيرة حكومة النبىّ صلى الله عليه و آله فى القرآن ... ص: ۵۷۹

إنّ هذا المسـلسل فى سيرته صـلى الله عليه و آله- خصوصاً فى السور المدنية حيث نلاحظ سـلوكياته وتصـرّفاته السياسية والاجتماعية وغيرها- هى من نمط الهداية الإيصالية التى هى من نمط الإمامة.

فجانب منها فى القضاء، كما فى قوله تعالى: «وَإِذَا دُعُواْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِیَحْکُمَ بَیْنَهُمْ إِذَا فَرِیقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ» «۱»

، وقوله تعالى: «إِنَّمَا کَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِینَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِیَحْکُمَ بَیْنَهُمْ أَنْ یَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» «۲»

.وجـانب آخر فى تـدبيره للأموال العامّـة، كقوله تعالى: «یَسْأَلُونَکَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَیْنِکُمْ وَأَطِیعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ» «۳»

وقوله تعالى: «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَیْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِی الْقُرْبَى» «۴»

.أمّا الجانب السياسى والتنظيم الحربى فلقوله تعالى: «وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِیَانَةً فَانْبِذْ إِلَیْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ» «۵»

، وقوله تعالى: «یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِینَ یَلُونَکُمْ مِنَ الْکُفَّارِ وَلْیَجِدُوا فِیکُمْ غِلْظَةً» «۶»

، وقوله تعالى: «وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۸۰

لَهَا» «۱»

، وقوله تعالى: «مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ» «۲».

وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا اخِذَ مِنْكُمْ» «۳»

، وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ» «۴»

، وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ» «۵»

، وقوله تعالى: «عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ» «۶».

أمّا الجانب الاجتماعی والتقنین الأُسری فلقوله تعالی: «فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَايَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ» «۷».

وفی الجانب الأمنی قوله تعالی: «لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ» «۸».

فضلًا عن الآیات التی تحدّثت عن إقامة أحکام الحدود مثل الزنا والسرقة وغیرها.

کما أنّ الولایة العامّیة وغیرها لیست مرتبطة بالنبوّة، بل بإمامته وولایته صلی الله علیه و آله؛ لقوله تعالی: «النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» «۹»

، بیان صلاحیته صلی الله علیه و آله فی إقامة المعاهدات مع أهل الکتاب أو قتالهم وحقوق المسلمین وما یتعلّق بشؤونهم.

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۵۸۱

إذن فالموارد التی مارسها النبیّ صلی الله علیه و آله وأقام فی حکومته بإجراءاتها وتنفیذ الإرادة الإلهیة فیها، أشار إلیها القرآن بذکر بعض تفاصیلها فضلًا عن الإشارة إلی أحکامها.

وإنّ أوامر اللَّه تعالی للنبیّ صلی الله علیه و آله التی وردت فی القرآن الکریم کانت بمستوی التنفیذ والتنجیز لا- التنظیر الکلّی فقط، وهی تشریعات لإقامة الدولة، حتّی أنّ المسلم لیشعر أنّ الإسلام له دخل فی کلّ تفاصیل حیاته الیومیة فضلًا عن کلّیات أحکامها، والنبیّ صلی الله علیه و آله کان أوّل مصداق فی تطبیق هذه العلاقة القرآنیة.

وبعبارة أُخری: أنّ أسباب النزول فی التشریعات القرآنیة فی دولة الرسول وحکومته لیس مفاد سبب النزول وثمرته التی هی بیان المعنی الکلّی للتشریع وتوضیحه فقط، بل هناک بعد هام بالغ الخطورة أیضاً فی معنی سبب النزول لتلک التشریعات القرآنیة: هو أنّ تلک الموارد لأسباب النزول تصدّی من اللَّه تعالی لتدبیر الحکم السیاسی فی المجالات المختلفة بإرادة إلهیة لا بإرادة نبویّة.

فمن ثمّ التصرّف الحکومی والحاکمی یسند إلیه تعالی، فالحاکم الأوّل فی حکومة الرسول صلی الله علیه و آله لم یکن النبیّ صلی الله علیه و آله، بل هو اللَّه تعالی یتصدّی فی المنعطفات الخطیرة السیاسیة والعسکریة والاقتصادیة والأمنیة وغیرها فی دولة وحکومة الرسول صلی الله علیه و آله، والحاکم الثانی هو الرسول صلی الله علیه و آله، وکذلک الحال فی حکومة أمیر المؤمنین علیه السلام فإنّ الحاکم الأوّل فی المنعطفات الخطیرة هو الباری تعالی ثمّ الرسول صلی الله علیه و آله، عبر ارتباط أمیر المؤمنین بالغیب بالعلم اللدنی، والحاکم الثالث هو أمیر المؤمنین کما فی الأمر بقتال الناکثین والقاسطین والمارقین فی برنامج حکومته علیه السلام، وکذلک فی حکومة الحسنین علیهما السلام علی العراق، وکذلک فی حکومة الإمام المهدی (عج)، وحکومة سائر الأئمّة، فیستشهد بسیرة دولة الرسول فی آیات القرآن علی أنّ الحاکمیة السیاسیة فی التفاصیل الخطیرة کانت بعهدة الباری تعالی.

وذلک أنّ ممارسة القضاء وإدارة السیاسات المالیة والاجتماعیة وغیرها هی من قبل اللَّه تعالی وثانیاً النبیّ صلی الله علیه و آله؛ إذ ولایة الرسول صلی الله علیه و آله التی من خلالها یمارس صلاحیاته فی الحکم والقضاء هی فرع ولایة اللَّه تعالی، فالحکم الجزئی التنفیذی الإجرائی فضلًا عن الکلّی هو من قبل اللَّه تعالی.

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۵۸۲

ففى دولة الرسول الحاكم المباشر لا بمعنى التجسيم والتشبيه، بل بمعنى أنّ إرادته تعالى تتنزّل على رسوله صلى الله عليه و آله فينفّذها من دون أن يكون التصرّف الحكومى منبعثاً من إرادة الرسول صلى الله عليه و آله، فإرادة اللَّه تعالى متنزّلة فى القرارات الجزئية التفصيلية من معاهدات وحروب وعلاقات كذلك.

والإمامية تستشهد بذلك على الإمامة، وهل أنّ اللَّه تعالى يعمل حاكميته السياسية فى فترة معينة دون غيرها من الفترات بغضّ النظر عن ولايته تعالى التكوينية؟

فإذا كان المصدر الرئيسى للأحكام الجزئية التنفيذية التفصيلية فى المنعطفات الخطيرة وممارستها من قبل اللَّه تعالى، فهل هذه الممارسة هى لفترة محدودة تقتصر على الحقبة النبويّة المباركة- أى من خلال وجوده الشريف فقط- دون فترة ما بعد رحيله الشريف، ثمّ تنقطع بعد ذلك ولاية اللَّه تعالى فى الإشراف السياسى وتلغى؟ أم لابدّ لولاية اللَّه تعالى من الاستمرار والدوام والبقاء؟

فإن قلنا بالأوّل- وهو انقطاع ولايته تعالى عند وفاته صلى الله عليه و آله- ألزمنا أنفسنا بالتعطيل وانحسار إرادته تعالى، ومن ثمّ عجزه- والعياذ باللَّه- عن الأمر، وبالتالى عزل إرادته عن الحاكمية على خلقه، تعالى اللَّه عن ذلك علوّاً كبيراً، وقد قال تعالى: «إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ» «۱»

، وأنكر على اليهود قولهم: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ» «۲»

، فيد تصرّفه تعالى مبسوطة لا مغلولة.

وإذا أخذنا بالقول الثانى وهو استمرار ولايته وبقاؤها فعن أى طريق تمرّ وتتنزّل إرادته وولايته تعالى، ومن أى قناة ستكون؟ إذ هو تعالى لا يُحسّ ولا يُجسّ ولا يُجبه.

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۸۳

فالقول بولايته تعالى فى الحاكمية السياسية فى النظام البشرى إذن يلزم منه القول بوجود المعصوم فى كلّ وقت وفى كلّ زمان، وهو معنى قوله تعالى بنحو دائم كلّى عام: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» «۱»

، وقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الأرض لا تخلو من حجّة»، فالحجّة هنا هى القناة المعصومة التى من خلالها إمرار ولايته تعالى وإنفاذها على الخلق، وهو ما يدعو إلى القول بوجود الإمام المعصوم فى كلّ آن من آنات الخلق، فهو سفير اللَّه فى خلقه.

ولذلك يطالعنا القرآن الكريم بسيرته صلى الله عليه و آله، ويضيف إلى ذلك سيرة الأنبياء الباقين فى تأسيس الدولة، كما فى سيرة موسى وسليمان وداود وطالوت وذىالقرنين، فقد أقاموا دولهم وشكّلوها بأمر إلهى صرف استعرض بعض جوانبها القرآن الكريم.

فمباشرة اللَّه تعالى للتفاصيل السياسية فى حاكمية التدبير لجزئيات الأُمور نصّ عليها القرآن الكريم، كما فى قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ»، إذ هذا الاختبار لأصحاب طالوت ليس باختياره، بل هو بأمر اللَّه تعالى كما فى غيرها من موارد أحكام الأنبياء، إلّاأنّ سيرة النبىّ صلى الله عليه و آله تلاحظ بشكل أكثف وأكبر تركيزاً على مستوى آيات القرآن الكريم.

وهنا تنبيه يجدر الإشارة إليه: وهو أنّ بعض المفسّرين لم يبلوروا ويميزوا بين التشريع والتنزيل، وبين مورد النزول ومورد التنزيل، إذ جعلوا مورد النزول والتنزيل مجرّد شاهد ومبيّن لمعنى التنزيل الكلّى أى التشريع العام لا- أكثر من ذلك، وهذا بخس فى حقيقة التنزيل.

فالمفسّرون فهموا أنّ التنزيل دوره تفسيرى إيضاحى للآية دون أن يكون له

الامامة الالهية(۵)، ج۳، ص: ۵۸۴

دور آخر، فى حين أنّ التنزيل هو نوع ممارسة فعلية لحاكمية اللَّه تعالى السياسية فى الجزئيات التفصيلية وسلطته السياسية، وهذا مفاده غير مفاد التشريع، وقد ذهب أهل سنّة الجماعة إلى هذه الشبهة التى تؤول إلى ما اعتقده اليهود من أنّ اللَّه تعالى شرّع فقط ولم يمارس الحاكمية والسلطة السياسية التفصيلية فى تدبير النظام السياسى الاجتماعى والحكم التنفيذى، وهو قوله تعالى: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ

اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ» «۱»

، فالتعطیل الـذی تصوّرته الیهود فی حقّه تعالی، قـد انجرّ إلی بعضـهم حتّی عطّلوا إرادته؛ إیهاماً منهم بأنّ اللَّه تعالی لم یمارس ولایته إلّافی حدود التشریع فقط، أی فی السلطة التشریعیة دون السلطة السیاسیة التنفیذیة والقضائیة.

فی حین أنّ متابعـة سـریعة لآیـات القرآن الکریم یجـد من خلالهـا البـاحث أنّ وقائع قرآنیـة سواء التشـریعیة أو المالیـة أو السیاسـیة أو القضائیة وغیرها لم تنفرد فیها إرادة النبیّ صلی الله علیه و آله دون إرادة اللَّه تعالی.

فالتنزیـل إذن لیس هو تنزیـل لألفاظ التشـریع الکلّی فقط لا غیر، بل هو أحـد جهاته، والتنزیل حقیقـة هو إعمال ولایته تعالی السیاسـیة المباشرة علی جمیع الدقائق والجزئیات التفصیلیة الخطیرة فی منعطفات الحیاة الاجتماعیة السیاسیة.

کما أنّ التنزیل هو تطبیق التشریع الکلّی علی مصادیقه، أی استمرار حاکمیة اللَّه تعالی السیاسیة التفصیلیة فی کلّ الموارد.

ثم إنّ التنزیـل والتأویـل کـلّ منهما انطباق الحکم الکلّی علی مصادیقه، إلّاأنّ الفرق بینهما أنّ التنزیل هو بـدء نزول الأحکام، والتأویل هو استمرار نزول الأحکام.

فحاکمیة اللَّه تعالی هو تنزیل إرادته فی تفاصیل الجزئیات الخطیرة، إذ لا تستند

الامامة الالهیة(۵)، ج۳، ص: ۵۸۵

إلی النبیّ أو الوصیّ علیهما السلام، وهذه موجودة فی کلّ دول الأنبیاء کما فی دول موسی وسلیمان وداود، إذ هم محطات، وطالوت، وهـذه الإرادة الإلهیـة تمارس من قبل المعصوم علیه السـلام، وحیث ورد أنّهم أوعیـة لمشـیئات اللَّه تعالی، ممّا یعنی أنّ الإرادة الکلّیة تتوزّع وتتفصّـل علی کـلّ الإرادات الجزئیـة، وهـذا هو التأویـل أی أوْل الإرادات الجزئیـة إلی الإرادة الإلهیـة الکلیّـة، أی رجوع کلّ الإرادات إلی الإرادة الإلهیة وطریقها المعصوم علیه السلام الذی تمرّ من خلاله إرادات اللَّه تعالی.

هـذا هو تفسیر نظریـة الإمامـة حیث تظهر من خلالها أهمّ مظاهر التوحید وهو التوحید فی الولایة، فالاعتقاد بالنبوّة والرسالة توحید فی التشـریع والاعتقاد بالإمامـة توحیـد فی الولایة، فأصول الدین کلّها أبواب للتوحید حتّی الإیمان بالمعاد توحید فی الغایة «إنا للَّهوإنا إلیه راجعون»، فالإمامـة توحیـد فی السـلطة والحاکمیـة فی النظـام السیاسـی الاجتمـاعی، وذلک من خلال إرجاع کلّ الجزئیات التفصـیلیة الخطیرة فی تـدبیر النظام البشـری لإرادة واحـدة تمثّل وحـدة المرجع الربوبی عن طریق قناة معصومة یمثّلها الإمام، ممّا یعنی أنّ هناک منصب غیر منصب النبوّة یتمّ من خلاله تدبیر الشؤون الکلّیة والجزئیة، وهی نوع إعمال للإرادة الإلهیة القاهرة.

کان النبیّ صـلی الله علیه و آله له ذلک المنصب وهو الإمامة، ولابدّ من استمراره من بعده إلی یومنا هذا، بل إلی یوم القیامة؛ لضرورة اسـتمرار ولایة اللَّه تعالی فی الحاکمیة والسـلطة السیاسـیة علی البشر، وفی زماننا هذا هو الإمام المهدی (عج)، حیث یدبّر ویدیر النظام البشری عبر خفاء الغیبة وسریتها إلی أن یئنّ آن الإعلان والظهور.

إلی هنا تم الجزء الثالث ویلیه الجزء الرابع بإذن اللَّه تعالی وهو المستعان وله المنّة والفضل والحمد للَّهأوّلًا وآخراً.

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِـَنَ کَلَامِنَـا لَاتَّبَعُونَـا... (بَـنـادِرُ البِحـار – فی تلخیص بحـار الأنـوار، للعلاّمـة فیض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبـارِ الرِّضـا(ع)، الشـّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّـِس مُجتمَع " القائمیّـة " الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشـهید آیـة الله " الشـمس آباذی – "رَحِمَهُ اللهُ – کان أحـداً من جَهابـذة هـذه المدینة، الذی قدِ اشـتهَرَ بشَـغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صـلواتُ اللهِ علَیهـِم) و لاسیَّما بحضـرة الإمام علیّ بن موسَـی الرِّضا (علیه السّـلام) و

بِساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللّهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة "للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَةِ

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظَة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.



مركز
القائمية
اصبهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹